

رُخْلَةُ قِيَامٍ
الْعِزُّ الْقَبِيْلَةُ الْبَرْقُ حَبِيْبَةُ

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ مَطَاهِرٍ

وَلَا الشَّارِقُ الْبَرْقُ
بَيْتُ - بَيْتُ



أُخْدَقِيَا
العِلَالُ اقْتِزِلِيَا
الزُّفْرُ حَبِيَّتِيَا

الشيخ حسين مظاهري

دار النخلاف للطباعة

مكتبة الخوفاء محفوظات
الطبعة الأولى
١٩٩٤م - ١٤١٤هـ

دار المعارف للطباعة

المكتبة: شارع سوريا - بناية درويش - الطابق الثالث
الإدارة والمعرض: حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية الحسين
تلفون: ٨٣٧٨٥٧ - ٨٢٣٦٨٥
صندوق البريد: ٨٦٠١ - ١١ / ١١ - ٦٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرات التي نقدم ترجمتها العربية للقارئ الكريم ، تتناول موضوع الأخلاق التي يندب الإسلام إليها فيما يرتبط بتعامل الزوجين فيما بينهما ومع الأولاد وهي تُمهّد لهذا المبحث الرئيسي بتوضيح نظرة الإسلام تجاه قضية الاستجابة للغرائز وخاصة الغريزة الجنسية وتكوين الأسرة والعلاقات والحقوق والواجبات المتبادلة ويناقش المحاضر بعض القضايا الأساسية كقضية حدود طاعة الزوجة للزوج وقضية استشارة الزوج للزوجة والعديد من القضايا المماثلة ، مبيّناً بلغةٍ يسيرةٍ مبسطة نظرة الإسلام تجاهها .

والميزة الأساسية التي تمتاز بها هذه المحاضرات القيّمة ، هي اهتمامها بالواقع العملي وقضاياها التي تشترك فيها كافة مجتمعات المسلمين ، والسلوكيات الرائجة فيها حين تحليلها بدقة ثم توضيح نظرة الإسلام وحكمه تجاهها بلغةٍ مفهومةٍ للجميع ، الأمر الذي يجعلها ذات تأثير تربوي عملي مباشر فلا ينحصر تأثيرها بالجانب النظري ولعلّ هذا أهم دوافع اختيارنا لها لتقديم ترجمتها للقارئ العربي حين تفتقر المكتبة العربية لهذا النمط من المحاضرات التربوية العامة الميسرة التي تهتم برصد سلبيات الواقع ومعالجتها وفق الرؤى الإسلامية .

يضاف إلى ذلك مميزات شخصية المحاضر ، فهو آية الله الشيخ حسين المظاهري أحد كبار الاساتذة في حوزة مدينة قدم المقدسة ، وإلى جانب مقامه العلمي الرفيع يمتاز آية الله المظاهري باهتمامه البالغ بإيصال المعارف الإسلامية والقيم الأخلاقية التربوية وحتى العرفانية الدقيقة إلى عموم الناس بلغة وعظيمة ميسرة ومفهومة ، وهذا مصداق رفيع للحديث النبوي « زكاة العلم إنفاقه » ، فأسمى مصاديق إنفاقه إيصاله إلى المحتاجين له بالصورة التي يستطيعون الانتفاع منه فيها .

وهناك ميزة أخرى لمحاضرات آية الله المظاهري وهي سعيها إلى حفظ الوحدة الموضوعية في كل واحدة أو مجموعة منها ، مما يجعلها محاضرات منهجية مبرمجة وبالتالي أكثر نفعاً وتأثيراً ، والمحاضرات التي نقدم ترجمتها العربية في هذا الكتاب ، كان سماحته قد ألقاها في أيام رمضان المبارك سنة ١٤٠٩ للهجرة في مصلى القدس في مدينة قم المقدسة .

وقد سعينا في الترجمة إلى الحفاظ على لغة المخاطبة الحضورية المنسجمة مع منهجية المحاضر في إيصال مواعظها وأفكارها ، ولم نتصرف سوى في حدود حفظ الانسجام اللغوي وفق خصائص اللغة العربية ، كما قمنا بتخريج النصوص والروايات الواردة فيها وذكرنا مصادرها في الهامش وأشرنا إلى المصادر المفيدة لمن أراد التوسع في البحث من موضوعاتها . سائلين الله تبارك وتعالى أن ينفع بها الساعين إلى التخلق بالأخلاق الإسلامية في كافة شؤون حياتهم ولا سيما في مجال البيت العائلي والعلاقات بين أفراد الأسرة وهي الميدان الأول للإنسان المؤمن الذي يجب عليه أن يولي قضية أسلمته الأولوية الأولى فإنه إن استطاع القيام بذلك كان على غيره من الميادين الحياتية أقدر . والله ولي التوفيق .

المحاضرة الأولى :

المقدمة

- انسجام الدين مع الفطرة
- معنى الفطرة
- فطرة طلب الله
- فطرية العبادة
- أهمية العبادة والدعاء
- عبادة الزهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته
أبي القاسم محمد - صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وعلى جميع الأنبياء
والمرسلين لا سيما بقية الله في الأرضين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين .

« الأخلاق العائلية^(١) » هو العنوان الذي أختاره للبحث الذي سأحدث عنه
خلال هذا الشهر المبارك - بمشيئة ربّ العالمين ولطف بقية الله (عج) ؛ وأسأل
السيدة الزهراء (عليها السلام) أن تتلطف بأن تجعل هذا الموضوع مورد
اهتمام الجميع وقيماً ونافعاً للجميع ؛ فلو استطعنا إكماله ، لنفّع الجميع إذ إنه
قيم أخلاقياً مفيداً نفسياً واجتماعياً والناس بحاجة إليه .

ولهذا البحث مقدمة وفصول عدة ، وأحدثكم اليوم عن مقدمته لنبحث
لاحقاً عن فصوله - بمشيئة الله - .

(١) العنوان الذي اختاره سماحة الشيخ المحاضر هو « أخلاق در خانه » وترجمته الحرفية هو
« الأخلاق في البيت » وحيث أن المقصود هو البيت العائلي وأكثر حديث الشيخ عن الأخلاق
العائلية لذا فقد ارتأينا استخدام العنوان الثاني مع الإشارة إلى أن الأول أنسب في اللغة الفارسية
حيث لا يستخدم الثاني فيها بمعناه المتعارف في العربية .

المقدمة انسجام الدين مع الفطرة

نستفيد من القرآن أنَّ الإسلام هو دين الفطرة ، بمعنى أنه منسجمٌ
بالكامل مع أصل خلقة الإنسان وغاية حركته وحقيقة روحه ؛ يقول - تعالى - :
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (٢) .

أي : تَوَجُّه - بالكامل - للإسلام ، فهو الدين الحنيف والوسط الذي لا
إفراط فيه ولا تفريط ، لأنه منسجمٌ بالكامل مع الفطرة الإلهية
فهو دينٌ « قَيِّمٌ » ، أي : أبديٌّ ثابت ، لكونه وسطاً منسجماً مع الفطرة
- كما توضح الآية الكريمة - ونبيُّه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو خاتم الأنبياء (٣) .

معنى الفطرة : -

الفطرة - لغةً - تعني الخلقة ، يَحْسُنُ أَنْ أَتَحَدَّثَ بِعُضِّ الشَّيْءِ عَنْ هَذِهِ
المفردة ، وأرجو من الجميع والطلبة الأفاضل خاصة الانتباه بدقةٍ عليها .
إنَّ معلوماتنا هي على قسمين :

الأول : فكرية تتحصَّل بالتعليم والتعلُّم مثل ما يتحدَّث عنه العلم في

(٢) سورة الروم / ٣٠ .

(٣) الاستدلال على خاتمية النبوة المحمدية يرجع إلى كون الاسلام ديناً أبدياً ثابتاً ، وليس لكونه
منسجماً مع الفطرة الإلهية ، فاصل الأديان الإلهية عامة - غير المحرفة - مُنْسَجِم - مع الفطرة .

المدرسة ، ويستنتج التلميذ ، ونظير ما أقولُه في هذا الاجتماع المقدّس وما تستجونه منه .

فهذه معلومات يكتسبها الإنسان ، وترتبط بعقله ، فهي معلوماته .

والقسم الآخر : يضمُّ معلومات غير اكتسابية بل « وجدانية » ، وهي لا ترتبط بالعقول ، بل بالغرائز والميول ، مثل إدراك الإنسان للجوع والعطش .

فهي معلومات ليست تعليمية ولا تعلّمية ، بل تُدرِك وجدانياً ، إذ يجوع الإنسان ، فيتناول الطعام ، فيشبع ، أو يعطش فيشرب الماء ، فيرتوي .

فهو يدرك الجوع والشبع بالغريزة التي أودعها الله فيه .

وبعبارة أخرى يدرك (معنى) العطش ساعة يتأبّه ويدرك الارتواء ساعة يتناول الماء .

وهذه الغرائز على قسمين :

الأول : يشارك فيه الإنسان الحيوان كافةً ، ولعلّه في بعض الحيوان أقوى منه في الإنسان نظير الأمثلة المتقدمة .

والثاني : هي الغرائز التي يتحكّم فيها التوجّه والإرادة ، وهذا القسم هو الذي يُطلق عليه اسم « الفطرة » (الإنسانية) .

فالفطرة هي نفس الغريزة مع فارقٍ هو أنّ الغريزة تعمل بصورة غير شعورية دون توجّه ولا إرادة ، ولديها معلومات .

أمّا الفطرة ، فهي تدرك ولكن بالعلم والتوجّه .

فطرة طلب الله :-

جُبِل الإنسان على فطرة طالبة لله واجدة له وهي متركزة فيه بقوة ، فهو بذاته واجدٌ لله طالبٌ له - تعالى - ، فلورُفعت الحجب حقاً ولم يكن في الإنسان رذائل الصفات أو اضمحلّت فيه ، لَعَرَفَ الله مثلما يدرك العطش .

وهذه ليست قضية تعليمية وتعليمية ، بل هي وجدانية^(٤) .

لقد مرّت بكم جميعاً حالات تجدون أنفسكم في طريق مسدودة تنقطع فيها حيلة الإنسان ، فلا يبقى له ملجأ في الظاهر ، وعندها يجد الله مثلما يدرك الظمآن العطش .

وهذا ما أكدّه القرآن الكريم في أكثر من عشر آيات : فهو يقول :
مثلاً : -

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾^(٥) .

عندما يهيج البحر ، وتتحطم السفينة التي يستقلها الإنسان وينقطع أمله بكل الأسباب ، يجد مهما كانت هويته - الله فيدعوه - حسبما يؤكّد القرآن - بتوحيد مخلص . أي : أنه يصل إلى التوحيد أيضاً فيتوجه إلى إله واحد ، وليس إلى إلهين ، أي : أنه مثلما ثبت له وجود الله ثبت له وحدانيته أيضاً ؛ وفي نفس الوقت يدرك (وجدانياً) أن « الله » هو سميع ، بصير ، رؤوف ، كريم وقدير .

بمعنى أنه يدرك القدرة المطلقة والعلم واللفظ والرفافة على نحو الإطلاق ، ولذا يبدأ يدعوه منذ انقطاع الأمل بالأسباب - وبصورة طوعية لا شعورية وكأنه يقول يا « الله » أنت قادر فأنقذني ، وأنت عالم بحالي وأنت

(٣) هذا البرهان يعتبره العارف الشاه آبادي - رضوان الله عليه - أهم أدلة وجوده تعالى وقد توسّع فيه كثيراً حتى أصبح يشكّل أحد أبرز مميزات مدرسته العرفانية والسلوكية .
وقد تابعه على ذلك تلميذه العارف الكامل الإمام الخميني - قدس الله نفسه الزكية - وقد تحدث عنه مراراً معتبراً إياه الأساس القطري لحركة الإنسان وسلوكه إلى الله - تعالى - .
تلاحظ هنا رسائله الأخيرة الموجهة لنجليه السيد أحمد وزوجته ، وكذلك محاضراته في تفسير آية البسملة من سورة الحمد وغير ذلك .
(٥) سورة العنكبوت / ٦٥ .

لطيف بي وأنت رؤوف جواد .

أي : أنه يصل (وجدانياً) إلى (معرفة) ذات مستجمعة لجميع الكمالات وعندها يدعوها موحداً ومخلصاً بحسب التعبير القرآني .
لقد بعث مئة وأربعة وعشرون ألف نبي بكتبهم ودعواتهم من أجل إحياء وحفظ حياة هذه الفطرة التي تحيا في حالات انقطاع الإنسان عن الأسباب .
بمعنى أن هدفهم إيصال الإنسان إلى مقام يكون فيه - دائماً - واجداً لله طالباً له .

وبعبارة أخرى فإن الهدف من بعثة كافة الأنبياء ومن كل هذه المعابد والمنابر والعبادات هو جعل الإنسان ذاكرة له باستمرار .

وهذا ما يشير إليه قوله - تعالى - في سورة طه : -

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٦) .

الله أحد ، فكيف تدرك ذلك ؟! الجواب بالعبادة ؛ ارتبط بالله ؛ أقم الصلاة لإيجاد هذا الارتباط فالصلاة تحقق لك ذلك .

وما تؤكد الآية الكريمة هو أن الغاية من المنبر والمحراب هي جعل الإنسان دائم الذكر والطلب لله ، فلا ينساه ، وهذا هو هدف جميع الأنبياء ؛ فهدفهم أن يجعلوا الإنسان يستشعر - بصورة مستمرة - وجود الله مثلما يستشعر العطش ، أن يكون متعطشاً للمحبة الإلهية يرى الله بعين القلب (البصيرة) ويدم التضرع والمناجاة له ليصل إلى مقام الذين يصفهم القرآن : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٧) فلا يبقى حجاب أمامه .

القرآن يبين لنا : - أنكم لو كنتم عاجزين عن رؤية الله بعين القلب ،

(٦) سورة طه / ١٤ .

(٧) سورة النور / ٣٧ .

فذلك يعني أنكم محجوبون .

وإذا عجزت عن إدراك (وجود) الله مثلما يدرك الجائع جوعه ولم يكن
الله سلطان على قلبك فاعلم أنك محجوب .

وإذا زالت الحجب ، وَجَدَ الإنسان « الله » .

والإنسان بفطرته طالبٌ لله ، وبعبارةٍ أسمى « واجدٌ » لله .

وهذا ليس نتيجة التعليم والتعلم ولا « برهان النظم » ولا « برهان
الصادقين » ولا « برهان الحدوث » ولا « برهان الإمكان »^(٨) ، بل هو (إدراك)
وجداني ، وليس تعليمياً ، وهو يحصل عندما يجد الإنسان ضالته ، ويدرك وجود
« الله » مثلما يدرك الظامى عَطْشَه ، وعندها يخضع لله .

فطرية العبادة :-

العبادة هي من الأمور (الحاجات) الفطرية^(٩) ، فصيام شهر رمضان
المبارك منسجم مع فطرة الإنسان ، لأنه إذا عرف ربّه مالَ إلى التشبّه به .
وصوم شهر رمضان المبارك أسمى مصاديق التشبه .

إن سرّ التذاذِ البعضِ بالصيام كالذي تلاحظونه - مثلاً - في سيرة الإمام
السّجّاد (عليه السلام) من فرحه بحلول الشهر المبارك ونحيبه الشديد لرحيله
- هو أن صيام هذا الشهر منسجمٌ مع فطرتهم : وكذلك الحال مع إقامة الصلاة
ففيها أسمى لذّة لمن عرف الله وأزاح (عن نفسه) الحجب ووصل إليه .
ونعرف مقدار هذه اللذة من التدبّر في قول الإمام الصادق (عليه السلام) :
« الركعتان في جوف الليل أحبُّ إليّ من خير الدنيا وما فيها »^(١٠) فكأنه

(٨) أسماء بعض البراهين الفلسفية على وجود الله المتعارفة في مصطلحات الفلاسفة .

(٩) يستند القول بفطرية الحاجة إلى العبادة بنفس دليل فطرية الإدراك الوجداني لله تعالى .

(١٠) وسائل الشيعة ج ٥ ص ٢٧٦ .

(عليه السلام) يقول : - لو أعطيت الدنيا وما فيها على أن أترك ركعتين من صلاة الليل لما رضيت وسرُّ هذا الرضى هو أنه وجد الله ؛ وفطرته تقول له إخضع لله والصلاة هي خير مصاديق الخضوع ؛ وعندها لن يكون الإنفاق صعباً عليه بل على العكس يلتذُّ به لأنَّ مَنْ وجد الله (عرفه) وبصفاته الكمالية تلك فيراه ذاتاً مستجمعةً لكافة الصفات الكمالية لذا يسعى إلى التضحية بكل ما لديه من أجله - ماله وعياله بل ونفسه - وأسمى لذة له أن يحترق - مثل الفراشة بنار الشمعة - في مقابل الله ولأجله وفي سبيله ؛ وما أبلغ ما يقوله القرآن الكريم بهذا الشأن : -

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ .

فمن هم هؤلاء ؟ إنهم الذين وجدوا الله وأصبحت صفات جماله وجلاله مستولية على قلوبهم وزالت الحجب فهم « وجدوا » الله لا أنهم « علموا به » ؛ وهؤلاء يُعْرِضُونَ عن المضاجع ويقومون للصلاة في الليل و« لناقلة الليل » وينفقون ما عندهم في سبيل الله ، ويشير القرآن إلى أنهم يلتذون بذلك لذة لا يدركها إلا من وجدها ، فعندما يجد الإنسان الله تصبح الصلاة والصوم بالنسبة له تحركات فطرية لذتهما وجدانية ، ويكون إعطاء الخمس والزكاة بل تقديم حتى النفس في سبيل الله أمراً فطرياً وجدانياً فلا يحتاج إلى حثه على إعطاء الخمس والزكاة والاهتمام بالفقراء بل إنه يتحرك لذلك بصورة طوعية مثلما يبحث الظامىء عن الماء .

تروى أن الجائع يقوم بالبحث عن الخبز والذي يجد « الله » - حقاً - بفطرته يهتم - طوعياً - بإقامة الصلاة والصوم وأداء الخمس والزكاة وتكون أسمى

(١١) سورة السجدة / ١٦ - ١٧ .

لذّة له حيثُذ هو الذهاب إلى بيت الله والطواف حوله فالعاشق يقبل جدران وأبواب مدينة معشوقه لذا فهو يلتذ بالطواف والسعي بين الصفا والمروة ؛ فهناك وَجَدَ رَبَّ البيت ورب البيت في قلبه وهو المستولي على قلبه فلا شيء فيه سواه ، لذا تكون عبادتُهُ له وصلاته وصومه وجهاده وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والتولي والتبري كلها أموراً فطرية ؛ حيث أنّ الذي يرى الله بعين القلب هو مثل الذي يحس الجوع والعطش .

أنتم تدركون الجوع والعطش ولكنّ ليس بهذه العين التي في الرأس فهذه يشبّه عليها الأمر أحياناً ، بل بعين القلب وعين الغريزة ؛ والبعض من بني البشر يرون بعين الفطرة ذاتاً مستجمعة لكافة الكمالات ولذا فهم يعشقونها وأي عشق عميق هو ؟! العشق الذي يعبر عنه جواب السيدة زينب (عليها السلام) على ذاك الجاهل ابن زياد عندما تجرّأ عليها وقال : - كيف رأيت صنعَ الله بأخيك !! فقامت لترد عليه ب : « ما رأيتُ إلّا جميلاً . . . ثكلتك أمك يا بن مرجانة »^(١٢) منطق زينب هو أنها لم ترَ من الله إلّا جميلاً في واقعة كربلاء إذ أنها في سبيل الله فقدت أخيها ، في سبيل ذاك الربّ الذي عرفته وهذا المنطق لا يفهمه ابن زياد فهو جديرٌ بالموت ، عندما يدرك الإنسان (معرفة) الله تصبح فطريةً بالنسبة له كافة العبادات ومنها الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحبة أولياء الله ومعاداة أعدائه .

وبعبارة أخرى يصبح الأمر وجدانياً ، فلا ينحصر الأمرُ بإدراكه لوجود الله ، بل يدرك أن عليه أن يكون مُصلياً صائماً لو أراد أن يكون إنساناً .

وإذا أراد أن يكون إنساناً كاملاً ، فعليه أن يتشبه بالله ، والصومُ (من مصاديق) التشبّه بالله ، وإذا وجد الإنسان « الله » وجدانياً أصبح مطلق الإنفاق

(١٢) « اللهوف » للسيد ابن طاووس ص ٩٠ .

عنده أمراً فطرياً مقبولاً فضلاً عن أداء الخمس والزكاة والالتزام بقانون
المواساة .

وحصيلة ما تقدم هي أنّ العبادات الإسلامية كافة فطرية وجدانية .
ولو أردنا التحقق بذلك ، فعلى أن نرفع الحجب ، والذي لا يجد الله أو
يجد الصلاة ثقيلة عليه - كما هو حالي أنا - فليعلم أنه مريض .

فالإنسان - أحياناً - يجوع لكنه لا يحس بجوعه لكونه مريضاً يبقى على
مدى يومين دون أن يتناول شيئاً من الطعام ، ويبقى حياً بإيصال الأطباء للماء
المغذي ولكنه مع ذلك لا يرغب في تناول الطعام ، لأنه مريض ، فلا تعمل
غريزة الاستطعام عنده .

والذي يجد الإنفاق في سبيل الله صعباً عليه - كما هو حالي - فليعلم أنه
مريض وحاله حال المريض الذي تمر عليه ثلاثة أيام وما زال لا يرغب في
الطعام ، لكونه لا يحس بجوعه ، فذاك أيضاً تراكت عليه الحجب من حب
الدنيا والصفات الرذيلة ثم - والعياذ بالله - تراكت عليه المعاصي واحدة بعد
أخرى ، حتى أوصلته إلى حيث لم يعد يستطيع إدراك أن الصلاة هي غذاء
الروح ، وأن الصوم هو تشبه بالله ، فهما أسمى لذّة للإنسان الكامل .

(عن عائشة قالت) : - « أنهم ذبحوا شاة فلما جاء النبي (صلى الله
عليه وآله) سأل : - ما بقي ؟ فأجابت عائشة : - « ما بقي منها إلا كتفها » ،
فقال (صلى الله عليه وآله) : « بقي كلها غير كتفها » (١٣) .

إنّ الإنفاق في سبيل الله والطواف حول بيته والتضحية في سبيله وترويح
دينه ومحبّة أوليائه ومعاداة أعدائه وأمثال ذلك هي جميعاً لا تحتاج إلى
الاستدلال : - خشبية هي قدم أهل الاستدلال ، فالاستدلال (عليها) نافع لي

(١٣) ميزان الحكمة المجلد العاشر ص ١٧٨ نقلاً عن كنز العمال تحت رقم ١٦١٥٠ .

ولأمثالي وللمُخالف كما أنَّ عليكم جميعاً أن تملكوا أدلة على أصول الدين ولكن هذا استدلال خشبي : -

إنَّ قدم أهل الاستدلال خشبيّة وضعيفة جداً هي القدم الخشبيّة^(١٤) .

بمعنى أنها عديمة التأثير أصلاً وأبداً ؛ من الممكن أن يكون بيننا من يجيد توضيح « برهان الصديقين » ، ويجيد إبراز متانة نظريّة الملاصدرا في « الحركة الجوهرية والمعاد الجسماني » ولكن هل تصبح العبادة فطريةً عنده بذلك ؟ ! .

أمّا الذي يثبت (وجود) الله بدليل الفطرة ، فهذا لا يحتاج حتى إلى معرفة « الألف والباء » ، فالكثير من الأميين هم أقوى (إيماناً) من الفلاسفة ، لأنهم مزقوا الحجب ، ولأنهم اكتسبوا نورانيةً من خلال الارتباط بالله ، ولأنَّ قيامهم بالصلاة والصوم والإنفاق في سبيل الله والعمل بالمستحبات والواجبات وبالخصوص اجتناب المعاصي قد أثر في قلوبهم مثلما يكتسب الحديد لون النار عندما يُحمى بها فيصبح حديداً نارياً ومثل الخشب عندما يحترق فيصبح جمرًا .

وأمثال هؤلاء لا يحتاجون إلى معرفة الألف والباء ، بل يحتاجون قلوباً (حيّة) وتطهيراً (تخلية) واجتناباً للمعاصي .

أهمية العبادة والدعاء : -

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾^(١٥) .

كأنه - تعالى - يقول : يا عبدي هل تريد إدراكي بتلك العين التي تمتاز بها عن الحيوان ، وليس بتلك التي تشترك بها معه ؟ .

وهل تريد أن تسمع سلامي ليس بهذه الأذن الحيوانية ، بل بالأذن

(١٤) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني العارف جلال الدين الرومي .

(١٥) سورة طه / ١٤ .

الخاصة بالإنسان ؟ .

وهل تريد أن تفهم وتصل إلى معرفتي وتراني ؟ إذا أردت ذلك فاعبدني وقوي ارتباطك سواء كنت متعلماً أم لم تكن ، أو كنت فيلسوفاً أم لم تكن ، أو كنت أديباً أم لم تكن فإذا قوي هذا الارتباط ، فتوجه لإقامة الصلاة فهي التي توصلك بسرعة إلى هذه المقامات .

إنني أطلب منكم أن تقيموا - في شهر رمضان المبارك - صلاة الليل ، وتناجوا الله ، فطوبى للمتحدثين مع الله في هذا الشهر المبارك الذين يكلمهم الله .

فالإمام الصادق (عليه السلام) يوصيكم أن تقولوا : « لبيك لبيك » عندما تمرّون - عند تلاوتكم القرآن - بقوله - تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ . وهناك أفراد يسمعون حقاً كلام الله عندما يمرون بهذا الخطاب القرآني ، ولكن ليس بهذه الأذن بل بتلك الأذن الإنسانية ، وعندما يسمع كلام الله يقول : « لبيك » بذاك اللسان الذي تمكن من الإجابة به .

ما هو « الدعاء » ؟ ١٩ .

إنّهُ المناجاة والتضرّع في حضرة الله ، أي : التحدّث معه ، وعليكم جميعاً لا سيّما - أعزائي الشباب - أن لا ينصب تفكيركم حين الدعاء بإشباع البطون أو باستجابة دعائكم وعدمها .

فهذا أمر ثانوي ، فلا تهتموا به ، بل عليكم حين تدعون أن يكون حالكم حال الذي يرى الله ويريد أن يقول له (الله) نعم نعم .

القرآن الكريم يؤكّد في موارد متعدّدة مضمون قوله - تعالى - : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (١٦) .

(١٦) سورة غافر / ٦٠ .

وظاهر الآية هو أحد معانيها .

فدعاء الإنسان مُستجاب على كل حالٍ فإذا كان صلاحه في إعطائه ما يطلبُ أعطي له ذلك ، وإن لم يكن صلاحه في ذلك أُعطي له خيرٌ ممَّا طلب .

ولكن هناك معنى أدق من هذا (للآية) يطرحه أهل المعرفة ، وهو (أنها تريد القول) : يا عبدي أنت قُل « يا الله » لأقول لك : نعم ، أي : اعثر على الأذن التي تسمع جوابي ، أي : أنها تدعو العبد لمحادثة الله والصلاة هي محادثة فسورة الحمد والسورة التي تليها هي حديث الرب مع العبد وبقية الصلاة هي حديث العبد مع الله .

وهذه هي أسمى لذّة ، للعاشق ، فالصلاة هي أحبُّ لذّةٍ لِلَّذِينَ وجدوا (عرفوا) الله فَهَيَّمَنَ على قلوبهم .

عبادة الزهراء (عليها السلام) :

لقد انجَرَّ الحديثُ إلى حيث لم أردهُ ، ولكني أرجو أن يكونَ خيراً مما كنتُ أريد :

الزهراء المرضيّة (عليها السلام) كانت شابةً والشابُّ عادةً يحتاج إلى النوم أكثر من الشيخ .

والزهراء مُتعبة ، فهي تعمل في النهار ، دخل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بيتها فشاهدها وقد أخذتها غفوةً ويدها على الرحي وهي ترضع ولدها فأيقظها ، وقال لها : « يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة » (١٧) .

الزهراء (عليها السلام) كانت متعبةً ، فهي كانت تقوم برعاية الأطفال والزوج إضافة إلى أعمال المنزل دون مُعين لها على ذلك ، حتى بعدما جاءت

(١٧) قريب منه نقله البحراني في العوالم ج ٦ الخاص بحياة الزهراء (عليها السلام) ، ص ١٣٣ نقلاً عن « المناقب » عن تفسير الثعلبي .

« فِضَّةٌ » الخادمةُ لمساعدتها أوصاها أبوها (صَلَّى الله عليه وآله) أن تقسم العمل بينها وبين خادمتها ، فهي إنسان مثلها .

ولذلك كانت (سلام الله عليها) تقوم بأعمال المنزل بالتناوب مع خادمتها ، فيومٌ عليها ، ويومٌ على فِضَّة (١٨) .

نعم ، إن القيام بأعمال البيت ورعاية الأطفال والزوج أمرٌ صعبٌ - وستحدث عن ذلك لاحقاً - إن شاء الله - والزهراء (سلام الله عليها) كانت تقوم بكل ذلك وتتعب كثيراً ، ولكنها في الأسحار يحين وقت صلاتها وعندها : - فما النوم وما التعب ؟ ! .

كانت تقوم الليل ، حتى تورمت قدماها .

وهذا هو المنقول عن اثنين هما الرسول (صَلَّى الله عليه وآله) والزهراء (سلام الله عليها) فقد كانا يقومان الليل ويلهجان بـ ﴿ إياك نعبُدُ وإياك نستعين ﴾ حتى تورمت قدماهما .

الزهراء كانت تقوم في الأسحار ، وتُناجي ربَّها ، وتدعوليس لها بل للآخرين !! .

قال الإمام الحسن (عليه السلام) : -

« رَأَيْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ (عليها السلام) قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا لَيْلَةً جُمُعَتِهَا ، فَلَمْ تَزَلْ رَاكِعَةً سَاجِدَةً ، حَتَّى أَتَضَحَّ عَمُودُ الصُّبْحِ ، وَسَمِعْتُهَا تَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَتُسَمِّيهِمْ ، وَتُكثِّرُ الدُّعَاءَ لَهُمْ ، وَلَا تَدْعُو لِنَفْسِهَا بِشَيْءٍ فَقُلْتُ لَهَا : - يَا أُمَّاهُ ، لِمَ لَا تَدْعِينَ لِنَفْسِكَ كَمَا تَدْعِينَ لغيرك ؟ !

فَقَالَتْ : - يَا بُنَيَّ ، الْجَارُ ثُمَّ الدَّارُ » (١٩) .

(١٨) الحديث مروي عن سلمان المحمدي راجع بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨ .

(١٩) العوالم ج ٦ ص ١٢٧ نقلاً عن علل الشرائع للشيخ الصدوق ، وكذلك بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٥ .

المحاضرة الثانية : =

المقدمة

- الإسلام وميول الإنسان
- الإسلام والحالة المعاشية
- ١ - المعاش الضروري
- ٢ - المعيشة المرفهة
- ٣ - المعيشة الترفية

الإسلام وميول الإنسان

يرى الإسلام أن من الواجب علينا أن نرضي ميولنا وغرائزنا فلا يهلك النفس محرّم في الإسلام ، وقد أكّد الكثير من الروايات أنّه لا يحق للإنسان كبت ميوله وقتل غرائزه وعدم الاستجابة لها والقرآن الكريم يؤكّد أنّ المسلم مثلما يجب عليه الاهتمام بأمر آخرته عليه أيضاً أن يهتم بأمر دنياه وميوله وغرائزه : -

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١) .

(فالخطاب هنا هو) : - يا أيها الإنسان انتفع بما أعطاك الله - من مالٍ وقوة وعقل وسلامة وأمانٍ - من أجل إعمار آخرتك ولكن لا تنس دنياك ، فلا يمكنك البقاء بجانب واحد .

فمثلما أنّ الانغماس في الدنيا هو انحراف كذلك لا تستطيع أن تصرف كل عمرك وعقلك وسلامتك ومالك بالكامل من أجل آخرتك ، بل يجب أن تهتم بدنياك وآخرتك معاً .

لقد كانت تظهر لدى البعض هذه التصورات المنحرفة في صدر الإسلام ، وكذلك في زمن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) حيث كان البعض

(١) سورة القصص / ٧٧ .

يتوهمون أنّ عليهم أن يسعوا للآخرة ليلاً ونهاراً ويتركوا الدنيا ولا يهتموا بميولهم وغرائزهم ، ولكن هذا النمط من التفكير عندما يُعرض على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) كانوا يُدحضونه بغاية الشدة .

نقل صاحب كتاب « الوسائل » روايةً تتحدّث عن مجيء ثلاثٍ من النساء إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فشكت له الأولى من أن زوجها قرر اعتزالها ، وشكت الثانية من أن زوجها قد قرر أن لا يأكل لحماً ، والثالثة من أن زوجها قد قرّر عدم استعمال الطيب .

فغضب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) غضباً شديداً - كما تُصريحُ الرواية - لأنّه رأى عودة ظهور أفكارٍ منحرفة بين المسلمين ، فذهب إلى المسجد في غير وقته وهو يجرداءً على الأرض لاستعجاله وأمر بجمع الناس ، فتركوا أعمالهم وجاؤوا إلى المسجد مُتسائلين عن الخبر ، فصعد (صلى الله عليه وآله) المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « ما بال أقوامٍ من أصحابي لا يأكلون اللحم ولا يشمون الطيب ولا يأتون النساء » .

وبعد أن أذان هذه البدع قال : « أما إنّي أكل اللحم ، وأشم الطيب ، وأتي النساء ، فمن رغب عن سُنتي ، فليس مِنّي »^(٢) .

والجملة الأخيرة مروية عن قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في عشرة موارد .

ونقل المرحوم الفيض الكاشاني في تفسيره « الصافي » روايةً مماثلة ويفهم منها تكرر وقوع هذه القضية ، فقد كانت تنزل آية من آيات العذاب فتثير الخوف لدى هؤلاء ، فيعرضون عن الدنيا ، ويتوجّهون للآخرة .

(٢) تجدها في كتاب وسائل الشيعة ص ٧٤ ج ١٤ وقريب من مضمونها روى الحرّ العاملي في ج ١٢ من الوسائل. عتة روايات أخرى .

ينقل المرحوم الفيض أن امرأة جاءت عائشة في حاجة فرأتها « مبطلّة » أي : أنها متزوجة ، ولكنّها غير متزّنة لزوجها ، فأنكرت عائشة عليها ذلك ، وسألته هل أن زوجها ميت ، فأجابته بالنفي وأخبرتها أنه ذهب برفقة اثنين من أصدقائه إلى الصحراء للتفرغ للعبادة وذلك بعد نزول آية العذاب ، وأنه قد قرر أن يعتزلها فيما قرر أحد صاحبيه أن لا يأكل طعاماً لذيذاً فيما قرر الثالث أن يعتزل الناس .

فنقلت عائشة هذا الموضوع إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فغضب بشدة لذلك بحيث دخل المسجد وهو يجرد رداءه ، وصعد المنبر وبين للمسلمين انحراف هذا النمط من التفكير والسلوك بعبارات قريبة من الحديث المتقدم ، فنهى (صلى الله عليه وآله) عن كبت حاجات النفس والامتناع عن الزواج من أجل التعبّد ، فهذا إعراض عن سنة النبي (صلى الله عليه وآله) ، وليس من أخلاق المسلم الإعراض عنها ؛ هذا فيما يتعلق بسنة النبي (صلى الله عليه وآله) .

ونجد في سيرة أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وهو الزاهد الذي سمعنا جميعاً بشدّة زهده أنه وفي اليوم الأول لوصوله الكوفة دخل مسجدها ، فرأى مجموعة من الرجال الأصحاء مشغولون بالعبادة - في غير وقتها - فسأل عن هويتهم وعن سرّ علم ذهابهم للعمل ، فأجابوه أنهم « متوكلون » فسألهم عن معنى ذلك فأجابوا بأنهم رجال تركوا الدنيا فإن حصلوا على شيء أكلوا ، وإلا صبروا واشتغلوا بالعبادة في المسجد فغضب (عليه السلام) .

وعلى وفق ما ورد في كتاب « أسد الغابة » عمد إلى تعنيفهم ، وقال : « لا بل أنتم المتأكّلة ، فإن كنتم متوكّلين فما بلغ بكم توكلكم ؟ ! »

قالوا : إذا وجدنا أكلنا وإذا نفدنا صبرنا ، فقال (عليه السلام) : « هكذا تفعل الكلاب عندنا » .

ثم أخرجهم من المسجد^(٣) .

وبعد تسليمه الخلافة - كما يبدو - دخل البصرة ، ونزل في منزلٍ أحدٍ وجهائها ، واعترض على ميله إلى الترف ، فعمد هذا الوجه فإراداً من الجواب إلى التحدث عن حال أخيه الذي اعتزل الناس ، واختار حياة الزهد ، وتفرغ في زاويةٍ للتعبد ، فأعرض أمير المؤمنين (عليه السلام) عن انحراف الترف عند الأول ، لأنَّ انحراف الثاني أخطر ، فأحضره وسأله عن سبب تركه الدنيا ، فأجاب : -

« يا أمير المؤمنين تزينتُ بزينتكَ ، ولبستُ لباسك » .

فرفض (عليه السلام) هذا المنطق ، وقال له : « ليس لك ذلك ، إنَّ إمام المسلمين إذا ولي أمورهم لبسَ لباسَ أدنى فقيرهم لئلاَّ يتبَّع بالفقير فقره فيقتله ، فلاعلمنَّ ما لبستُ إلا من أحسن زيِّ قومك ، ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ فالعمل بالنعمة أحب إليَّ من الحديث بها »^(٤) .

فأمره بعدم ترك الدنيا ومراعاة الحدِّ الوسط وتهيئة معيشة مرفهة لنفسه وعياله .

وقد أورد الحرُّ العاملي في الجزء الثاني عشر من « وسائل الشيعة » الكثير من الأحاديث عن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في ذمِّ الكسل ومدحِ العمل .

جاء شخصٌ إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فسأله الإمام عن حاله ،

(٣) راجع ميزان الحكمة للشيخ محمد علي الريشهري ج ١٠ ص ٦٨٦ ، وما ذكره الشيخ في المحاضرة ضمن عرضه لترجمة الرواية هو أنهم وصفوا أنفسهم بـ « رجال الحق » وما وجدناه في المصدر المذكور هو أنهم وصفوا أنفسهم بأنهم « المتوكلون » .

(٤) كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ص ١٥٢ ، وفي سفينة البحار ج ٢ ص ٢٥٨ أنه قال لعاصم بن زياد (وقد ترك الدنيا ولبس العباءة :
« يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولئك » .

فأجابه بأنّه قد تقدّم به العمرُ ، فترك العمل ، واختار زاوية في المسجد للعمل لآخرته .

وكان يتوهم أنّ هذا الموقف سيحظى بتأييد الإمام ورضاه ، لكنّه (عليه السلام) أجابه مكرراً ثلاث مراتٍ : « (هذا) عمل الشيطان »^(٥) .

فهذا عملٌ لا يُناسبُ الإنسانَ المُسلمَ ، بل هو إنتاجُ إغراء الشيطان الذي وسوسَ لك بترك الدنيا والتعبُد ؛ وبعد أن سمعَ هذا الشخص جواب الإمام سألَه عن الموقف الصحيح الذي ينبغي له العمل وفقه فأجابه (عليه السلام) موضعاً له ضرورة العمل للتوسعة على العيال والجيران والآخرين ، ثم نبّه الحاضرين إلى أنّ الحثّ على العمل مشروطٌ في الطرف المقابل بالمحافظة أيضاً على أوقات العبادات ، فإذا حان وقت الصلاة ، فلا ينبغي لهم أن يلهيهم الانشغال بالكسب عنها^(٦) .

ونقل هنا كلمة وردت في وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) ينبغي أن تكون إطار العمل الذي يحيا على وفقه الجميع ولا سيما الشباب الأعزاء - ذكوراً وإناثاً - فقد وصفوه (عليه السلام) بأنّه ليثٌ في النهار وراهبٌ في الليل . فهو كان يعمل في نهاره باندفاعه اللئيم ، ويتعبّد في الليل وكأنّه راهب ، كان يقوم بالعبادة في وقتها وفي وقت العمل يعمل بما مكّنه من تقديم ستٍّ وعشرين من بساتين النخيل للمجتمع - والفقراء والضعفاء والمساكين - على مدى خمسٍ وعشرين عاماً .

(٥) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٦ الحديث رقم خمسة وما قبله وما بعده وما أورده الشيخ المظاهري في المحاضرة هو تلخيص وشرح لمضمون عدة أحاديث مروية - معظمها - عن الإمام الصادق (عليه السلام) وينقلها الحرّ العاملي في المصدر المذكور ، وقد نقلنا هنا تلخيص وشرح الشيخ لمضمونها ومن أراد نصوصها فليراجع المصدر المذكور .

(٦) ورد هذا المضمون في الحديث رقم ٥ ورقم ١٤ ورقم ١١ ، ١٠ وغيرها من « باب كراهة ترك التجارة » من الوسائل ج ١٢ .

وحصيلة القول هي أنَّ على الجميع ولا سيَّما الشباب أن يعلموا أن ليس من الإسلام في شيء إهلاك النفس والعزلة عن الناس وقتل الغرائز والميول ومكافحته ، بل إنَّ نهج الإسلام هو الاستجابة للميول (الفطرية) والعلم (الحديث) يُوضح لنا جيِّداً عظمتُ وسُمُو الأحكام الإسلامية ، إذ أنَّ علماء النفس يقولون - كما أنتم تعلمون والتجربة أكَّدت ذلك - إنَّ الشابَّ الذي يستطيع الزواج ولا يفعل أو الفتاة التي تستطيع الزواج ولا تفعل أو الذين يعتزلون ويتركون الدنيا .

هؤلاء تنتقل ميولهم الطبيعية هذه من دائرة الشعور إلى دائرة اللاشعور - بصورةٍ تدريجية - وتتحول إلى عقدة نفسية ، والمصاب بالعقد النفسية إذا تسلَّطَ يصبح أشرسَ من الكلب الوحشي .

وإذا لم يحصل على القدرة والسلطة يصير إنساناً خاملاً ميَّت القلب خاوياً معنوياً وليس مادياً بمعنى أنَّه يكون عاجزاً عن الاختلاط بالناس ، فيُطرد من المحيط الاجتماعي ويعجز عن تربية الأطفال وعن المعاشرة الصحيحة مع الزوج وإذا تزوج سبب المشاكل له ولزوجته ، وإذا كانت فتاةً حاملاً ميَّتة القلب ، فمن الطبيعي أنَّها لا تستطيع تربية الأطفال والقيام بواجبات الزوجية بصورةٍ صحيحة .

والقرآن الكريم لا يذكر « العقدة النفسية » بالاسم ، إلَّا أنَّه يتحدَّث عنها .

فالذين تموت عندهم غريزة التوجُّه نحو الدين وتصبح قلوبهم قاسيةً بسبب المعاصي ، هم مصداق لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٧) أي أنهم أخبث وأضرُّ للمجتمع من الكلب المتوحش والميكروبات الطفيلية والسرطانية .

(٧) سورة الأنفال / ٢٢ .

وهذا هو حال الذي له فِكْرٌ لكنه لا يفكّر وله عقل لكنه لا يتعقل أو الذي ماتت فطرته ، وموتَ الفطرة يعني تارةً أن يقتل الإنسان غريزته الجنسية ، وتارةً غريزة التدين فيه ، فلا فرق لأن نتيجة هذا القتل في كلا الحالتين هو ظهور عقدة الحقدارة لدى هذا الإنسان ، يقول القرآن عن الذين ظهرت فيهم عقدة الحقدارة وقتلوا فطرة التدين : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٨) .

وعاقبة عمل هؤلاء هي جهنم ، فقد قتلوا فطرة التدين ودمروا الفطرة التي وهبها الله لهم ، وقتل فطرة التدين هو ذنب كبير ، كما أن تجاهل غريزة الجنس والميل إلى الأكل وغريزة الحياة المدنية الاجتماعية ينقلها من منطقة الشعور إلى منطقة اللاشعور ويوجد عقدة للإنسان لا ينصلح حاله معها أو يكون صلاحه في غاية الصعوبة .

الإسلام والحالة المعاشية :

يقسم الاقتصاد الإسلامي الأوضاع المعاشية على ثلاثة أقسام : ضرورية (كفاف) ، ومرفهة ، ومترفة : -

١ - المعاش الضروري :

يجب أن ينتفع الجميع من الطعام والملبس والسكن ، فإذا استطاع الإنسان توفيرها لنفسه وعياله فله أجرٌ عظيم وستحدث لاحقاً - إن شاء الله - عن ثواب الاستشهاد في سبيل الله الذي يهبه الله - تعالى - للرجل الذي يكسح لتوفير الرفاهية لنفسه وعياله ، وللمرأة التي تكد لجعل زوجها وأطفالها في رفاهية : « الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله » (٩) .

(٨) سورة الأعراف / ١٧٩ .

(٩) وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٤٣ .

ويلزم القادر على توفير هذا المعاش الضروري أن يقوم بذلك ، بمعنى أن الذي يستطيع أن يوفر الرفاهية لعياله يحرم عليه التكاثر عن ذلك ، فالأمر يتعلق بحق الناس - بالنسبة للمرأة - فأصل التكاثر هنا حرام ، لأن توفير المعاش الضروري واجب على بني الإنسان إذا كانوا قادرين عليه .

أما إذا كانوا عاجزين - كحالة - المعوق أو الجريح أو المتقاعد والعاطل عن العمل أي العاجز عن توفير الطعام والملبس والسكن له ولعياله - فالإسلام يقول : يجب على الحكومة الإسلامية أن توفر عليهم ذلك ، وإذا عجزت عنه وجب على الجميع توفير هذا المعاش الضروري لهؤلاء .

وفي القرآن الكريم آية بهذا الخصوص أرجو من الجميع ولا سيما النساء أن يضعوها نصب أعينهم دائماً خصوصاً في شهر رمضان المبارك ، وهي : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ (١٠) .

فالآية تؤكد أن على كل إنسان أن يهتم - بمقدار سعته - بمعاشه ومعاش الآخرين الضروري ، فالذي يستطيع إدارة شؤون أسرة واحدة أو اثنتين أو ثلاث يجب عليه القيام بما يستطيع : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ وغير القادر على ذلك فلينفق بما يستطيع ، بمعنى أن يتنازل مثلاً عن لقمة من إفطاره للآخرين ، ويقنع بشيء أقل مما عنده بمقدار يمنحه للآخرين من الملابس والسكن ، إذ نفهم من هذه الآية أننا جميعاً مسؤولون .

في آخر جمعة من شهر شعبان خطب النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في المسلمين وذكرهم بأن يهتموا جميعاً بأمور الآخرين وأوصاهم أن يقدموا الإفطار للآخرين ، وعندها قام أحدهم ليقول : - « يا رسول الله وليس كلنا نقدر على ذلك » فقال (صلى الله عليه وآله) : - « اتقوا النار ولو بشق تمره اتقوا

النارَ ولو بشرية من ماء» (١١) .

هذا الحديث لا يعني أن تأخذ تمرّاً وتوزّعه عند الإفطار واحدة لهذا ، وأخرى لذاك فتتوهم أنك بذلك قد فطرت بذلك ألف شخص ، بل إن معناه هو نفس معنى الآية الكريمة التي تأمر بأن يهتم كل بحسب سعته بإدارة أمور الآخرين ، فإن استطاع بصورة موسعة ، فليفعل ، وإلا فليُنْفِق بمقدار ما يستطيع : ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ .

هل آتاك الله طعام إفطارك أولاً ؟ ! .

(لقد أعطاك) إذن فعليك أن تنفق منه على الآخرين - قدر ما تستطيع - ، وهذا غير الإيثار الذي هو موضوع آخر ليس الآن مورد بحثنا ، فحديثنا هنا عن اعتبار توفير الإسلام المعاش الضروري لجميع بني الإنسان أمراً واجباً .

ليس صحيحاً أن (يتفرغ شخص لكي) يتعبّد . وبسبب ذلك لا يُوفّر معاشه الضروري كما أنه ليس صحيحاً أن تتمتع طائفة بالطعام والشراب ، وإلى جوارها أخرى فقيرة تبيت جائعة فكلتا الحالتين بعيدة عن الصواب .
هذا عن المعاش الضروري .

٢ - المعيشة المرفهة :-

وهذه أيضاً يحبها الإسلام ، وقد ظهر في عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً ذاك النمط المنحرف من الأفكار التي جعلت ناساً يمتنعون عن الأطعمة الطيبة ، فنزل قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١١) الخطبة يرويها الشيخ الصدوق - رحمه الله - بسند متصل في أماليه وكذلك في كتاب عيون أخبار الرضا .

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٢﴾ .

أيها المسلم ! لقد خلقَ الله لك كلَّ ما في الدنيا ، فلماذا لا تكون في رفاهية ؟ .

ولماذا تُحرِّم على نفسك الطيبَ من الطعام والزواج ؟ ! .

لماذا لا تتزوَّجُ ؟ .

ولماذا لا تتزوَّجين ؟ ! .

إنَّ الكافر عندما يأكل شيئاً ، فإنَّما يأكل صدقة من رزقي خُلِقَ مِن أَجْلِكَ أَنْتَ مثلما خلقَ الله الجنَّةَ خالصةً مِن أَجْلِكَ ، فلا نصيب للكافر فيها أصلاً كما تؤكد الآية الكريمة المتقدِّمة التي تقول لنا أيضاً بأنَّ المعيشة المرفَّهة هي لجميع بني الإنسان .

يجب على القادرين على توفير حياة معيشية مرفَّهة لأنفسهم وعيالهم أَنْ يقوموا بتوفيرها كما يجب على القادرين على توفير الرفاهية لأرحامهم وجيرانهم والمسلمين أَنْ يقوموا بذلك .

والإسلام قد أقرَّ معيشة الرفاهية واقتصاده اقتصادٌ سليمٌ جيّدٌ ، ولكن يا حسرة!ف « الماء في وعائه ، لكننا نهيم في البحث ونحن عطاشى » ويا حسرةً على أُنَّا نسينا قانون التكافل الاجتماعي (في الإسلام) .

وقد أنبأ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مراراً بوقوع ذلك وعدم عمل أمَّته بهذا القانون .

يجب أن يتمتع الجميع بمعيشة مرفهة فالقرآن الكريم يحكم بحرمه وسوء عمل مَنْ يحرم نفسه منها ، ويعتبره نوعاً من العمل بالرأي الشخصي ، وهذا ما لا ينبغي لك أيها المسلم إذ يجب عليك أن تكون تابعاً للقرآن والنبي والعِترَة

(١٢) سورة الأعراف / ٣٢ .

الطاهرين (عليهم السلام) لا أن تكون تابعاً لرأيك الشخصي .
وهذا ما يؤكد القرآن : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ .

سَيِّدَةُ اسْتُشْهِدَ زَوْجُهَا ، تبقى ترفض نزع لباسِ حِدَادِهَا الْأَسْوَدَ . القرآن
(يخاطبها) قائلاً : هذا خَطَأٌ ، فهو رأيٌ ابتدعته مِن عِنْدِكَ .

ونفس هذا الخطاب يُوجِّهه لِمَن ترفض الزواجَ بعد استِشْهَادِ زَوْجِهَا ،
وتغضب إذا ذُكِرَ الزَّوْجُ فِي حُضُورِهَا فيقول لها القرآن ، إِنَّ غَضَبَكَ هَذَا مَوْقِفٌ
خَاطِئٌ وهو عمل برأيك الشخصي خِلَافاً لِلْقُرْآنِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ وَالْأُئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ
(عليهم السلام) .

شابٌ يستطيع الزواجَ ولا يفعل ، وفتاةٌ مُؤَهَّلَةٌ لِلزَّوْاجِ وبأيتها الخاطبون
واحداً بعدَ آخَرَ ، وهي ترفض وكلاهما يقولان : مازال الأمرُ مبكراً !! فهلاً
سألتما غريزتكما الجنسية - وليس اللسان - هل الأمرُ مبكراً أو لا ، وهلاً سألتما
عن تلك الغدد التي تترشح في عروقكما وهلاً سألتما النبي الأكرم (صلى الله
عليه وآله) الذي يقول : -

« النِّكَاحُ سُنَّتِي وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي ، فَلَيْسَ مِنِّي » (١٣) .

إذن فالإسلام يقول : ليست مُسْلِمَةً الفتاةُ المؤهلةُ للزَّوْاجِ وترفضه ، أو
التي أُسْتُشْهِدَ زَوْجُهَا ، فترفض الزواجَ بعده ، أو المقطوعةُ القادرةُ على
الزَّوْاجِ ، ولا تتزوَّجُ .

وليس بمسلم الرجلُ القادر على الزواج ولا يفعل .

ولديّ هنا كلمةٌ أوجِّهها للجميع ، وبالأخصّ الفتيات والفتيان وهي :

(١٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ١٠٣ ص ٢٢٠ .

- أَنِّي أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ لَا تَعْمَلُوا بِالْإِسْلَامِ عَلَىٰ وَفْقِ آرَائِكُمُ الشَّخْصِيَّةِ ، وَأَنْ لَا يَكُونَ لَكُمْ قَنَاعَاتٌ خَاصَّةٌ فِي مِقَابِلِهِ ، بَلْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا مَاذَا يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالنَّبِيُّ الْأَكْرَمُ وَالْأُئِمَّةُ الطَّاهِرِينَ وَمَرَاجِعَ التَّقْلِيدِ وَالْمُتَخَصِّصُونَ فِي الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

فَلَا تَوَقَّعُوا أَنْفُسَكُمْ فِي تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ (الْعَمَلِ بِالْدِينِ بِالرَّأْيِ الشَّخْصِيِّ) ، فَهِيَ كَبِيرَةٌ إِلَىٰ دَرَجَةٍ أَوْجِبَ مَعَهَا الرُّسُولُ الْأَعْظَمُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَى الْجَمِيعِ خُصُوصًا الْعُلَمَاءُ أَنْ يَتَّصِدُوا لَهَا : -
« إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ » (١٤) .

٣- المَعِيشَةُ التَّرْفِيَّةُ :-

وهي التي يرفضها الإسلام ، ويُبين - بأفضلِ البيانِ - خَوَائِهَا ، فَهِيَ الَّتِي تَصُدُّ الْإِنْسَانَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لِكُونِهَا تَأْسِرُهُ نَظِيرًا مَا تَفْعَلُهُ الْمَظَاهِرُ التَّرْفِيَّةُ الَّتِي تَحِيطُ بِإِجْرَاءَاتِ الزَّوْجِ حَالِيًا ، وَتَقَيِّدُ كَافَةَ الْبَنَاتِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، كَطَغْيَانِ الْمَظَاهِرِ التَّرْفِيَّةِ عَلَى مَرَامِ الزَّوْجِ وَوَضْعِ الْمَسْكَنِ وَالْمَلْبَسِ وَالطَّعَامِ .
وهذا انحراف في المنظار الإسلامي .

فَالْإِسْلَامُ يَأْمُرُ الشَّابَّ وَالشَّابَّةَ بِالزَّوْجِ ، لَكِنَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَنْهَى الرَّجُلَ الْمُتَزَوِّجَ عَنِ الذَّهَابِ حَلْفَ امْرَأَةٍ أُخْرَى دُونَ حَاجَةٍ وَاتِّبَاعًا لِلْهَوَى وَحَسَبِ .

وَالْإِسْلَامُ يَأْمُرُ بِالتَّوَسُّعِ مَا دَامَ الْإِنْسَانُ فِي سَعَةٍ وَرِفَاهِيَةٍ ، وَيَنْهَاهُ عَنِ التَّرَفِّ ، فَهَذَا انحراف يعتبره القرآن علة جميع المشاكل ويؤكد تعاسة حالٍ ومآل المترفين قوماً كانوا أو أفراداً .

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

(١٤) أصول الكافي ج ١ باب البدع والرأي والقياس .

فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٥﴾ .

فالقرآن يؤكد أن عاقبة القوم المترفين هي الدمار ، لأن ترفهم المعيشي يقودهم إلى الفسق والفجور والمعصية .
هذا فيما يتعلق بالمجتمع .

أما بالنسبة للفرد ، فيقول في سورة الواقعة : -

﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَخَمِيمٍ * وَظِلٍّ
مِنْ يَخْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ وَكَانُوا يُصِرُّونَ
عَلَى الْجَنَّتِ الْعَظِيمِ . . . ﴾ (١٦) .

فالقرآن يؤكد أن عاقبتهم المشؤومة كانت نتيجة إصرارهم على ارتكاب المعاصي .

وهذا الإصرار هو نتيجة الترف ، وعليه فالمعيشة الترفية تؤدي إلى المعصية .

(١٥) سورة الإسراء / ١٦ .

(١٦) سورة الواقعة / ٤١ - ٤٥ .

المحاضرة الثالثة : =

الفصل الأول

- الزواج .. رأي علماء الطبيعة
- الرؤية القرآنية للزواج
- الزواج في الأحاديث الشريفة
- الإسلام وأهمية الغريزة الجنسية
- الاعتدال في مصارف الزواج

● الزواج .. رأي علماء الطبيعة

موضوع بحثنا (لشهر رمضان) لهذا العام هو « الأخلاق الأسرية » وقد عرضنا مقدمة له - وإن كانت مختصرة وناقصة - وحديثنا اليوم هو عن الفصل الأول من البحث ويتعلق بأهمية الزواج من وجهة نظر الإسلام .

عندما تترشح في دم الإنسان الشاب - ذكراً كان أو أنثى - الغدد المرتبطة بالغريزة الجنسية توجد تغييراً عجبياً في جسمه وروحه ، وهو تغيير واضح إلى درجة أنه يؤثر حتى في وجه الشباب .

وهذه الحالة هي التي يسميها الإسلام « البلوغ » ، ويسمي من تظهر فيه هذه الحالة بـ « البالغ » ؛ ومع ترشح هذه الغدد في دم الإنسان الشاب ، يظهر لديه - ذكراً كان أو أنثى ، شاء أم أبى - رغبة تُسمى « الرغبة الجنسية » .

وبعبارة أخرى تظهر حينئذٍ الغريزة الجنسية التي كانت ناراً تحت الرماد ، فتتفتح ، وتعرض نفسها والواجب هو الاستجابة إليها في نفس وقت ظهورها .

وقد تحدثتُ أمسٍ عن المصائب التي يسببها كبت هذه الرغبات ، فالرغبة الجنسية ليست مثل الميل (الطبيعي) نحو الماء والخبز ، ولا مثل غريزة حب المال والرئاسة وأمثالها .

وإذا صحت نظرية فرويد ، فهذه الغريزة منيع كافة الغرائز الأخرى وإذا

لم تصح ، فالحد الأدنى هو أن نعرف أنها ليست مثل الرغبة في الماء والخبز وأنها منبع أشكال العشق والأشعار : فلم تسمعوا بأن شاعراً عشق الماء والخبز وقال فيهما شعراً على العكس من شعر العشق المربوط بالغريزة الجنسية ، فهو كثيرٌ ويقينٌ أن منبع عشق إنسانٍ لآخر هو هذه الغريزة .

وهنا يجدر أن أنبئ الشباب اليافعين - ذكوراً وإناثاً - إلى قضية مهمة ، وهي أنكم إذا ظهر لدى أحديكم حُبٌ مُفْرِطٌ لآخر - ذكرين كنتما أو أنثيين - فاحذروا من خطورة الحالة اللاحقة ، ويجب - لزماً - التصدي لهذا الإفراط في الحب .

لا تقل نحن أصدقاء ! فمهما قلت يبقى للأمر خصوصية والقول بأن هذا الإفراط غير نابع من الغريزة الجنسية هو كذب ، فلا يظهر مثل هذا الحب من غيرها ولا حالة واحدة من مليون حالة خاصة بين الشباب اليافعين . فعادة ما يكون الحب المفرط من إنسان لآخر عشقاً ، وهذا العشق نابع من الغريزة الجنسية ، فالعشق الخالص متعلق بالله .

نعم من الممكن أن يعشق أحد الإمام الحسين (عليه السلام) وكربرلاء والإمام المهدي ولي العصر (عليه السلام) وظهوره ، ولكن هذا العشق إذا لم يكن متعلقاً بالله (تعالى) وبالذين تنبع فضيلتهم منه - عز وجل - فليعلم صاحبه أن حالة خطيرة قد أصابته .

إن ما أريد قوله هو أن إنشاد الشعر في المعشوق وعشق الآخرين ناشئ من الغريزة الجنسية ، إذ لا يعشق أحد الماء والخبز ، ولا يقول فيه شعراً ليمرغ بذلك ذوقه في الطين - مهما كان جائعاً أو ظامئاً - فالعطش لا يثير ذوقه الشعري يُشيد شعراً في الماء .

وعلى ما تقدم عليكم أن تعرفوا أن للغريزة الجنسية حساباً خاصاً ، حتى لو لم تصح نظرية فرويد - وهي ليست صحيحة - فينبغي للجميع - الشباب

وآبائهم وأمهاتهم وعموم المجتمع - ، أن يتعاملوا معها وفق هذه الخصوصية الخاصة مثلما فعل الإسلام ذلك .

● الرؤية القرآنية للزواج :-

الآية الكريمة المتقدمة والمتحدثة عن المعيشة الضرورية : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ . . . ﴾ تتعلق أيضاً بالزواج لأن حاجة الرجل للمرأة وحاجة المرأة للرجل حاجة ضرورية طبيعية - مثلما يحتاج الإنسان بصورة طبيعية للماء والخبز - فإذا لم يكن مستطيعاً أن يليها ، وجب على الآخرين تهيتها له .

ولخصوصية الغريزة الجنسية بين الغرائز الأخرى ، فتح القرآن الكريم حساباً خاصاً لها ، يقول - تعالى - : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

والخطاب هنا بصيغة الجمع المتعلقة بالمجتمع ، فهو المخاطب بالآية بأن يعمل لتزويج العزاب - ذكوراً وإناثاً - وهذه المهمة تقع بالدرجة الأولى على الأب والأم ، فإن لم يستطيعا ، وجبت على الحكومة الإسلامية ، فإن لم تستطع وجب على المجتمع كافة أن يقوم بذلك عبر مؤسسة ما .

والآية تؤكد : أن لا تحملوا همَّ المستقبل فالله ضامن له ، فإذا كنت متوكلاً على الله حقاً معتمداً عليه وتنشط في السعي بالصورة المطلوبة وتعمل بأوامر الإسلام ، فلا تحمل همَّ الفقر والمصارف ف : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

وهذه الآية مختصة بالغريزة الجنسية .

أما الآية السابقة (آية الإنفاق) ، فهي متعلقة بكافة الغرائز .

(١) سورة النور / ٣٢ .

(فهي تقول) على المجتمع أن يعالج الفقر الفردي والاجتماعي ، فهي تدعوه إلى توفير الاحتياجات فيما بين أفرادِهِ ، فهي تذكر حكماً عاماً .

وآية (النكاح) تذكر حكماً خاصاً ضمن هذا الحكم العام ، فتوجب على الجميع العمل لتوفير إمكانات الزواج للعزّاب - ذكوراً وإناثاً .

● قضية الزواج في الأحاديث الشريفة :-

ينقل صاحب « الوسائل » - رحمه الله ، وله حقٌ عظيم على الجميع ولا سيما مراجع التقليد - في كتاب « وسائل الشيعة » ستّ روايات بهذا الخصوص تبشّرُ بثوابٍ عظيم لمن زوّجَ أحداً من العزّاب - ذكراً كان أو أنثى - والروايات تشير إلى عظمة هذا العمل بحيث يرى الإنسان أن لا فضيلةً فوقه .

روي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) أنّه قال :-

« ثلاثةٌ يستظلُّون بِظِلِّ عرشِ الله يومَ القيامةِ ، يوم لا ظِلٌّ إلّا ظلُّه ، رجلٌ زوّجَ أخاهُ المسلمَ ، أو أخدمَه ، أو كتَمَ له سرّاً » (٢) .

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال :-

« أربعةٌ ينظرُ إليهم يومَ القيامةِ :- ، أو زوّجَ عزباً » (٣) .

ونظير هذه الروايات موجود في أبوابٍ أُخرى ، ونقل صاحب الوسائل أكثر من عشرين منها :- عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :- « جاء رجلٌ إلى أبي (عليه السلام) فقال له :- هل لك من زوجة فقال : لا ، فقال أبي : - وما أجبُ أن الدنيا وما فيها لي وأني بتُّ ليلةً ليست لي زوجة » (٤) .

فلينظر إلى ما يقوله الإمام الباقر (عليه السلام) الشباب والشاباتُ

(٢) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٢٧ الحديث الثالث .

(٣) المصدر السابق الحديث الرابع .

(٤) المصدر السابق ج ١٤ ص ٧ الحديث الرابع .

القادرون على الزواج ولا يتزوّجون ، فمعنى قوله (عليه السلام) ليس لو أُعطي لي مليون أو ملبارٌ من عملة إيران أو دولارات أميركا ، بل لو أعطيت لي الدنيا وما فيها على أن أنام ليلةً بدون زوجةٍ لما قبلت .

ونفس هذا الخطاب موجّهةٌ للفتاة أيضاً مثلما هو موجّهةٌ للشاب ، فتدبّروا في ذلك ، فهو يعني أن لا قيمةً للدنيا وما فيها إذا كان ثمنها العزوبية ، ثم يوضح (عليه السلام) الأمر بعبارةٍ أكثر تبياناً للمقصود ، فيقول : - « الركعتان يُصلّيهما رجلٌ متزوّجٌ أفضلٌ من رجلٍ أعزبٍ يقومُ ليلته ، ويصومُ نهاره »^(٥) .

ونفس الحكم يجري على صلاة المتزوجة مقارنة بالعزباء فرغم عظمة ثواب قيام الليل وصوم النهار ، إلا أن ثواب ركعتين يصلّيهما المتزوّج أو المتزوجة أعظم من ذلك .

وروي عن النبي الأكرم والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) حديث مُستفيضٌ بيننا نحن طلبة العلوم الدينيّة ، وهو : - « ما بُني بناءً في الإسلام أحبُّ إلى الله - عز وجل - من التزويج »^(٦) .

فهذا الحديث يُبيّن أن قيامك بإعمار بيت بتزويج عازبٍ أو عزباء وأن تجعلهما أصحاب بيت ، هو أفضل من قيامك ببناء مسجدٍ أو مدرسة .

وهذا ما يؤكده النبي الأكرم في الحديث الشريف المتقدّم ونظائره كثيرة ، وأقلُّ ثوابٍ تذكره للمتزوجة أو المتزوّج هو أن صلاة الفجر التي يصلّيها أيٌّ منهما يُعادل ثوابها ثواب مئةٍ وأربعين ركعة صلاة .

بمعنى أنه يضاعف بمقدار سبعين ضعفاً ، على العكس من عمل الشاب أو الشابة اللذين يستطيعان الزواج ولا يفعلان ، فقد روى الأئمة الأطهار

(٥) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٧ .

(٦) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣ .

(عليهم السلام) عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال : - « رُدَّال موتاكم العزَاب » (٧) .

ولا أذكر أكثر من هذا الحديث ، لأنَّ الروايات الواردة في هذا المقام تبعث اليأس بعض الشيء ، ومن أراد المزيد من السادة طلبة العلوم الدينيَّة ، فليُراجع الجزء ١٤ من كتاب « وسائل الشيعة » .

ونُشيرُ هنا إلى قضيةٍ مهمَّةٍ وهي أنكم أيها الأعزاء تعلمون أن لا مبالغة في ما يقوله الإسلام والأئمة الأطهار (عليهم السلام) ونحن نمتاز عن أهل السُنَّة - فيما نمتاز - بأننا نقول : إنَّ كافة الأحكام الإلهية نابعة لمصالح ومفاسد في نفس موضوع الحكم ، فمثلاً إذا أمر الإمام الصادق (عليه السلام) بشيء فذلك يعني أنَّ في المأمور به مصلحة تامة ملزمة .

وإذا نهى الإمام الباقر (عليه السلام) عن شيء ، فهذا يعني أنَّ فيه مفسدة تامة تستلزم النهي عنه ، وهذه من عقائد المُسلمِ الشيعي .

● الإسلام وأهمية الغريزة الجنسية :-

ويُفهم من الآيات والأحاديث المتقدِّمة ما قلناه من أنَّ الغريزة الجنسيَّة تُمَايزُ من الغرائز الأخرى ، فهذه إذا تَأَجَّجَتْ تجعلُ الإنسان مسكيناً .

أمَّا الغريزة الجنسيَّة ، فلها حساب آخر بحيث إنَّ النبي يوسف - وللنِجاة منها - هرب من « زليخا » على الرغم من سموِّ مقامه . ويشير القرآن الكريم إلى أنَّ يوسف أيضاً كان سيسقط بسببها لولا عصمته وإرادته القويَّة : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ (٨) .

فيوسفُ انتصر بإرادته القويَّة في تلك الواقعة عندما ابتلي بالنسوة .

(٧) المصدر السابق ص ٧ .

(٨) سورة يوسف / ٢٤ .

أما هؤلاء ، فقد قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بَدَلًا مِنَ الْفَاكِهِةِ هُيَامًا بِهِ وَعِشْقًا لَهُ عِنْدَمَا رَأَيْنَهُ .

وأطلبُ هنا من جميعِ الشبابِ والآباءِ والأمّهاتِ أن يضعوا دائماً نصبَ أعينهم قولَ يوسفَ (عليه السلام) على ما ينقلُهُ القرآنُ حيث يقول : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٩) .

ومعنى مفردة الجهل هنا هو غلبة الغريزة على العقل ، وقد استعملها القرآن بهذا المعنى في الكثير من الموارد منها آيات التوبة .

والمنقول في الآية المتقدمة على لسان يوسف يعني : - أنه برحمتك وعونك استطعتُ - أي يوسف - التغلب على الغريزة الجنسية .

وهاتانِ الآيتانِ من قصّة يوسف تنبهنا على ضرورة أن نولي هذه الغريزة أهمية خاصة تختلفُ عن الغرائزِ الأخرى .

وهذا ما فعّله التشريع الإسلامي الذي ارتكز على دفع ضررها ، وليس قمعها ، بمعنى تشريع ما من شأنه عدم السماح لها بتلوّث الإنسان ، فهو نهى بدءاً عن النظرِ بشهوةٍ للآخرين ، وهذا دفع ، لا رفع ، فلأجل عدمِ السماحِ بإثارة هذه الغريزة حرّم النظرُ الشّهوانية، وأكد أنها معصية قد تجرّ الإنسان إلى البؤس وإلى الإصابة بذلك العشق الذي هو أسوأ من السرطان وعلى الطرف الآخر أمر المرأة بالحدّر واجتناب الاختلاط بغير محارمها إلّا بمقدار الضرورة فقط ، فلا تتعدّاها لا في التحدّث مع غير المحارم ولا الاختلاط بهم ولا الذهاب إلى الدكاكين .

كما يوصيها القرآن بالانتباه على حجابها عندما تذهب إلى الشوارع ، فينهى حتّى عن أن يكونَ لونه صارخاً جذاباً للأنظار ، وكذلك الحال مع الحذاء

(٩) سورة يوسف / ٣٣ .

الذي تختاره وطريقته في المشي وعدم مراعاتها ذلك يوقعها في ظلم كبير هو إثارة الشهوة لدى الآخرين ، ولو ثارت عند شاب لصعبت جداً السيطرة عليها .

إن الغريزة الجنسية تقول للشباب والآباء والأمهات : إن فترة تفتُّحها لدى الإنسان هي ما بين (١٨ - ٢٨) عاماً ، فلا ينفع الاهتمام بها بعد ذلك لا للذكر ولا للأنثى ، ففي هذا العمر يكون التمتع بهذه اللذة وبعده تكون مشقة .

ومع الأسف فقد انجرَّ وضع المجتمع إلى تجاهل هذا العمر الذي يضمُّ تفتُّح الغريزة الجنسية على الرغم من أنه مصدر إشكالٍ العقد وعقدة الحقارة والخمول والغموم والهموم وموت القلب فيا أيها الفتيان والفتيات الأعزَّاء إن الإسلام هو أعرف مني ومنكم بحقيقة الأمر .

● الاعتدال في مصارف مراسم الزواج :-

لو تخلينا نحن عن حالة « التجمُّل الترفي » لتيسرت كافة الأمور ، واستطعنا تزويج عَشْرِ فتيات بنفس الجهاز التأثيثي الذي نُعده لتزويج فتاة واحدة . أنتم - النساء والرجال - تقولون : لا يمكن .

أما الإسلام ، فيقول نعم يمكن ؛ يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو قدوة بني الإنسان في الديوان المنسوب له :-

وقد دقت ورق وأستقرت فضولُ العيش أعناق الرجال

إن المعيشة التجميلية الترفية هي التي تسبب للإنسان ضعف الأعصاب والدَّمار الروحي ، وتجبره على التخضع للكريم واللثيم ، وتجلب الفقر الفردي والاجتماعي وتجعل الإنسان عبداً للآخرين وهكذا تفعل في تعبيد المجتمع ككل للآخرين ، وهذا هو مقصود الإمام (عليه السلام) في البيت المنسوب إليه .

هذا الجهاز التأثيثي التجملي الترفي (المتعارف) ما هو إلا عبء ثقيل قاصمٌ للأعناق والظهور وكل شيء ، فهو يطحن الآباء والأمهات . وجميعنا

مبتلون به أنا وأنت والقروي وابن المدينة المتدين وغير المتدين وعالم الدين وغيره ، المتجدد وغيره .

ويمكن بقيمته تزويج عشر نساء ، ألا تصدقون ؟ ! .

أنقل لكم حادثة واحدة عن المرحوم آية الله الحائري ، وفيها مثلاً يُحتذى للجميع .

يُنقل أنَّ المرحوم الشيخ كان جالساً وحوله طلبته ، فأتى تاجر ومعه عباءة صيفية جلبها هدية للمرحوم الشيخ ، فرأى الشيخ أن العباءة غالية الثمن جداً - فهي من النوع الرقيق وثمنها غالٍ حالياً أيضاً كما كان دائماً - وأن من غير المناسب لمرجع أن يلبس مثل هذه العباءة ، ولم يرد أن يرفض الهدية لكرهه ذلك ، فسأل - رحمه الله - التاجر عن قيمتها ، فلم يرغب التاجر في ذكر ذلك ، فسأله الشيخ : - كم هو عدد العباءات العادية التي تُعادل هذه العباءة .

فأجاب : - ست عشرة عباءة .

فقال له الشيخ : - « لقد قبلت الهدية ولكن هل يمكن استبدالها بست عشرة عباءة عادية .

أجاب التاجر بالإيجاب .

فطلب الشيخ أن يقوم بذلك ، فذهب التاجر إلى السوق ، وقام بما أراده الشيخ ، ورجع ومعه ست عشرة عباءة قدمها للشيخ ، فأخذها - رحمه الله - فوزعها ، هذه لهذا ، وتلك لذاك ، حتى انتهت إلا واحدة وضعها على عاتقه ، ثم توجه للتاجر : - « أهذا أفضل أم ذاك ؟ ! .

ففي الحالة الأولى كنت أنا وحدي المستفيد من الهدية ، أما الآن ، فقد استفاد منها ستة عشر شخصاً .

إذن لا تقولوا : لا يمكن تحقيق ذلك ، ولا تقولوا : لسنا مسؤولين ؛ بل كلنا مسؤولون : - « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

أيها الشباب الأعزّاء ؛ إذا أردنا - جميعاً - الثورة ، فهي تعني التغيير
ونحن الآن في مرحلة الإعمار ، علينا أولاً إعادة البناء الأخلاقي ، فيجب أن
نتوجّه نحو الأخلاق الأسريّة ، ونحن جميعاً - المسنون والشباب ، المقدسون
وغيرهم والعلماء وغيرهم - نقدم هذا الجهاز التأثيثي التجملي الترفي ، علينا أن
نُفهم الفتيات أنّ قيمة هذا الجهاز تكفي لإعداد ستة عشر جهازاً تأثيثياً بل
عشرين ومائة .

فلنقم بتزويج مائة فتاة بدلاً من واحدة فقط .

البحث ما زال ناقصاً سنُكمّله - إن شاء الله - في الفصل الثاني من
بحثنا .

المحاضرة الرابعة : =

الفصل الثاني

● عقبات بوجه الزواج

- ١ - الشروط التعجيزية
- ٢ - المراسم الشكلية
الزائدة
- ٣ - ارتفاع المهور
- ٤ - الولائم الضخمة

● عقبات بوجه الزواج

يدور الفصل الثاني من بحثنا حول العقبات التي أوجدتها الحياة العصرية بوجه الزواج وبما يشبه السواتر الترايئة التي يصعب عبورها في الجبهات القتالية ، وهي عقبات كثيرة أوجدتها العالم العصري .

وينبغي لنا التحدث - ولو باختصار عنها - وإن كانت إزالتها بحديث واحد أو بمثل هذه المحاضرات (وحدها) أمراً صعباً ، ولكن مثل هذا الحديث لن يكون قطعاً دون ثمار .

١ - الشروط التعجيزية :

العقبة الأولى بوجه الزواج التي تزداد باستمرار هي الذرائع الناتجة عن الشروط المبالغ فيها (التعجيزية) التي تطرحها الفتاة أو الفتى أو الآباء أو الأمهات .

وهي قد تؤدي إلى بلوغ الفتاة سنّ الثلاثين والشاب سنّ الأربعين دون أن يتزوجا ، وعندما يُسألان عن سرّ ذلك يجيبان : - لم أجد الزوج المناسب ، ولم أجد الزوجة المناسبة !! .

إنّ القضية التي يجب علينا الانتباه لها - وسأتحدّث عنها لاحقاً ، إن شاء الله - هي أنّه لا معنى (لا مصداق) لأنّ تشترط الفتاة زوجاً يطابق مائة في

المائة ذوقها ، ونفس الأمر يصدق على الرجل ، فبصورة عامة لو توفرت نسبة (٥٠٪) من هذا الشرط مع التوافق الأخلاقي لكانت كافية ، ولو توفرت نسبة (٧٠٪) ، لكانت تلك الزوجة جيدة للغاية وكذلك الزوج .

وتظهر هذه العقبة لدى المقدسين بصورة ولدى غيرهم بأخرى .

فهذا يشترط بيتاً والخاطب ليس عنده بيت ، والرجل يشترط جمالاً متكاملًا ، وهذا ما لا يتوفر في الفتاة .

وواحد يطلب حسباً مرموقاً ، فلا يجده ، وقد يكون هو نفسه ذا حسب ونسبٍ وضع ، لكنّه عندما يريد الخطبة يطلب ذاك ، وهذا يؤدي إلى أن يظل دون زواج ، وكذلك حال الفتاة .

وقد تكون هذه البنت تستعمل النظارات فترفض تلك الأم أن تخطبها لولدها ، أو أنّ الولد قصير ، فترفضه البنت وهكذا .

وفي الحقيقة فإن هذه الذرائع لا يستسيغها العقل ولا يمكن الاعتماد عليها ، ولعلّ بين الحاضرين هنا بعض الفتيات من قد تقدّم لخطبتهنّ عشرون شاباً أو أكثر منهم ، لكنهن لم يتزوجن ، ورفضن للذرائع تافهة .

ولعلّ بين الحاضرين هنا شابٌ مازال منذ سنتين أو ثلاث أو أربع يبحث عن زوجة ولم يجد على الرغم من أنّ له بنات عمّ أو خالة وجيرانه وأرحامه لديهم بنات ، لكنّه وضع لكلّ واحدةٍ منها عيباً وأعرض عنها .

ومثل هذه الذرائع تؤدي في النهاية إلى ابتلايه بزوجة سيئة .

وقد قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مراراً من على المنبر : - « أيها الناس إنّ جبرئيل أتاني عن اللطيف الخبير فقال : إنّ الأبكار بمنزلة الثمر على الشجر ، إذا أدرك ثمارها فلم تجتن أفسدته الشمس ونثرته الرياح ، وكذلك الأبكار إذا أدركهن ما يدرك النساء ، فليس لهنّ الدواء إلّا البعولة .

وإلا لم يؤمن عليهن الفساد ، لأنهن بشرٌ »^(١) .

وهذا الأمر يصدق على الشاب أيضاً ، فإذا وصل عمر الزواج وكان قادراً عليه ، فيجب عليه أن يتزوج ، فإن لم يفعل كان حاله حال الفاكهة التي تنضج ثم تسقط من الشجرة ، وعندها لا تجدي نفعاً .

وكان البعض من « المتدريين » يقومون والرسول (صلى الله عليه وآله) على المنبر ليسألوه عن مواصفات من يزوجه بناتهم فيجيبهم بـ « الأكفاء » .

فيسألون عن ماهية هؤلاء ، فيكرر (صلى الله عليه وآله) القول مراراً من على المنبر : - « المؤمنون بعضهم أكفاء بعض »^(٢) .

فالمؤمن هو الشخص ذو الأخلاق الحميدة والتدين الجيد ، فإذا جاءكم فزوجه .

وسبب إحدى المصائب الكبرى التي حلت بمجتمعنا الإسلامي هو عدم الالتزام لما كان يكرره النبي الأكرم (صلوات الله عليه وآله) مراراً من على المنبر : - « إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجه ألا تفعلوا تكن فتنه في الأرض وفساد كبير »^(٣) .

فإذا لم يكن أمر الزواج قائماً على أساس الدين والأخلاق ظهرت في المجتمع فتنه وفساد كبير .

وأية فتنه وفساد أخطر من الوضع السائد حالياً في مجتمع المسلمين ؟ ! .

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يأمرنا بأن نلاحظ الأخلاق والتدين ولكن لا أظن أن هناك في هذا المجلس سيدة ذهبت تخطب زوجة لولدها ،

(١) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٩ ، الحديث الثاني .

(٢) المصدر السابق في تنم نفس الحديث وكذلك ص ٤٩ مروي عن الباقر (ع) الحديث الثامن .

(٣) المصدر السابق ص ٥١ الحديث الأول والثاني وقريب منه الحديث الثالث مروي عن الباقر (عليه السلام) .

وكانت تفكر هل أن هذه البنت حسودٌ أو متكبرةٌ أو أنانيةٌ أو لا ؟ .

فهي تهتمُّ بأمورٍ أخرى ، ولا أظنُّ أن هناك - في هذا المحفل المقدس - مَنْ جاءهُ خاطبٌ فاهتم (- بالدرجة الأولى -) بمعرفة مدى تدينٍ وأخلاقٍ هذا الشاب على الرغم من أننا نقرأ في الروايات - وقد ثبت في التجربة أيضاً - إذا كان مورد الاهتمام في أمر الزواج هو فقط المال والجمال والظاهر والحسب والنسب ، فلا تكون نتيجته سوى البؤس ، يقول (صلى الله عليه وآله) : « مَنْ نكح امرأةً لِمَالِها وجمالِها حُرِمَ مَالُها وجمالُها ومَنْ نكحها لِدِينِها رزقهُ الله مَالُها وجمالُها » (٤) .

وقال أيضاً : - « لا تَنكح المرأةَ لجمالِها ، فلعلَّ جمالها يوديها ، ولا لِمَالِها ، فلعلَّ مَالُها يُطيغِها . وأنكح المرأةَ لِدِينِها » (٥) .

فالطغيان بسبب المال والجمال يؤدي إلى الاختلاف ، وهذا يؤدي إلى البؤس وعندها فلن يحصد الساعي إلى المال والجمال فقط سوى الحسرة والندم .

وروي أن رجلاً قال للإمام الحسن (عليه السلام) : - « إن لي ابنةً فمن ترى أزوجه ؟ ! » ، فقال : - « زوجه لمن يتقي الله - عز وجل - فإنه إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها » (٦) .

فواضح أن دينه وتقواه تمنعه عن ظلمها . لا أظنُّ أن هناك من بين هذا المحفل المقدس من يخلو من هذه الشروط التعجيزية والذرائع الشائعة ، وعلى الرغم من رفض النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لها : وقد وقعت في عهده حالات زواجٍ عجيبَةٍ ترمي إلى إدحاض تلك الذرائع أمثال قضايا زواجٍ

(٤) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٣ ص ٨٥ نقلاً عن الكافي .

(٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٨٥ وراجع كذلك وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٠ حيث نقل (١١) حديثاً في هذا الباب .

(٦) كتاب المستطرف ج ٢ ص ٢١٨ .

« جَوْبَر » و« زَيْد » و« المَقْدَاد »^(٧) ، بمعنى أَنَّهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَانَ يَضْحِي بِفَتَاةٍ مُتَكَامِلَةٍ فِي مَوَاصِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ مِنْ أَجْلِ إِحْيَاءِ حَاكِمِيَّةِ قَانُونِ الْأَخْلَاقِ وَالِدِينِ فِي الْمَجْتَمَعِ ، وَلِيَصْبِحَ هُوَ الْمَعْيَارُ فِي الزَّوْجِ لَا أُمُورٍ أُخْرَى .

وَنَحْنُ هُنَا لَا نَقُولُ لَا تَهْتَمُّ بِالأُمُورِ الأُخْرَى ، بَلْ نَقُولُ اهْتَمِّ بِالِدِينِ وَالْأَخْلَاقِ ، وَإِذَا حَظَّيْتَ بِفَتَاةٍ بِنِسْبَةِ (٧٠٪) مِنْ الْمَوَاصِفَاتِ الَّتِي تَأْنَسُ لَهَا ، فَلَا تَتَذَرَعُ بِشُرُوطٍ أُخْرَى .

وَنَفْسُ الأَمْرِ يَصْدُقُ إِذَا تَوَفَّرَ الْخَاطِبُ عَلَى (٧٠٪) مِنْ الشُّرُوطِ الْمَطْلُوبَةِ .

وَلَا تَسْتَخِرْ هُنَا أَيْضاً ، فَلِلْاسْتِخَارَةِ مَوَارِدُ خَاصَّةٌ ، فَهِيَ تَجِبُ - عَادَةً - فِي الْمَهْمَاتِ ، وَعِنْدَ الْوُصُولِ فِيهَا إِلَى طَرِيقٍ مَسْدُودٍ يَعْجُزُ مَعَهُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ عَنِ التَّفَكُّيرِ وَلَا تَنْفَعُ الْاسْتِشَارَةُ ، وَيَطْغَى الْإِيْهَامُ وَعَدَمُ الْوُضُوحِ الْقَضِيَّةِ .

أَمَّا إِذَا كَانَ الأَمْرُ وَاضِحاً ، وَيَسْتَطِيعُ عَقْلُكَ التَّفَكُّيرُ بِشَأْنِهِ ، فَلَا مَوْقِعَ هُنَا لِلْاسْتِخَارَةِ كَأَنْ تَشَاهِدَ بَأْنَ الْخَاطِبِ شَابَّ صَالِحٍ - دِيناً وَأَخْلَاقاً - وَقَادِرٌ عَلَى إِدَارَةِ الشُّؤُونِ الزَّوْجِيَّةِ ، أَوْ أَنْ تَشَاهِدَ بَأْنَ الْفَتَاةِ مُتَدَيِّنَةٍ مِنْ أُسْرَةٍ مُتَدَيِّنَةٍ وَذَاتِ أَخْلَاقٍ حَسَنَةٍ وَتَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِوَاجِبَاتِ الزَّوْجِيَّةِ .

بَلْ إِنَّ لِلْاسْتِخَارَةِ مَعْنَى آخَرَ أَرْجُو مِنْكُمْ جَمِيعاً أَنْ تَعْمَلُوا بِهَذَا الْمَعْنَى الْمَطْرُوحِ فِي الْإِسْلَامِ لِلْاسْتِخَارَةِ ، وَهُوَ أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ الْقِيَامَ بِعَمَلٍ (مَهْم) ، فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ ، وَقُلْ بَعْدَهُمَا مِائَةَ مَرَّةٍ « أَسْتَخِيرُ اللهَ بِرَحْمَتِهِ » أَيْ تَدْعُوهُ أَنْ يُبَارِكَ لَكَ فِي الْعَمَلِ ثُمَّ أَشْرَعْ بِهِ ، لِيَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ مُبَارَكاً - إِنْ شَاءَ اللهُ - وَأَصْلُ الْاسْتِخَارَةِ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ هَذَا .

وَالْاسْتِخَارَاتُ الَّتِي تَسْتَنْدُ إِلَى رَوَايَاتٍ صَحِيحَةٍ وَمُسْنَدَةٍ وَيُؤَكِّدُهَا صَاحِبُ

(٧) تجد تفصيل هذه القضايا في وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٤ ، ص ٤٥ .

كتاب « الجواهر » - رضوان الله عليه - في هذا الكتاب هي التي تعني أن أطلبوا من الله الخير في أعمالكم .

نعم لو لفّ الإبهام وعدم الوضوح الإنسان تجاه عملٍ ما ، ولم يتوصل عقله لشيء ، ولم تثمر شيئاً استشارته للآخرين ، عندها يمكنه أن يستشير الله - تبارك وتعالى - فإذا استشرتموه - تعالى - فالتزموا العملَ حتماً على وفقها ، (فإذا كانت الاستشارة تقول : إنّ العملَ جيّد فاعملوا) وإذا كانت تنهى عنه فاتركوه حتماً ، وتكرار الاستشارة (حول نفس المورد) خطأ ومن الأفعال العامية الموجودة بيننا .

وخلاصة القول هي أن العقبة الأولى المشهودة في أمر الزواج هي تلك الحالة التعجيزية (طرح الشروط المبالغ فيها) التي تلاحظ لدى الشباب والفتيات أو آبائهم أو أمهاتهم .

وأطلب منكم أن تستبدلوا هذه الحالة بأن يكون لديكم توكلٌ على الله - عزّ وجلّ - فهو مقلب القلوب ، وهو مصلح الأحوال والقرآن يبين أنّ ولي الله لا يفتن ولا يتحسر على ما مضى ولا يخاف مما هو آت : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٨) .

وسرّ ذلك أنّهم يتوكلون على ربّهم .

فتوكلوا على الله في أمر الزواج وأزيلوا هذه العقبة التذريّة التي لا يرضى بها الرسول الأعظم (صلوات الله عليه وآله) والأئمة الأطهار وعلماء الإسلام الكبار .

المرحوم الشيخ (جعفر) كاشف الغطاء - رضوان الله عليه - هو من كبار مراجع التقليد ، وهو رجل قلّ نظيره في العلم والشجاعة وقدرة الزعامة الدينية تنقل عنه حادثه هي أنّه قال يوماً في نهاية درّسه - وبحضور تلامذته - : « إنّ

(٨) سورة يونس / ٦٢ .

لديّ بنتاً آن أوان زواجها ؛ فإن تقدّم شخصٌ مؤمنٌ خلقَ زَوْجَتَها له « فقام أحد فضلاءِ دريسه ، ثم جلس .

وهذا القيامُ والقعودُ هو بمثابة التقدمِ للخطبة .

فقال المرحوم كاشف الغطاء : - تعالَ إلى البيت ؛ ثم ذهب إلى البيت ولحقّه هذا التلميذُ فيما بعدُ ، وكان الشيخ المرحوم يعرفه طالباً (للعلوم الدينية) فاضلاً ومتديناً متخلّقاً بالأخلاق الإسلامية الحسنة لكنه فقيرٌ مُعَدَم .

قال المرحوم كاشف الغطاء لكريمته : - « بُنيتي ؛ لقد وجدتُ لك زوجاً لا يملك شيئاً ، لكنه ذو علمٍ ودينٍ وأخلاقٍ ، فهل تقبلين به ؟ ! »

أجابت كريمة : - إنَّ أمري بيدك . وفي نفسِ ذلكِ الوقتِ عَقَدَ لهما ، وأعدَّ لهما غرفةً في نفسِ منزله وحَضَرُوا الفتاة في نفسِ تلكِ الليلة لِزواجها ، ودخل الفتى والفتاة غرفة عرسهم .

وقبل الفجر نهض المرحومُ كاشف الغطاء لإقامةِ نافلةِ الليلِ ، ثم دقَّ بابَ غرفتهما ، وقال : - « لقد أَعَدَدْتُ الماءَ الساخنَ - في ذلكِ الزمانِ لم يكن هنا حمامٌ في المنازل - وهو في الغرفةِ الفلانيةِ فاذهبا واغتسلا لإقامةِ صلاةِ الليلِ » .

فذهبا واغتسلا وأقاما صلاةَ الليلِ أيضاً .

ونُصِّيف قائلين أنَّ قصَّةَ هذا الإيثارِ والتضحية من الشيخ كاشفِ الغطاءِ لا تنتهي هنا ف ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(٩) فقد وعد القرآن بمساعدة مَنْ يعملون لله ، (وقد تحقّق هذا الوعد هنا) فصهرُ المرحومِ كاشفِ الغطاءِ كان هو المرحوم الشيخ « محمد تقي مسجد شاهي » وقد وصل من العلمِ مرتبةً ساميةً بحيثُ أُلِّفَ حاشيةٌ على « المعالمِ » مازالت من الأصولِ الحيةِ على الرغمِ من مُرورِ ثلاثةِ أو أربعةِ قرون على تأليفها ، وأصبح مقدّماً

(٩) سورة العنكبوت/ ٦٩ .

على الشيخ كاشف الغطاء ، وأصبح جميعُ أبنائِهِ مجتهدين ، ولم ينقطع الاجتهاد عن بيتهم ، فجميعهم كانوا متدينين ولهم قدرة ونفوذ في إصفهان حيث كان جميع العلماء يحترمونه ، وكان جميع حكام ذاك الزمان يتخضعون لهم .

أي : كانت عاقبة ذلك الزواج الحسنی ، وكان عرساً كما يريدُه القرآن ، وهذا هو الجدير بأن يُسمى زواجاً إسلامياً .

وكان هذا هو نهج النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) والفقهاء العظام .

العلامة المجلسي كان ذا مقامٍ علميٍّ سامٍ ، وكان منبع المكانة و متمكناً من الناحية المالية بحيث يقتضي الإنصاف أن نقول أنه جعل « الصفوية » بلاطاً له ولو لم يَقم سوى بتحرير (موسوعة) « بحار الأنوار » لكفانا ذلك في القول . بأنه لم يأت بمثله أو قلَّ نظيره .

العلامة المجلسي كانت له بنتٌ فاضلةٌ مجتهدةٌ وعلى درجةٍ عاليةٍ من الجمالِ ، ولم تكن - آنذاك - قد تجاوزت العشرين عاماً وكانت من جهة الحسب والنسب فتاةً نموذجيةً ، فزوجها العلامة المجلسي للشيخ صالح المازندراني - من طلبة العلوم الدينية - وكانت مؤهلاته محدودةً ، فلم يكن معروفًا ولا ثريًا ، ولكنه كان متديناً وخلوقاً ، فزوجه العلامة ابنته لأخلاقه الحسنة ولتدينه ، وهي فتاة لم تكن عادية إذ يُنقل عنها أن زوجها دخل غرفتهما الزوجية ورأى أن عليه مطالعة أحد المواضيع ، فاستعصت عليه مسألة علمية لم يستطع حلها ، فحلَّتها له .

إذن هي فتاة استثنائية ، فلماذا قبل بتزويجها لمثل الشيخ المازندراني ؟ !

الجواب هو لأنه لم يكن من المتذرعين بالشروط المبالغ فيها ، فهو كان يقول : « إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : - « إذا جاءكم من تَرْضُون

خلقه ودينه ، فزوجه .

وإن لا تفعلوه ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»

٢- المراسم الشكلية الزائدة :

العقبة الثانية هي أهم من سابقتها خصوصاً في عصرنا الحاضر حيث يصعب تجاوزها حالياً ، وهي المتعلقة بالشيء الذي يأخذه الشاب لينقل بمعية عروسه إلى بيت الزوجية ، ففي البداية كان نسخة من القرآن ، ثم أضيفت إليها مرأة ومحمل الشموع ، ثم أضيف إليها وأضيف ، حتى وصل الأمر إلى ما ترونه الآن من أغلال في عنقه يبيع كل ما عنده لتوفير ثمنها ، فلا يفي بالذهب المطلوب ، فيرفض عندها الزواج أصلاً ، في حين ماذا كان سيحدث لو لم يكن لهذه العروس مرأة وحماله شمع أو كانت المرأة من النوع المعتاد إضافة إلى القرآن ؟!

وأي نقص يظهر بذلك ؟!

وماذا يحدث لو لم يقدم الشاب ذهباً ؟!

وما المانع من أن يقدم خاتماً مألوفاً للفتاة وتقدم هي له خاتماً من العقيق بدلاً من الخاتم الذهبي حيث يسبب له المشاكل بدءاً من أنه لا يستطيع الصلاة لبطان الصلاة به ومروراً بإيقاعه في المعصية وتثبيتها في صحيفة عمله منذ اللحظة الأولى لوضع العروس لهذا الخاتم الذهبي في يده ، لأن الرجل لا يحل له التزين بالذهب سواء كان خاتماً أو ساعة أو نظارات أو أزراراً أو أي شيء آخر فيه زينة له .

وما المانع من أن يكون الخاتم خاتم عقيق ، أو لا يقدم خاتم أصلاً ؟! وأن يقدم للعروس خاتماً معتاداً ؟!

أقسم بالله لن يحدث شيء ، ولن تقع السماء على الأرض ولا العكس

كما يقول الناس ، بل إننا نحن الذين نخرب بأفعالنا القبيحة السماء وندمر الأرض .

من يستطيع تجاوز هذه العقبة الثانية (غيرنا) ؟ إذن فتعالوا وحطموها ؛ لا أقول ليقم بذلك اثنان أو ثلاثة أو مجموعة ، فلا يمكن تحطيمها بذلك ، بل نقول : - إن لمدينة قم إنجازات كثيرة ، فلتقرر تحطيم هذه العقبة وهذا الحاجز ، فتعلن منع حملات الشمع والمرايا الترفيعة الغالية الأثمان ومنع اشتراط تقديم الذهب في مراسم الزواج وسائر المظاهر الشكلية الزائدة .

فما الذي يمنع عندها من انتقال هذه السنة من مدينة قم إلى المدين الأخرى إلى عموم المجتمع الإسلامي ليصل الأمر إلى الحالة التي نستطيع أن نقول معها : - نحن الذين قمنا بالثورة وحططنا هذه العقبة .

في ذيل الرواية التي نقلناها سابقاً حول مجيء شخص غير متزوج إلى الإمام الباقر (عليه السلام) وتأكيده الإمام فيها لرفضه المبيت ليلة واحدة دون زوجة حتى لو أُعطي له الدنيا وما فيها ، ورد أن الإمام (عليه السلام) أعطى هذا الشخص سبعة دنانير وأمره أن يتزوج بها .

وهذا هو ما أريد الإشارة إليه هنا ، فهذا المبلغ يعادل سبعة مثاقيل من الذهب ، وليس بالمثقال المتعارف حالياً وهو (٢٤) حبة ، بل بالمثقال الشرعي الذي يعادل (١٧) حبة أي أن المبلغ يُعادل خمسة مثاقيل ذهب حالياً .

فالزواج الذي يرى الإمام أن كلفته لا تتعدى السبعة دنانير أصبح الآن يكلف سبعين دينار ذهب ، بل أكثر منها ، حيث يصل الحال أن يبيع المرء داره ، لكي يؤمن تكاليف إقامة مراسم العقد وهذا ما لا يرضاه الله - تعالى - .

(يروى أن) الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان جالساً بين أصحابه عندما جاءت فتاة وأخبرته من خلف الحجاب أنها تريد الزواج ،

وطلبت منه (صَلَّى الله عليه وآله) أن يُزَوِّجَهَا ، فتوجَّه إلى أصحابه وسألهم
عَمَّن يريد الزواج . فقام أحدهم فسأله (صَلَّى الله عليه وآله) عن المهر الذي
يستطيع تقديمه ، فأجاب بأنه لا يملك غير القميص الذي يرتديه .
وعندها سأله (صَلَّى الله عليه وآله) عَمَّا إذا كان يعرف شيئاً من
القرآن ؟ ! .

فأجابه أنه يعرف سورة الواقعة ، ثم توجَّه صوب الفتاة ، وسألها إن كانت
مستعدةً للزواج على أن يكون مهرها تعليمها هذه السورة من القرآن ، فردَّت
بالإيجاب ، وتم العقد .

وهذا ما كان يريده (صَلَّى الله عليه وآله) ؛ لا أقول يجب الالتزام بمثل
هذه الحادثة ، ولكنني أسأل لماذا نكون مقيدين بهذه الأغلال التي نبتلي بها
جميعاً من العلماء والكسبة والمزارعين والقرويين وأهل المدن والمقدسين
وغيرهم وخاصةً المقدسين الذين يكثرون من هذه الاستخارات ومن هذه
الذرائع والشروط التي تُبَالِغُ فيها وصنعنا بها هذا السد ؟ .

عندما يجلس الشاب في مراسم عَقْدِهِ يُشْغَلُ ذَهْنُهُ بكيفية تسديد الأموال
التي اقترضها من أجل شراء الذهب المطلوب ، وهل يمكنه تسديدها أو
لا ؟ ! .

فلماذا وضعت هذه العقبة ؟ .

وما هو النقص الذي يُوجِّدُ الزواج بلا ذهب ؟ ! .

ثَقُّوا بأنَّ الله يتلطف برزقهم فيما بعد ، فلا يمكن أن يحبس الله أجره
عَمَّن يعمل في سبيله .

أنتم تعملون لأفراد عاديين ، فيشكروكم فهل يمكن أن لا يفعل الله
تعالى مثل ذلك ؟ ! .

أيتها السيدة الوالدة ، الذهب يأتي فيما بعد أيضاً ، فليكن هدفك هو

العثور على زوجٍ صالحٍ لا بُتَكَ يُجِبُّها أو لا يلحق بها الأذى إذا لم يُجِبُّها .

فهذا ما لا يسمح به تدبُّنه كما ينبّه لذلك الإمام الصادق (عليه السلام) فهو عندما يرى أن زوجته لا تمتلك الحلي الذهبية ، فسيفتني لها ذلك بما استطاعَ ، فلا حاجة أن تثيروا هذه العقبة في وجهه منذ البداية ، فتجرحون مشاعره وأحاسيسه قبل العقد .

قضية أخرى أريدُ التنبيه عليها هنا ، وهي أن لا تضاعفوا كلَّ يوم هذه الطلبات ، ففي الأقل أن تقتنعوا بالمقدار الموجود ؛ فقد كان من الرسوم المتعارفة - وإن كان خطأ - هو أن يرسلوا للشاب مقداراً من الفاكهة مع نوعٍ من الملابس ، ثم أضافوا إليه الحلويات وقالوا هي ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها ثم قالوا لا يمكن أن نعطي للشاب دون والدته ، فأضافوا شيئاً آخر لوالدته ، وألزموا بذلك الأب أن يقترض لتوفير هذه « الضروريات » !! .

فهذا المسكين الذي لا يملك ما يشتري به فاكهة أو خضرة مع طعام إفطار عياله أصبح عليه أن يشتري شيئاً لوالدة صهره المستقبلي ، ليُدخل السرور إلى قلبها !! .

ولكن إذا كانت هذه الوالدة سيئة الأخلاق ، فلن يسرها ذلك وإذا كانت حسنة الأخلاق ، فهي مسرورة على كلِّ حالٍ فلا يمكن استجلابُ الودِّ بهذه التقاليد غير الصحيحة .

نحن نشبهه عندما نتصور ذلك ، والسر هو أننا خلطنا بين فتحات (مواقع) الدعاء !!

ينقل جلال الدين الرومي أن شخصاً كان يقرأ في محلِّ قضاء الحاجة الدعاء المأثور أن يقرأ حين التمضمض عند الوضوء ، ويقرأ حين التمضمض الدعاء المأثور أن يقرأ حين قضاء الحاجة ، فقال له من اطلع عليه : - لقد حصلت على وردٍ جيّدٍ ، ولكنك خلطت بين فتحات (مواقع) الدعاء !! .

نحن نتوهم أن المودة تستجلب بالذهب الكثير الذي نقدمه للعروس ولكن ذلك لا يستجلب غير المشاكل ، فالمودة من الله ، وهذا ما يؤكده القرآن : - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (١٠) .

فهو يؤكد أن عليك أن تقوي علاقتك بالله ، وتعرف ما يريد (بشأن الزواج) إذا أردت أن تتعزز المودة بين ابنتك وصهرك .

أقسم عليكم بالله . (أن تجيوا) هل يستطيع أحد أن يقول بجرأة : إن مراسمتنا هذه في الزواج تحظى برضا الله وإمام العصر ؟ .

وهل يرضى الإسلام بهذه العقبات التي نضعها بوجه الزواج ؟ ! .

إن هذا ما لا يرضاه النبي (صلى الله عليه وآله) وولي العصر (عليه السلام) والزهاء (سلام الله عليها) فتعالوا نحطم هذه العقبة أيضاً .

٣- ارتفاع المهور :

العقبة الثالثة التي تحولت إلى مصيبة هي قضية ارتفاع المهر ، ففي السابق كان الذين لا علاقة لهم بالثورة والقيم الدينية يشترطون مهراً بمبلغ مليوناً واثنين وثلاثة ، ثم اصطبغ نفس هذا الموقف بصبغة ثورية ، فأصبحوا يقولون (١٢٤) ألف من مسكوكة « الحرية » الذهبية تيمناً بعدد الأنبياء !! .

ومعلوم أن من يقول ذلك لا يريد التزويج .

ثم أضافوا في العديد من المناطق - ومنها مدينة قم - شيئاً خرافياً بعيداً عن العقلانية سموه ثمن الرضاعة وهو بدعة سيئة وكأن الوالدة تطالب الزوج بثمان اللبن الذي أرضعته بنتها !!

والغريب أن المال الذي يُقدَّم تحت هذا العنوان يأخذه الأب ؟ ! .

(١٠) سورة مريم / ٩٦ .

فما أقيح هذه البدعة ! .

كأن البنت بضاعة تباع ، فثمن الرضاعة يعني بيع البنت .

ويفتي الكثير من الفقهاء بأن لا يجوز للفقير أن يتحمل بذمته مهرأً ضخماً ، وبعضهم - ومنهم مرجعكم في التقليد - يقول إن الذمة واسعة فيمكنه أن يجعل مثل ذلك في ذمته ، وإن لم يكن يستطيع التسديد فلا يستطيعون أخذه منه .

ونقرأ في الروايات وَصَفَهَا ارتفاع المهر بأنه علامة شؤم الفتاة^(١١) ، فإذا فُقدت المودة فما جدوى ضخامة المهر ؟ ! .

أنتم تطلبون مهرأً ضخماً لكي توجدوا بذلك رابطة بين هذا الشاب وبين ابنتكم ، فإذا لم يكن يودها أو لم ينسجم معها - لا سمح الله - فماذا يجدي أن يدير بصورة جيدة جداً شؤون ابنتكم من جهة المصارف المالية والترفيهية ، ويتعامل معكم بما تُحبُّون ، لكنه عندما يدخل بيت الزوجية يتنفخ (تكبراً) ولا يتحدث .

وقد يمر اليوم الأول والثاني والعاشر مُفْعَماً بما يُحوَّل هذا البيت فيما بعد إلى سجن ، بل إلى أسوأ من السجن بالنسبة لابنتكم حيث تجد زوجها عبوساً بوجهها ولا يتحدث معها وإن كان لا يضربها ولا يشتمها ، لكي لا يُقال له : - لست بمسلم ؛ ومع هذا الحال لا يمرّ عامٌ حتى تصرخ هذه البنت لا أريد هذا المهرَ إنني أتنازل عن كل ما أملك من أثاثٍ وغيره لكي أحرر نفسي ؛ وعليه ، فالمهرُ الضخم لا يمكن أن يوجد عامل ارتباطٍ ومودةٍ في الزوج .

أجل ، أقول لكم : إنني في المقابل أرفض بعض الأعمال الشورية المتطرفة كأن يتم الزواج دون مهر ، فهذا أيضاً ليس صحيحاً ، أو أن يكون المهر نسخة من القرآن الكريم أو خمس سبائك من « مسكوكة الحرية » ولا أن

(١١) جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ١٠١ وراجع ايضا المحجة البيضاء ج ٣ ص ٩٠ .

يكون مليوناً وأكثر فهذا إفراط ، كلا فلا إفراط ولا تفريط : - « لا يُرى الجاهل إلا مُفَرِّطاً أو مُفَرِّطاً » (١٢) .

إذن فكيف يكون العمل الصحيح ؟! الجواب هو وفق الحد الوسط ؛ فتجب مراعاة وضع الشاب والفتاة ، ومعرفة ما الذي يناسب شأنها وما يناسب إمكانية الشاب .

وكثيراً ما يحدث أن تُوجّه ضربةٌ للموَدّة المتقابلة في نفس ليلة التحدّثِ حول موضوع المهر ومراسم الخطبة والزواج بين أُسْرَتَي الشاب والفتاة ؛ وكأن الحديث عن شراء منزلٍ فيسأل هذا : - بكم ؟! .

فيقول : - مليون فيطلب الطرف الأول تقليل السعر .

وهكذا يتقابل اثنان من هذا الطرف وإثنان من الطرف الآخر في عملية « مماكسة » حتى يستقر الأمر على مبلغ معين لشراء البيت ! ونفس الأمر يجري في الخطبة .

وقد يجرّ النقاش إلى تبادل الكلمات الجارحة والتخاصم والتهاجر ، وبذلك توجه الضربة للموَدّة منذ البدء ، والموَدّة مثل الزجاجة يصعب إصلاحها إذا انكسرت ؛ وتبقى أم الزوج تكره زوجة ولدها إلى آخر العمر .

وفي المقابل تبقى والدّة الزوجة تكره زوج ابنتها إلى النهاية وما أتعس الزواج الذي يقع فيه نزاع .

٤ - الولائم الضخمة :

والعقبة الرابعة هي الوليمة ، فقد ندب الإسلام إليها ، لكن ما الوليمة التي ندب إليها الإسلام ؟

إنما هي التي أقامها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في زواج الزهراء

(١٢) نهج البلاغة : الحكمة رقم ٦٧ .

(عليها السلام) فقد ذبح كبشاً ودعا فقراء المدينة الذين قلما أكلوا لحماً ، فأطعمهم منه ، ثم أمر بتوزيع ما بقي منه على الفقراء الذين لم يستطيعوا أو لم يرغبوا (استحووا) في المجيء ، وبعدها حملوا العروس إلى منزل زوجها ، ولكن هل في الولائم التي تُقام حالياً غير المشاكل والأذى لوالد العروس ؟ ! .

نرى والدًا لا يزوج ابنته ، وعندما نفتح قلبه ونستمع لقوله نرى أن سرُّ ذلك يكمن في عدم قدرته على إقامة الوليمة (بالهجرة المتعارفة ، ولذلك يتذرَّع بحججٍ أخرى ، فيتجاوزُ عمر ابنته العشرين والخمسة والعشرين عاماً وهي في بيت أبيها بسبب ذلك .

فمثل هذه الولائم انحرافٌ وبؤس وأقول لكم أنه ليس فيها ولا ذرة من ثواب ، فالوليمة تُقام لمباركة الزواج والتي نقيمها الآن لا تبارك في الزواج بل على العكس تسلبُ البركة .

ومن الممارسات المنحرفة أيضاً هي قضية الإطعام الذي يقدم في المآتم ، فنرى أحياناً شخصاً توفي والده ليكنه يُشغل بمصيبة الإطعام الذي يجب أن يقدمه ، ويذهل عن مصيبتة بوالده ليلاً ونهاراً للمعزين ، فنرى أحياناً أن ابن المتوفى قد يصرف مئتي ألف أو ثلاث مئة ألف توماني (العملة الإيرانية) من أجل إقامة مراسم العزاء .

وقد يبيع داره بسبب ذلك في حين أن الإسلام يأمرنا بعدم السماح لأسرة المتوفى بطبخ الطعام لمدة ثلاثة أيام وإعداد الطعام لهم وعدم تركهم يبقون في منازلهم ، ونهى عن الذهاب إلى بيتهم لأكل الطعام فهذا أمرٌ مكروه ، حتى شرب الشاي مكروه في منزلهم أيضاً .

قبل أيام جاءني شاب ، وذكر أن أباه قد توفي واقترض سبعين ألف تومان من أجل إقامة مراسم العزاء على الرغم من أنه اقتصد كثيراً في المصارف ، فالفرد يتوفى والده ، فتكون مصيبتُهُ الأولى هي إطعام المعزين - ليلاً ونهاراً -

حتى يتم الأسبوع وهو نفسه جاهل إذ يقولون له لا يحتاج الأمر إلى القيام
بالإطعام على مدى أسبوع ، فيرد بأنهم لم يدفنوا « بنجراً » !! .

فأي جواب هذا ١٩ .

إنَّ والدك المسكين يتأذى - وهو في قبره - من وقوعك تحت ضغط
الاقتراض ومنك لتصديقك بهذه الخرافات ومن الذين يأتون يأكلون الطعام
ويتأذون لأذى أسرته !! .

إذا أردت حقاً أن تُقيم وليمة ، فليكن اهتمامك بالفقراء و« الأغنياء من
التعفف » يُنقل أن امرأة كانت تُعدُّ كلَّ أسبوع مقداراً من الحلوى وتعطيه لولدها
لكي يذهب به إلى قبر والده ، فيأكل كلُّ واحدٍ من المارة منها شيئاً ، واستمرت
على هذا الحال فترة . ومرةً كان ابنها جائعاً ، وقد اشتهى الحلوى عندما أعطته
طبقها - كالمعتاد - فلم يذهب بها إلى المقبرة ، بل إلى خلوة أكل فيها الحلوى
كاملة .

وفي الليل رأت المرأة في عالم الرؤيا زوجها وهو في غاية السرور ، وقال
لها : - لم يصلني شيءٌ من الحلوى التي كنتِ تقدِّمينها على مدى عامٍ كاملٍ ،
ولكن البارحة وصلتني ، وكانت لذيذةً للغاية .

فعلينا أن نفكر بأيام المتوفى وأسرته ولو كنّا متمكِّنين مالياً ونريد تقديم
شيءٍ فلنقدمه للفقراء والضعفاء والمساكين ، وليس للقادرين على تهيئة الطعام
المناسب ، بل ليس صحيحاً أن نزاحم هؤلاء وندعوهم للوليمة ، ونقترض من
أجل إعدادها من هنا وهناك لهذه المادّة الغذائية وتلك ، فنقع تحت ضغط
الديون ، حتى نموت نحن أنفسنا غمّاً .

إنَّ طريقة إقامتنا لولائم الزواج والإطعام في المآتم غيرُ صحيحة ،
فيجب الكفُّ عن هذه الخرافات التي لا يرضاها لنا الله ولا رسوله ولا الأئمة
الأطهار (عليهم السلام) ولا إمام العصر - بقيّة الله - عجل الله تعالى فرجه
الشريف .

المحاضرة الخامسة : =

الفصل الثاني

- ٥- ضخامة الجهاز
- التأثيثي
- ٦- المسكن
- ٧- التفاخر
- البخل
- الخلاصة

٥ - ضخامة الجهاز التأثيثي :

الخرافة (العقبة) الخامسة الموجودة خاصة في الزواج المتعارف في عصرنا الحاضر هي ضخامة الجهاز التأثيثي الناشئة من التفاخر ، وهذه الحالة الترفيئة مخالفة للشرع .

فتاة يبلغ عمرها الثلاثين عاماً دون أن تستطيع أن تتزوج ، لأنها لا تستطيع تهيئة الجهاز التأثيثي الذي هيئته بنت الجيران !!^(١) .

والد يرى ابنته قد كبرت والخاطبون يأتون واحداً بعد الآخر ، وهو يتعذر رافضاً بكونه يعلم أنه لو وافق ، لوجب عليه عرفاً أن يهيئ الجهاز التأثيثي بمستواه المتعارف الآن - بحده الأدنى - فضلاً عن المقدار الضخم القاصم للظهر !! .

الجهاز التأثيثي هنا أمر واجب ، ولكن بأي شكل ؟! .

الجواب هو الجهاز الذي على نمط ما أعطاه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) للزهراء البتول (عليها السلام) وهذا يجب على الشخص تهيئته ، فإن لم يستطع وجبت تهيئته على الحاكم الإسلامي ، فإن لم يستطع وجب على

(١) من المتعارف في إيران وعدد من البلدان الأخرى أن تقوم عائلة الفتاة بتهيئة الجزء الأكبر من وسائل بيت الزوجية .

الناس كافة ، لأنه من ضرورات المعيشة .

عندما تقرر تزويج الزهراء (سلام الله عليها) أرسل والدها (صلوات الله عليه) رجلين وامرأة إلى السوق - لإعداد الجهاز التأثيثي فاشتروا سبع عشرة مادة بلغت قيمتها ثلاثة وستين درهماً وهو العملة المتداولة في ذلك الزمان ، وشملت خمراً واحداً وليس عدة عباءات من التي نجهز بها نحن من الأقمشة الغالية التي تُسِيءُ لشخصية المرأة ، حيث يجسد تقاطيع بدننا ، بل كان خمراً عادياً مثل «المقنعة» ، وقميصاً (ثوباً) وهبته الزهراء لفقير، وذهبت بنفس القميص القديم الذي كانت ترتديه في النهار إلى بيت زوجها ، وعندما سألها أبوها - في صبح عرسها - عن القميص ، أخبرته أنها أنفقته في سبيل الله ، فسألها عن سر عدم تصديقها بالقميص القديم ، أشارت إلى قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٢) .

واشتمل جهازها على جلد كبش للجلوس عليه وفراشين حشو أحدهما ليف وسقاء طيني للماء وقعب طيني للبن .

وعندما نظر (صلى الله عليه وآله) لهذا الجهاز انهمرت من عينه دموع الشوق - وطلب من الجميع ولا سيما السيدات أن يتأملن في أمر هذا الجهاز ، الذي دعا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وبعد أن رآه الله - عز وجل - أن يبارك به فأغلبه من الطين وكان بمقدار المعيشة الضرورية للسيدة الزهراء (عليها السلام) (٣)

(٢) الحادثة تجدها في كتاب رياحين الشريعة ج ١ ص ١٠٦ باختلاف يسير والآية الكريمة هي من سورة آل عمران / ٩٢ .

(٣) كتاب العوالم ج ٦ الخاص بالزهراء ص ١٧٤ وفيه : « فلما نظر إليه (الجهاز) بكى وجرت دموعه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : « اللهم بارك لقوم جُلُّ آياتهم الخبز » وحديث التزويج طويل ينقله البحراني في العوالم نقلاً عن « كشف الغمة » ج ١ ص ٣٧٠ وهو مروي في البحار أيضاً ج ٤٣ ص ١٣٤ .

إذن فالجهاز ضروريٌ ، ولكن بمقدار الضرورة ، فكيف نتعامل مع هذه الخرافات وهذا التفاخر الذي يجعل والدة العروس تشعر وكأنها في الليلة الأولى من إدخالها القبر إذا لم يكن الجهاز ضخماً متكاملًا فهي تفكر بالضجيج الذي ستيثره أم الزوج .

وقد يصل الحال - مع الأسف - إلى حدّ القيام بتصرّفات مخجلة ، كأنّ تيمّ إعادة الجهاز وعدم قبوله ، وبذلك يتّضح أنّ هذه العقبة الخرافية تمنع ذهاب العروس إلى بيت زوجها وتعيق الزواج .

أيها السيد المتحضرّ الثري إذا أردت تقديم هذا الجهاز فافعل ولكن لا تُصر على هذه الخرافات والبدع ، فقبلًا لم يكن متعارفًا تقديم مُجمّدة «موبليا» فجاء تريّ أحمق ، وابتدع تقديم ذلك ضمن الجهاز ، وتلاه أحمق آخر فأضاف سجّادات ثمينة إليه ، وهكذا .

فتعالوا للقيام - في سبيل الله - وكحدّ أدنى بما من شأنه أن يحدّ من اتّساع هذه النار المحرقة ومن ترويع هذه البدعة .

أنا لا أقول : - لا تقدّم شيئاً لابنتك ، فإن كنت ثرياً ، فسجّل باسمها - إن شئت - ملك بيت عندما تذهب إلى بيت زوجها ، ولكن دون أن يعرف أحدٌ أعطها كلّ ما تملك .

ولكن لا تفعل ذلك (بحيث يتحوّل الأمر إلى عرف) فلا يستطيع الفقير القيام به ، فتبقى ابنته في بيته ، فهذه عقبة خرافية مخالفة للشرع ، ولن يباركها الله .

فهل تصوّرون أنّ الله يبارك مثل هذا الزواج ومثل هذا الجهاز ؟ .
لا فعادة لا يكون فيها خير وبركة خاصة إذا كانت العروس بخيلة ، فتمنع زوجها من التصرف أصلاً في جهازها وأثاثها ، حتى ثلاثتها .
وإذا فعل . ارتفع صُراخها وكان جهازها يجب أن يصير تحفة أثرية تبقى

قرناً وقرنين !! .

وعلى الزوج أن يستعمل الأوعية القديمة !! .

٦- المسكن :-

وهو يشكل العقبة الخرافية (المبتدعة) السادسة وقد وصل وضعنا العملي درجةً أصبح معها حتى القرويون يرفضون الحياة المشتركة ، بمعنى أن والدته الزوج ترفض العيش مع العروس ، وهذه ترفض العيش مع أم زوجها ، وتطلب بيتاً مستقلاً ، ولو مستأجراً .

وهذه من المشاكل الكبيرة المانعة لزواج الشباب ، فمرتب الشاب لا يكفي للمصارف اليومية فكيف يمكنه دفع إيجار المنزل والعروس ترفض الزواج إلا في منزلٍ مستقلٍّ ، وأصبح الحال أن السؤال الأول الذي يوجه للخاطب حول امتلاكه لمنزلٍ مستقلٍّ ، فلا يسألون عن تدينه وأخلاقه على الرغم من أن امتلاكه الدار وفقدانه للذين والأخلاق يجعل داره سجنًا لزوجته ، أي : كأنهم أول ما يسألون عنه هو : - هل لديك سجنٌ ؟ .

في السابق لم تكن هذه المشكلة الصعبة مطروحة ؛ فكان الأب والأم مع أبنائهم الأربعة المتزوجين في دارٍ واحدة ذات خمس غرف يسكن الأب وزوجته في غرفةٍ وكل واحدٍ من الأبناء مع زوجته في غرفةٍ والجميع يعيشون في رفاهيةٍ وهناء .

أمّا الآن ، فقد أصبح أمر المسكن مشكلةً صعبةً ، لأن الناس أصبحوا مبالغين للدعة والراحة ، وهذه هي إحدى مشاكل إيران .

ينقل أحد كبار علماء إصفهان : « جاءني شابٌ وقال لي : إن أمه وأباه يرفضان تزويجه وهما يكتنان الاحترام لي وطلب أن أزورهما وأتحدث معهما لكي يزواجه ، فذهبتُ صباح أحد الأيام إلى منزلهم فعبثاً عن بالغ الاحترام لي وهما في عجب من زيارتي لهما .

وبعد تناول طعام الإفطار أُلقيت محاضرة كاملة استمرت ساعة على
الوالدة وقلت وقلت عن أهمية الزواج .

وإذ انتهيت أجابني بكلمة واحدة فقط ، هي : - مولانا إنني مدمت على
قيد الحياة ، فلا يمكن إدخال كَنَّة (زوجة ابن) إلى بيتي !! .

وعندها - يضيف هذا العالم - خاطبت الشاب قائلاً : - إذن فادع للوالدة
بالموت !! » .

أجل لقد وصل الحال درجة رَفُضِ الوالدة قبول عروس ابنيها ، وهكذا
حال العروس على الطرف الآخر .

وإحدى المشاكل الأخرى هي قضية « إكمال الدراسة » للشباب والشابة ،
ولا سيما للشباب :

الشاعر الفردوسي في القصة التي كتبها يذكر أن رستم - بطل القصة
الأسطوري - لم يصل إلى هدفه إلا بعد أن تجاوز العقبات السبع حيث قتل
العفريت الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث .

ولكن إذ تجاوز الشاب - اليوم - العقبات السبع التي ذكرتها واحدة بعد
الأخرى وجاءت عروسه إلى بيت الزوجية فهل تنتهي مشاكله ؟! كلا .

٧- التفاخر !!

يبدأ أولاً قتال فردي ونزاع بين الزوج والزوجة ، وهو نزاع تسببه المعيشة
التفاخرية التي تولد بطبيعتها النزاع ولودرسنا الاختلافات التي تقع بين الأزواج
والزوجات لوجدنا أن (٨٠٪) منها ترجع إلى ذلك الطراز التفاخري والحالة
الترفيهية في المعيشة ، فمثلاً عندما تأتي الفتاة إلى بيت زوجها تلبس بدلة ، ثم
ثانية ، ثم تطلب بدلة ثالثة ، أي : أنها ترفض ارتداء نفس البدلة في أكثر من
محفل واحد ، ولأن الزوج لا يستطيع الاستجابة لذلك ، يبدأ النزاع من هنا .

فالزوج يقول : كان المفروض أن يعطيك أبوك ذلك ، فتردّ عليه : لا لقد أدّى أبي ما عليه ، والآن عليك أنت أن تدفع ، فتبدأ من الشهر الأول طلبات الألبسة وطلبات الحلي الذهبية منذ العام الأول ، فيقع الاختلاف ، ويصل الأمر شيئاً فشيئاً إلى أن تطلب منه مهرها لكي تشتري ألبسةً وذهباً ، وتقول له : إن مهري هو حقّي ، ويجب أن تُعطيني إياه ، لكي أعيش حياةً مرفهةً !! .

ولا تصورا أن الأمر ينتهي حتى إذا حصلت على ما تريد وتجاوزت « العقبات السبع » .

لا ، فإذا كان « رستم » قد وصل بعد أن عبرها إلى مقصوده ، فنحن إنّما نصل إلى بداية الاختلاف ومعاناة « ماذا أفعل » ؟ .

نعم لقد وصل الحال بنا إلى حيث أن الرجل عندما يتزوج يرى أنه قد سقط في فخ كبير ونفس الشيء تقوله المرأة !! .

إن ما تحدّثنا عنه أمس واليوم هي أمراض اجتماعية وغدد متعفّنة تشكّل سرطانياً يدمّر المجتمع .

أمّا علاجها ، فهو يسير ، إنّه آية قرآنية لو عمل بها مجتمع المسلمين ، لزالَتْ كلُّ هذه الأمراض والعقبات ، ولزال هذا النزاع الفردي مع العقبات الخرافية الست الأولى التي ذكرتها ، ولانتهت مشكلة الأمية ، وهي مشكلة أساسية ؛ يقول القرآن الكريم في وصف المؤمنين : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً والذين يقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً إنّها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ (٤) .

(٤) سورة الفرقان / ٦٣ - ٦٧ .

فالمؤمن لا يسرف في إنفاقه ، ولا يدخل في (مسابقة) التفاخر بالإنفاق ، فمعيشته ليس فيها تجمل ترفي ، لكنه في نفس الوقت ليس بخيلاً بل يلتزم الاعتدال : ﴿ وكان بين ذلك قواماً ﴾ .

فلو اجتنب الإنسان فكرة المعيشة المترفة والتفاخر بها ، وعاش ببساطة لزالَت العقبات الخرافية ولاستطاع الشاب التزوج ومواصلة دراسته الجامعية في نفس الوقت .

وما تراه من عدم قدرة الشاب حالياً على الجمع بين ذلك ناشيء من كون المجتمع قد تم تقييده بتلك العقبات الخرافية وبالحياة التفاخر بالترف التي يعتبرها القرآن إفراطاً .

ولاً لاستطاع مواصلة دراسته الجامعية بصورة جيدة وإدارة مصاريفه الزوجية بصورة جيدة أيضاً .

● البخل :

الإسلام نهى الإنسان عن البخل في الإنفاق ، وذمَّ البخل بشدة ، قال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم سيُطوفون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراثُ السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ (٥) .

وعليه ، فلا يتصور - الذين لا ينفقون أموالهم في التوسعة على عيالهم وجعلهم في رفاهية - أن ما يقومون به هو عملٌ جيّد ، بل على العكس ، فالقرآن يحذّرهم من أن أموالهم ستتحول يوم القيامة إلى طوقٍ من نارٍ يُحيط بأعناقهم ، ويدخلون المحشر بهذه العلامة الفاضحة .

فالقرآن يعتبر البخل عملاً سيئاً ، وينهى المستطيع عن التضييق على

(٥) سورة آل عمران / ١٨٠ .

زوجته وأطفاله في الإنفاق ، وينهى عن أن يلهج لسان الإنسان بكلمة (لا أميك) يصفع بها زوجته أو أطفاله كلما طلبوا منه شيئاً ، حتى إنه لو سألوه هل لديك إيمان لأجاب : « لا أميك » التي اعتادها لسانه !! .

ولم تكن لدينا - آية أو حديث شريف ينهى عن البخل - غير هذه الآية الكريمة ، لكفنتنا في أن نجتهد لاجتناب البخل في حياتنا - في البيت ومع المجتمع - وأن نهتم بالإحسان للآخرين ، فعار علينا عظيم أن نرد المحشر يوم القيامة مطوقين بطوق من نار مشكلته أموالنا .

ومثلما أن البخل انحراف ، كذلك حال الإسراف أي : الحياة المترفة والتفاخر بها وبالمظاهر ، فالقرآن يعتبر ذلك سبباً لفساد المجتمع ودماره : يقول - تعالى - ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ (٦) .

ولا تتوهّموا أن دمار المجتمع المترف يكون بزلزال مُدمر ، بل إن هذه الحياة الترفية الزاهية بالمظاهر التي انجر لها عالم اليوم بهذا التفاخر بالمظاهر ، هي أشد تدميراً من أخطر زلزال وأصعب من كل مشكلة ، فاقسم عليكم بالله أن تتفكروا في : - أي من تلك العقبات الخرافية التي تحدثنا عنها أقل تدميراً من الزلازل وصواريخ صدام .

يشير القرآن الكريم إلى أن التفاخر بالمعيشة المترفة يقود الإنسان إلى السقوط في كبائر الذنوب ، يقول - تعالى - : ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم * إنهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرّون على الجنت العظيم ﴾ (٧) .

فآيات الكريمة تُشير إلى أن إتراف المترفين يدفعهم إلى الوقوع في

(٦) سورة الإسراء / ١٦ .

(٧) سورة الواقعة / ٤١ - ٤٦ .

الذنب العظيم ، كما أن القرآن يؤكد أن المترفين هم الذين يعرقلون حركة الأنبياء ، لأنهم يرون في الأهداف النبوية تهديداً لترفعهم يقول تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ (٨) .

فلو لم يكن هناك تحذير من الحياة الترفية التفاخرية والإسراف والتبذير سوى هذه الآية الكريمة لكفت في دفعنا لاجتناب الإسراف والتبذير والتفاخر في حياتنا .

يُنْقَلُ في كتاب « معراج السعادة » أن رجلاً بَلَغَ به البخل أنه وَضَعَ مقداراً من اللبن المخمر في زُجاجة كان يضعها وسط السفرة ، ويقول لعياله : امسحوا الخبز بالزُجاجة ، وكلوا خبزاً ولبناً . وذهب يوماً في سَفَرٍ ، فوضع الزجاجة في مكانٍ وأقفله ، وعندما رأى الأطفال أن أباهم تأخر أخذوا بَمَسْحِ الخبز بالقفل ، وشرعوا بأكله ، فدخل عليهم أبوهم وشاهداهم يفعلون ذلك فَضَرَبَهُمْ ، ونهرهم قائلاً : - ألم تستطيعوا أَكْلَ الخبز وَخَدُّه ولا ليومٍ واحد !! .

أجل هذا ما يوصل له البخل والبخل حقيق جداً حيث يُحرم نفسه حتى النوم والراحة .

إذن ما هو حد المعيشة المريحة ؟ ! .

الجواب هو أنها التي يستطيع فيها الإنسان الحصول على حاجته من الطعام والمسكن والملبس وبالمقدار الكافي .

يُروى أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يسيرُ مع أصحابه ، فالتقوا براعٍ وطلبوا منه شيئاً من اللبن ، فأبى ، فدعا له الرسول ربّه أن يرزقه ما لا يستطيع عدّه من الأموال !! .

(٨) سورة سبأ / ٣٤ .

ثم ساروا حتى التقوا راعياً آخر ، فطلبوا منه شيئاً من اللبن ، فأعطاهم ما أرادوا بكثير من التوقير والتكريم ، فدعا رسول الله له بالكفاف !!

فتعجب الأصحاب ، واستفسروا منه (صلى الله عليه وآله) عن سرّ الدُّعاء للأول بأفضل ممّا دعا به للشاني فأوضح لهم الرسول أنّ الدُّعاء الأول كان طلباً بانزال المشقة لا أكثر !!^(٩) .

فالذي يجعل الحياة مريحة للإنسان هي المعيشة البسيطة المرفهة الخالية من الغلّ (القيود) والغشّ والمشاكل .

وهذه المعيشة لا تُضعف أعصاب الزوجة والزوج وهي الحياة المرفهة بالإنفاق ، وليست الحياة الترفيئة التي تدق أعناق الرجال ، وتسترقهم كما يبين أمير المؤمنين (عليه السلام) .

● خلاصة البحث :

وخلاصة كلامنا هي أن الواجب علينا القيام بثورة وإيجاد تحوّل في حياتنا ، والقيام بإعادة إعمار البناء الأخلاقي .

ومن هنا تبدأ الخطوة الأولى أي : من موضوع الزواج ، فعلياً أن نسحق تلك العقبات الخرافية الواحدة بعد الأخرى ، لتكون حياتنا كريمة ، وليست مُترفة .

فالمسلم (الحقيقي) يسعد أن يجعل أربعة أو خمسة أو ستة أشخاص أصحاب مسكن فيوفر بذلك بمقدار سعته معيشة متوسطة للآخرين إضافةً إليه نفسه .

أيها السيّد وأيتها السيّدة ، إنّ لنا احتياجات معنوية روحية مثلما لنا احتياجات مادية .

(٩) راجع سفينة البحار ج ٢ ص ٤٨٥ .

فمن الجهة المادية يجب علينا توفير احتياجاتنا البدنية ، فيجب أن تكون لنا حياة مرفهة ، ولكن الأهم والأسمى توفير احتياجاتنا الروحية ، وهذا ما لا يتحقق بامتلاك طعام جيد ومسكن جيد وزوج أو زوجة جيدة ، بل احتياجاتنا الروحية يتم توفيرها - مثلاً - بقيامنا بنصرة مظلوم أو معونة فقير أو القيام بتزويج فتاة أو شاب مرة واحدة - في الأقل في كل عام مثلاً كان يفعل أمير المؤمنين والزهراء (عليهما السلام) الزهراء المرضية كانت عباءتها مرقعة لكنها وهبت الكثير من العباءات للآخرين ، والمولى أمير المؤمنين كان ملبسه مرقعاً ، لكنه كان ينفق الكثير من الملابس للآخرين وكان ينفق على تزويج الكثيرين من الفتيات والفتيان .

والزهراء كانت تملك « فدكاً » وقميصها كان من قماش « الكرباس » وعباءتها مرقعة !! .

زار أحد التجار وزوجته المرحوم آية الله الصدر^(١٠) فذهبت زوجته إلى القسم الداخلي من بيت المرحوم الصدر ، فيما ذهب هو إلى القسم الخارجي حيث كان محل عمل المرحوم الصدر ؛ عندما طرقت زوجته الباب فتحته لها السيدة زوجة الصدر ، فرأت ملابسها رخيصة جداً ، فتصورت أنها خادمة في المنزل ، فسألتها : أين سيدتك فإني أريدها هي ؟ ! .

فخجلت زوجته أن تقول : إنها هي سيدة الدار ، فقالت لها : إنها غير موجودة !!

وعندما جاء المرحوم الصدر - رضوان الله عليه - إلى منزله لاحظ الأذى بادياً بشدة على زوجته ، فسألها عن ذلك ، فأجابته أن زوجة التاجر توهمتها خادمة ، فسألها عن سيدة الدار ، فردت بأنها ليست موجودة .

(١٠) أحد كبار علماء قم ومراجعها عند ورود آية الله البروجردي إليها .

فقال المرحوم كلمةً ساميةً للغاية هي كلمةٌ مَرْجِعٍ للتقليدِ ، قال لها :
- صدقتِ لأنك لستِ سَيِّدَةً ، فالسَيِّدَةُ هي تلك التي كانت في عباءتها رُقعتانِ
و« فَذِكُّهَا » كانتِ لِلْفُقَرَاءِ وَالضُعَفَاءِ وَالْمَساكِينِ .

وما أبلغ ما قال ! .

إنَّ الرجلَ (الحق) ليس الذي تكون له حياة التفاهيرِ بالمظاهرِ المُتَرَفَةِ ،
بل الذي يُعِينُ مِسْكِيناً عَفِيفاً فيؤدِّي عنه دَيْنَهُ .

وإن السيدةَ ليست تلك التي ترتدي لكل مجلسِ بدلةَ خاصَّةَ تبدلها في
المجلسِ الآخرِ وهكذا ، وليست التي ترتدي « مُلَاءَةَ الشيرمن »^(١١) (المَجْسَدُ
لِتَقاطيعِ بدنِها) ، فهذا يُسيءُ إلى شخصيتها إساءةً توجَّهها بنفسِها ؛ إذن فمن
هي « السيدة » ؟ ! .

إنَّها تلك التي تستبدل « مُلَاءَةَ الشيرمن » بأربعٍ أو خمسٍ أَوْسِيَّتٍ من
النوع الذي يكون حجاباً حقيقياً) وتأخذ واحدةً لها وتوزِّعُ البقيةَ بينَ المسكيناتِ
اللاتي ما زلنَ في المنزلِ ، ولا يمتلكن مُلَاءَةً ، ليذهبنَ إلى منزلِ الزوجيةِ .

إنني أدعوكم للتفكيرِ قليلاً في هذا الموضوع ، سعيّاً لرضا الله وصالح
أطفالِكم ولأجل أن تكونَ عاقبتُكم حُسْنَى ، ولأجل إسلامِكم ورضا إمامِ زمانِكم
- عجل الله تعالى قرجه - .

لا تَقُلْ إنَّ مُستوى هذا البحثِ هابطٌ ، بل عالٍ جدّاً ولكن ماذا أفعل :

إذا كان السمعُ سمعَكَ والنحيبُ نحيبي
فبديهي أن الشكوى لن يسمعَها
أحدٌ^(١٢)

(١١) الشادور اسم إيراني يطلق على لباسٍ تتحجب به النسوة يشبه العباءة بعض الشيء ،
والـ « شيرمن » نوع من القماش الغالي يستخدمه الأغنياء لصنع الشادور .

(١٢) ترجمة نثرية لبیت شعر بالفارسية .

اللهم . . إنا نسألك بحق « باب الحوائج »^(١٣) بحق الذي آثر غاية
الإيثار ، بحق الذي امتنع (وهو ظامئ) عن شرب الماء ذاكراً لِعطش عيالِ
أبي عبد الله الحسين ؛ نسألك بحقّه أن تتلطفَ علينا جميعاً بنعمة امتلاكِ صِفَةِ
التضحية والفداء والإيثار .

(١٣) يُطلق هذا الوصف على عدد من عظماء أهل البيت والمقصود هنا هو أبي الفضل العباس بن
أمير المؤمنين (عليهما السلام) .

المحاضرة السادسة : =

الفصل الثالث

- قدسية البيت
- الخدمة في المنزل
- تأثير المال الحرام

● قدسية البيت :

بحسبنا هو عن أخلاق الأسرة والفصل الثالث منه يدور حول قدسية البيت ، فالقرآن وروايات أهل البيت (عليهم السلام) تُفيد أن البيت الذي تحكم فيه المودة وروح الخدمة المتقابلة وتعطره الصلاة والصيام وذكر الله وتلاوة القرآن والدعاء والمناجاة والتضرع لله ، هو بيت معظم عند الله .

وقد أراد رب العالمين أن ترفع مثل هذه البيوت وتكون معظمة ومباركة تشع بالنور لأهل السماء مثلما تشع نجوم السماء بالنور لنا .

وعلى العكس نفهم من القرآن وروايات أهل البيت أن البيوت التي تسود فيها العدو وانعدام الانسجام ، وتخلو من الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء وتتركب فيها الذنوب هي بيوت مظلمة غير مباركة ، أو تتردد عليها الشياطين ، وتبغضها الملائكة ؛ يقول - تعالى - ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (١) .

إذن فالقرآن يؤكد أن البيوت التي أراد الله تعظيمها - ورفعها معنوياً - هي التي يذكر فيها الله ويسبح ويقيم فيها الذاكرون لله والمقيمون للصلاة والمؤتون للزكاة ، فهي معظمة عند الله وعند أهل عالم الملكوت والملائكة ، فهي

(١) سورة النور / ٣٦ .

الخالية من المعاصي ، لأن سكتتها يخافون الله .

ولهذه الآية الكريمة ظاهرٌ معناه - كما قدّمْتُ - هو أن رب العالمين يؤكد أن هذه البيوت مقدّسةٌ مثلما هو حال المسجد والمدرسة . وسيرُ تقديسها هو أن أهلها مقدسون وفيها ذكر الله وإقامة الصلاة والصيام ، ولكونها تخلو من المعاصي والاختلاف والنزاع والتكتلات المتباغضة .

هذا ظاهرُ الآية ، ولها تأويلٌ ورد عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) هو أن مقصودها أفرادٌ مقدّسون . فالإمامُ الصادقُ (عليه السلام) يوضح أن معنى «البيوت» هنا ، ليست تلك المبنية بالحجارة والطين بل معناها الأبدان المقدسة للمؤمنين الكاملين كالرسول الأكرم والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) .

دخل قتادة في محضر الإمام الباقر (عليه السلام) فأخذته هيبة الإمام ، فأخبر الإمام أنه (قتادة) قد التقى كثيراً من العلماء وحادثهم لكنه لم يُصَبِّ بالاضطراب الذي أصابه في محضر الإمام ، فعرفه الإمام بطبيعة المحضر قائلاً : - « أنت بين يدي بيوتِ أذن الله أن ترفع ويُذكرَ فيها اسمه يُسَبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والأصالِ رجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ » (٢) .

وهذا المعنى الثاني هو تأويلُ أي : المعنى الذي لا نعرفه نحن بل يوضحه لنا الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وهم مفسرو القرآن ؛ فللقرآن ظاهرٌ هو حُجَّةٌ على الجميعِ وله باطنٌ ينتفع ويستفيد منه كل شخصٍ بحسبِ سَعَتِهِ وقابليته .

وملخص الكلام هنا هو أن الآية الكريمة ؛ تُبَيِّنُ أن البيت الذي يخلو من النزاع وتسود فيه الخدمة المتبادلة ، فالزوجة تخدم فيه لأن زوجها مسلم ، وينبغي أن يكون في رفاهية والرجل يخدم زوجته وأطفاله لأنهم مسلمون وينبغي أن يكونوا في رفاهية وراحة .

(٢) الحادثة مروية في الكافي (الفروع) ج ٦ ص ٢٥٦ وكذلك في بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٣٥٧ .

هذا البيت مقدس عند الملائكة ، وهو نموذج البيوت التي يرضاها الله ،
ولذلك كانت مقدسة في الإسلام وفي عالم الملكوت على النقيض من البيوت
التي يسودها الاختلاف وعدم الانسجام بين الزوج والزوجة وصدور الكلمات
الجارحة منهما .

فهذه بيوت تحكم الآية الكريمة بعدم قدسيتها وتؤكد روايات أهل البيت
أنها غير مباركة ، وأنها بيوت الشياطين الذين يترددون عليها ، فأصحابها لا
يقيمون الصلاة ، ويهجرون القرآن والدعاء والمناجاة ولا يخشون الله والقيامة
وترتكب فيها المعاصي لذلك يسود فيها الاضطراب والهلع ويتردد عليها
الشياطين وليس الملائكة ، فهي مظلمة كما تؤكد ذلك الآيات والروايات
الشريفة .

ينقل المرحوم الكليني في كتاب الكافي باب فضل القرآن عدة أحاديث
بهذا الخصوص عن النبي الأكرم والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) منها ما
رواه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : -

« إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ وَيُذَكَّرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيهِ تَكْثُرُ بَرَكَتُهُ ،
وتحضره الملائكة ، وتهجره الشياطين ، وَيُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ
الْكَوَاكِبُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي لَا يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ ، وَلَا يُذَكَّرُ اللَّهُ
- عَزَّ وَجَلَّ - فِيهِ تَقَلُّ بَرَكَتُهُ وَتَهْجُرُهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ » .

فالبيت الذي يُتلى فيه القرآن ، ويحل ذكر الله محل المعصية فيه هو بيت
مبارك يربي الإنسان الصالح ، ويكون المال فيه مباركاً ، وتحضره الملائكة
وتهجره الشياطين لأنها لا تستطيع الحضور فيه .

أما البيت الذي يكون أهله غافلين عن الله ، وتقع فيه المعاصي ،
فالشياطين حاضرون فيه ، والملائكة هاجرون له ، فهو عديم البركة ، والأطفال
الذين يكبرون فيه غير مباركين ، ومن الصعب جداً أن ينالوا السعادة وهذه
الحقيقة تؤكد علم التربية ، فالبيت الذي يسود فيه النزاع لا يمكن أن يوفر

سوى الهلع والاضطراب والقلق لصاحبه والبؤس والأسر لأطفاله ، فهو عديم البركة .

إن البيت الذي تقع فيه المعاصي والنزاع يقتل القابليات والنشاط في الطفل ، ويجعله خاملاً ونفس الشيء يفعله مع الوالدين .

فهذه الروايات تقول لنا : - إذا أردت أن يكون بيتك مقدساً ، فاجتهد ، لتكون الصلاة والصوم وذكر الله والدعاء والقرآن حية فيه .

وإذا أردت أن يكون مباركاً تشمل البركة مالك وأولادك وحياتك وعمرك ، فأحذر أن يكون محلاً للمعصية ، فالروايات الشريفة تؤكد أن المعصية تفقده البركة وتحجزها عن العمر الذي يُقضى فيه وعن المال الذي يُصرف فيه وعن الأطفال الذين يكبرون فيه ، وتحضره الشياطين وتهجره الملائكة .

وفي الحديث المتقدم هناك عبارة يجدر بنا جميعاً الاهتمام بها وهي قوله (عليه السلام) : « ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض » .

فالملائكة تنتفع وتأنس بضياء البيوت الخالية من المعصية العامة بالصلاة والصيام والدعاء والقرآن .

وهناك رواية مشهورة تقول : - « لا تدخل الملائكة في بيت فيه الكلب » (٣) .

ولها ثلاثة معانٍ :

الأول : هو الظاهر أي : أن المقصود هو البيت الذي يكون فيه من يلعب بالكلب ويحتفظ به لذلك ، وليس للحراسة ، كما يفعل الغربيون والمتغريبون ، وهم يُحشرون يوم القيامة مع يزيد الذي كان يلعب بالكلاب

(٣) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٨٦ .

والقردة ، وعليه يكون المقصود أنَّ البيت الذي فيه كلاب اللعب لا تدخله الملائكة ، وواضح أنَّ هذا هو المعنى الظاهر للحديث .

وهناك معنى آخر يقدِّمه « أهل القلب » ، وهو أنَّ المقصود من البيت قلب الإنسان ، أي : أنَّ البيت الذي تسود فيه الصفات الرذيلة لا يشع فيه نور الله ، ولا يدخله إلهام الملائكة ، فإنَّ لهم إلهاماً ، لكنّه مختصُّ بأصحاب القلوب النقية ، والملائكة تدخل القلب شريطةً أن لا يكون فيه كلبٌ ولا وحشية ولا حسدٌ ولا أنانية . ولا عجب بالنفس ولا تكبر ، وهذا معنى لطيفٌ للحديث .

والمعنى الثالث وهو المتعلِّق بموضوع بحثنا ؛ حيث يكون المقصود أنَّ الملائكة لا تدخل البيوت التي يسود فيها الاختلاف ، وتحدث المرأة فيها بكلمات جارحةٍ والرجل يتعامل بوحشية بمعنى أن روحه متوحشة .
فهذه محل الشياطين وليس الملائكة .

واحتمالٌ هذا المعنى قويٌّ ، وقد يكون المراد هو المعنى الثاني أو الثالث ، ولكنَّ الجمع مهما أمكن أولى من التركِّ بحسب اصطلاحاتنا - نحن طلبة العلوم الفقهيّة - .

وأعتقد أنَّ بحث اليوم مهمٌ . وفيه تحذير يجب علينا جميعاً الاهتمام به ، فويلٌ لنا إذا هجرت الملائكة بيوتنا ، وأعرضتْ يدُ الرعاية الإلهية عنّا وعن بيوتنا ، وخلت هذه من فضلِ الله ورحمته ؛ والويل الأشد هو لأطفالنا الذين يعيشون في مثل هذه البيوت ، فمن العسير جداً تربيته تربيةً صحيحة .

إنَّ ما يريد القرآن هو أن يكون بيتُ الزوجية سكناً وطمأنينةً ، فالزوجة سكنٌ للزوج وهو سكنٌ لها .

ولا ريب في أنَّ البيوت التي تقع فيها المعاصي ، ولا تنزل فيها الرحمة الإلهية ، والتي تحضرها الشياطين ليست بيوت سكناً وطمأنينةً ، بل يسودها هلع واضطرابٌ وقلقٌ ؛ يقول - تعالى - :

﴿ أَفَمَنْ أَتَّسَّ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَّسَّ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

في هذه الآية الكريمة تشبيه للمعقول بالمحسوس ، إذ أنَّ القرآن الكريم يُشَبِّهُ مَفْهُومًا معقولًا بأمرٍ محسوسٍ من أجل إفهامنا به .

وهنا يطرح مثال إقامة بيت على أُسُسٍ قوية ، فإذا كانت جذرائها قويةً جداً ، فمن الطبيعي أن يكون السقف الذي يُقام عليها مُقاوِماً ثابتاً ، إذا أُقيِمَ هذا البيتُ على حافةٍ وادٍ في طريق السُّيُولِ فإنَّ بقاءَهُ رَهِينُ السيولِ والعواصفِ فإذا جاء سيلٌ أو عاصفةٌ انهارَ البيتُ إلى قعرِ الوادي .

والقرآن يوضح هنا أن بيوتكم إذا قامت على أُسُسِ التقوى ، أي : سادت فيها التقوى والألفةُ والمودةُ والصلاةُ والصومُ والقرآنُ وذكرُ الله ومناجاته والارتباط به - تعالى - وخلصت من المعاصي ، وكنتم فيها ممن يصفهم القرآن الكريم : - ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٥) .

وكانت خشية الله حاكمَةً فيها ، فهذه البيوتُ منيعةٌ وترتبي فيها الأطفالُ بصورةٍ سليمةٍ ، وتكون الحياةُ فيها مباركةً تنعمُ برحمة الله وفضله .

أمَّا البيتُ الذي لا تقوى فيه ، فهو مثل البيت المقام على حافة الوادي المعرض للسيول .

وهكذا فالحياة المنقطعة عن الله تنهار بعاصفةٍ واحدةٍ إلى جَهَنَّمَ ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ وهذه الهداية هي - كما يُسمِّيها علماء الأخلاق - هداية لطف ؛ فالألطاف الإلهية مرفوعة عن مثل هذه البيوت وعن أصحابها لا تحكمها رحمةُ الله وفضله فهي غير مباركة ولا تحضرها الملائكة ، بل يحكمها الشيطان العديم البركة ، وتسودها الظلمةُ والهمومُ والغمومُ والهلع والاضطراب والقلق .

(٤) سورة التوبة / ١٠٩ .

(٥) سورة النور / ٣٧ .

إذن فإذا أردتم السعادة والبركة لبيوتكم . فيجب تطهيرها من المعاصي ،
وعليكم أن تعمروها بإحياء الصلاة فيها .

وقد وردت تأكيدات مشددة في الإسلام على إقامة صلوات النوافل في
البيوت وإقامة الصلوات الواجبة في المساجد جماعة ، فلا تجعلوا بيوتكم تفتقد
إقامة الصلاة والإسلام يحذركم من التشبه باليهود والنصارى الذين يحصرون
- حتى عبادتهم الخرافية - في الكنائس .

فلتكن بيوتكم محلّ عبادة وتلاوة قرآنٍ ودعاءٍ وذكر الله ومحلّ المودة
والألفة والخدمة المتبادلة .

● الخدمة في المنزل :-

أفضل العبادة في الإسلام أن تخدم المرأة زوجها ، ويخدم الرجل
زوجته ؛ فأنتم تعلمون أن أعظم كرامة للإنسان هي الشهادة في سبيل الله .

ونلاحظ في الأحاديث الشريفة أن للمرأة التي تخدم زوجها ، وتعد
الطعام ، وتغسل الأواني ، وتقدم المائدة ، ثم تجمعها أجر شهيد يكتبه ربُّ
العالمين في صحيفة أعمالها^(٦) .

كما نلاحظ فيها أنّ مثل هذا الأجر للرجل الذي يخدم في المنزل يُقلّل
من مشقّة زوجته أو يكسب في العمل خارج المنزل ليعيش عياله في رفاهية :-
« الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله »^(٧) .

إذن فأفضل الخدمة والعبادة هي الخدمة في البيت ، وإذا أردت أن تشمل
البركة والفضل والرحمة الإلهية ببيوتكم وتحضرها الملائكة ، وأهم من ذلك أن

(٦) راجع كتاب وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٢٢ فقد أورد ثلاثة أحاديث حول ثواب خدمة المرأة
زوجها .

(٧) بحار الأنوار ج ١٠٣ ص ١٣ .

تقدّموا للمجتمع جيلاً مباركاً ، وأن تكون حياتكم مباركة فاهتموا بتقوية ارتباطكم بالله في المنزل .

ومن عوامل تحقيق ذلك تقوية الألفة والموودة بين الزوج والزوجة ، فطوبى للرجال الذين يحظون برضا زوجاتهم ، وطوبى للنساء اللواتي يحظين برضا أزواجهن ، ففي هذه الحالة يرضى عنهم الله - عز وجل - وفي المقابل تعمسأ لحال الرجل الذي لا ترضى عنه زوجته وأسوأ منه حال المرأة التي لا تستجلب رضا زوجها فهي من أهل جهنم ولا ريب .

ومثل هذا المنزل يفتقد بركة الله وفضل الله ، ولن ينقضي فيه عمر مبارك ، ولن يخرج منه جيل مبارك .

● تأثير المال الحرام :-

أقول لكم ؛ إذا دخل في بيوتكم طعامٌ من حرام كالربا والرشوة وأكل أموال الناس (بالباطل) فاعلموا أنها ستُحرم حضور الملائكة فيها ، بل ستكون محلاً للنار ، بمعنى أنّ الملائكة في السماء ترى هذه البيوت تحترق كما أنها ترى من فيها من النساء وأطفالها الأبرياء يأكلون النار :-

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٨) .

ومال اليتامى هنا مذكور على نحو المصدق ، والقرآن ذكر هنا المصدق الأوضح ، وعليه يكون معنى الآية أنّ الذين يأكلون المال الحرام إنما يأكلون ناراً . يقول الإمام المهدي (عليه السلام) :-

«مَنْ أَكَلَ مِنْ أَمْوَالِنَا شَيْئًا ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ نَارًا ، وَسَيَصْلَى سَعِيرًا» (٩) .

(٨) سورة النساء / ١٠ .

(٩) سفينة البحار للشيخ عباس القمي ص ٤٢٨ من الجزء الأول .

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) وقد سأله أبو بصير - رضوان الله عليه -
عن أيسر ما يدخل به العبد النار ، فقال : - « مَنْ أَكَلَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ذَرْهَمًا
وَنَحْنُ الْيَتِيمُ » (١٠) .

ولكن من يرى ذلك ؟ ! .

إنه الذي لديه عين البصيرة ، فيرى البيت الذي لا يؤدي الخمس وهو
يحترق والمرأة والأطفال فيه يأكلون ناراً ؛ يشاهد ذلك عندما يتحقق : -
﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (١١) .

فاللحم والرزق في مائدة الدنيا هو نار جهنم في يوم القيامة فتوضع في
جهنم نفس هذه السفرة ويأكلون حينئذ المال الحرام الذي أكلوه ولكنه نار هذه
المرّة .

وويل لعيال مثل هذا البيت إذ بعيد أن ينال أطفاله السعادة ؛ وهؤلاء
العيال سيكونون أعداء له ويتصدون له يوم القيامة - زوجته وأولاده -
ويخاطبونه : - أيها الظالم لماذا أطعمتنا المال الحرام ؟ .
لماذا أطعمتنا ناراً ؟ .

لماذا لم تؤد الخمس الذي كان عليك لتطعمنا من مال حلال ، فلم
يكن لدينا إقبال على العبادة ، وتوجهنا نحو المعاصي ؟ .
لقد حرمتنا السعادة بما أعطيتنا من مال حرام .

تذكر رواياتنا أن أحد الأشقياء يوم القيامة هو الذي كان يكدح ليل نهار في
العمل من أجل عياله ولكنهم سعادونه - يوم القيامة - ويلعنونه ويطلبون من الله

(١٠) مستدرک الوسائل للميرزا النوري ج ١ ص ٥٥١ من الطبعة الحجرية من منشورات المكتبة
الإسلامية بطهران نقلاً عن العياشي في تفسيره .

(١١) سورة ق / ٢٢ .

أن يقتص منه ، لأنه لم يؤدّ حق الخمس ، فأطعمهم من المال الحرام وجعل قلوبهم قاسية .

فيحيطه من جهة البؤس والأوزار والوبال ، ومن جهة أخرى لعنات زوجته وأطفاله ، يقول - تعالى - : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (١٢) .

الآية الكريمة ؛ تتحدث عن طائفة من الناس يتعبدون بصورة جيدة (ظاهرياً) ، فهم قد أقاموا الصلاة ، وصاموا ، وحجّوا ، وزاروا كربلاء والإمام الحسين (عليه السلام) وفضيلة هذه الزيارة أعظم من غيرها ؛ وأقاموا مجالس الغزاء ، وبكوا على الإمام الحسين ، وهو العمل الذي يصفه الإمام الصادق (عليه السلام) بأنه يجعل أصحابه يتألقون يوم القيامة بحللٍ بيضاء (١٣) ، لكنهم أكلوا المال الحرام وحقوق الآخرين . وهذا ما يؤدّي إلى تحوّل كافّة أعمالهم إلى الذين أكلوا أموالهم فتخلو أيديهم ، ويسخر منهم الآخرون ، ويصفونهم بأنهم الذين أكل عيالهم أعمالهم ، لأنهم استحصلوا الأموال - عن طريق محرّم - فأكلها عيالهم وعاشوا بها في ترفٍ ، وعليه هو أن يدفع يوم الفصل الغرامات وهي أن يعطي أعماله ويبقى هو دون عملٍ ، فيكون مصيره جهنم كما تبين ذلك الآية الكريمة المتقدّمة .

إنّ بقاء حق الناس في ذمة الإنسان أمرٌ صعبٌ ، فاحذروه واعلموا أنّ دخول (المال) الحرام إلى بيوتكم يُذهب عنها رحمة الله والبركة والمودة ، وفي النهاية يؤدّي إلى أن يقوم نفس هذا الطفل الذي تكدح كثيراً من أجله الآن بلعنك يوم القيامة ، ويجعلك من أهل جهنم .

(١٢) سورة الفرقان / ٢٣ .

(١٣) أورد الشيخ الصدوق في كتابه « ثواب الأعمال » العديد من الروايات بهذا الشأن راجع ص ١٠٨ وما بعدها .

المحاضرة السابعة : =

الفصل الثالث

- تجسم الأعمال
- تفاهم الأسرة

في المحاضرة السابقة أشرنا إلى شدة كراهة النزاع في الإسلام و قدسية المودة والألفة والأخوة فيه ، ويذكر القرآن الكريم أن أحد الصفات البارزة لأهل جهنم هو التلاعن فيما بينهم عندما يلتقون ويلقي كل منهم مسؤولية هذه العقوبة ودخولهم جهنم على عاتق الآخرين ، ويطلب كل منهم الاقتصاص من الآخرين ، فيأتيهم الخطاب الإلهي الغاضب أن لكل منهم عذاباً مضاعفاً ، لأنهم كانوا في الدنيا يؤذون المؤمنين ويدفعون الآخرين إلى الرد عليهم بالإساءة المتقابلة قال - تعالى - : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبُّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتِيَهُمْ عَذَابٌ ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ؛ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

إذن فدأب أهل النار التنازع فيما بينهم ورفض الإقرار بالتقصير .

تجسّم الأعمال :-

وإذا أوردتم قانون تجسّم الأعمال هنا يكون الأمر هو أن البيت الذي يتنازع فيه الزوجان ، ويرفض كل منهما الإقرار بالتقصير - فالزوج يقول أنت التي جلبت الشقاق والبؤس لي ، والزوجة تتهمة بمثل ذلك وهو يلقي على عاتقها المسؤولية عن انحراف الأولاد والبيت الذي يشهد تبادل الإساءات

(١) سورة الاعراف / ٣٨ .

والكلمات البذيئة والفحشاء والشتائم - والعياذ بالله - هوييت في الظاهر ، وهو في الحقيقة - بحسب قانون تجسّم الأعمال - جهنّم ستتضح حقيقته يوم تُرفع الحجب .

أقول لكم - أزواجاً وزوجات - إنّ الدنيا والآخرة وجهان لعمله واحدة ، فالظاهر هي الدنيا ، والآخرة هي باطن نفس هذه الدنيا .

فما يقع في هذه تظهر حقيقته في الآخرة ، فإذا كانت العاقبة النار ونقماها فمن أعمالنا : - ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم . . . ﴾ (٢) .

وإذا كانت الجنة ونعيمها وحوورها وقصورها فمن أعمالنا نحن أيضاً : - ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ (٣) ففي الجنة يُخاطَب الصائمون : هذه النعم هي التي قدمتموها في شهر رمضان المبارك في الدنيا فكلوا واشربوا هنيئاً .

إذا كان النزاع يسود في بيوتكم - كأن يتنازع الزوجان فيما بينهما ويتبادل الأخ والأخت الشتائم فيما بينهما ، أو أن تُعنّف الزوجة زوجها - والعياذ بالله - أو يشتم الزوج زوجته .

فهذه البيوت ظاهرها هذا ، وباطنها جهنّم ، وعلى هذه الحقيقة يراها أصحابها عندما تفتح البصائر فترجع الإساءات والشتائم - التي كان يوجّهها الأزواج لزوجاتهم أو بالعكس إلى فاعليها ، ويرجع إلى الأب نفس التعنيف الذي كان يوجّهه لأطفاله .

إنّ ما تتحدّث عنه الآية الكريمة ﴿ كلما دخلت أمة . . . ﴾ هو قانون تجسّم الأعمال ، بمعنى أنّه إذا كان في بيوتكم نزاع فستتنازعون في جهنّم أيضاً فيما بينكم ، وإذا كان التعامل فيما بينكم في بيوتكم بسباب وتلاعن وتنازير

(٢) سورة آل عمران / ١٨٢ :

(٣) سورة الحاقة / ٢٤ .

بالكلمات البذيئة أو ضرب - والعياذ بالله - فستشهدون نفس ذلك هناك ؛ وكل ما نزرعه هنا نحصده هناك من عبوسية وغلظة وتعامل جاف في البيت ، حيث يظهر تجسم هذا التعامل في جهنم ونارها ؛ فهنا احتراق وتكيف وهناك احتراق وتكيف .

وعلى العكس حال أهل الجنة على ما يقول القرآن الكريم عنهم :
- ﴿ عَلَى سُورٍ مَوْضُونَةٍ مَّتَكِينَةٍ عَلَيْهَا مَتَقَابِلِينَ ﴾^(٤) وهم مفعمون بالحياة والأنس : - ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾^(٥) .

فلا تجد عندهم لغواً ولا سباباً ، بل يثنى ويشكر بعضهم بعضاً على المعونة التي قدمها كلٌ منهم لجعل الآخرين من أهل الجنة . هذه صفة أهل النعيم ، وقانون تجسم الأعمال يقول لنا : إنه إذا كانت المودة والألفة تسود في بيت ما - فالرجل يشكر زوجته على جودة طبخها للطعام ، فتبتسم له وتشكره بدورها على جلبه هذا الطعام .

وإذا كان كلٌ منهما يعلل طيب أجواء البيت بطيب أخلاق الطرف المقابل ، وكانت الزوجة تعتذر لزوجها من التقصير حينما يقع في البيت أمرٌ غير مناسب ، فيرد هو بالاعتذار المتقابل متحملاً مسؤولية التقصير ، فتجسم هذا الوضع هو أنهما يكونان مصداقاً للآية الكريمة المتقدمة المتحدثة عن صفة أهل الجنة .

إذن فلتكن سُنَّتكم القيام بما من شأنه تحويل أعمالكم إلى نعم في الجنة .

(٤) سورة الواقعة / ١٥ - ١٦ .

(٥) سورة الواقعة / ٢٥ - ٢٦ .

● تفاهم الأسرة :

ليكن التعامل فيما بينكم - في المنزل - بالمدح والثناء وتقبل التقصير .
وأؤكد هذه الوصية على الرجال خاصة - الذين لا يتعاملون على وفق هذه الصورة عادة - وأخاطبهم بلغة الرجاء أن إذا غضبتم - ولا ينبغي لكم الانفعال - أو صدرت عنكم كلمات جارحة - ولا ينبغي أن تصدروا عنكم - فبادروا إلى الاعتذار فور زوال الغضب عنكم ، وتحملوا مسؤولية التقصير وأخضعوا لذلك ، فالخضوع هنا نوع من البناء الذاتي ، والبيت يجب أن يكون مدرسة لنا ، بل أفضل مدرسة وأفضل كتاب أخلاقي وأفضل معلم أخلاقي للنساء خاصة .

وإذا قام الرجل بعمل سيئ ورفض الاعتذار ، فأرجو من الزوجة أن تبادر فوراً إلى الاعتذار وتتجنب الإيذاء والتهاجر والتعالي والعُبوس والتضجر والكسل فهذه من أخلاق أهل النار ، لا من أخلاق أهل الجنة .
وإذا أردت أن تكون من أهل الجنة فاعمل من أجل أن يكون بيتك مُفعماً بالنشاط .

إذا أحجم أحد الزوجين عن الاعتذار فليبادر الآخر إلى تحمل التقصير والاعتذار وتجنب إلقاء تبعه التقصير على الآخر .
وهكذا الحال عادة في مختلف النزاعات ، فإذا تراجع أحد طرفيها ، انتهت .

وعدم انتهاء النزاع يرجع إلى عدم تراجع الطرفين أو أحدهما .
وإذا أردتم الجنة ونعيمها وحيويتها والجلوس على تلك « السرر الموضونة » متقابلين فليتراجع (ليُعَف) كل منكم إذا وقع بينكم نزاع وأنهوه فوراً ، واحرصوا على أن لا يستمر النزاع في البيت حتى ساعة واحدة .

يجب على الرجل التحلي بالرجولة ، وعلى المرأة أن تكون « سيّدة »
حقاً والقرآن يقول إنّها تكون كذلك عندما تتواضع لزوجها حتى لو كان
مُقَصِّراً : - ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (٦) فللمرأة
الصّالحة - كما يُبين القرآن الكريم - صفتان :

الأولى : التواضع لزوجها حتى لو كان مقصّراً .

والثانية : حفظ العفّة في السرّ والعلن في حضور زوجها أو في غيابه ،
فهي تلتزم الحجاب الكامل في مقابل أرحام زوجها وغير المحارم حتى شقيق
زوجها ، فهي عفيفة وملتزمة الحجاب الكامل الجيد في غياب زوجها في
الرّفاق والمدرسة وكلّ مكان .

وهذه هي الجديرة بوصف « المرأة الصالحة » .

ومورد استشهادي بالآية الكريمة هو الصفة الأولى وهي أن تخفض
جناحها لزوجها إذا وقع اختلاف في البيت ، ووقوعه أحياناً امرطبيعي حتى لو
كان كلا الزوجين لا يريدان وقوعه أصلاً ، وهذا هو حال المسلم الحقيقي .
ويؤكد القرآن الكريم أنّه يجب على الزوجين أو أحدهما - ولا سيما الزوجة -
التزام التراجع وخفض الجناح والسكوت ، لكي تخدم نار الاختلاف ، فتأجج
هذه النار هو في الحقيقة إشعال لنار جهنم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٧) .

فوقود هذه النار هم الناس وذرائل الصفات التي في قلوبهم .

ويؤكد المنطق القرآني وجوب اجتناب النزاع في البيت لأنه يؤدي إلى
ذهاب هيبتيكم ، ويدمر شخصيتكم ، وإذا تجرأ - لا سمح الله الزوجان -
أحدهما على الآخر لا تبقى لأيّ منهما شخصيّة (إحترام) في عين الآخر .

(٦) سورة النساء / ٣٤ .

(٧) سورة التحريم / ٦ .

وتعسا للرجل الذي لا هية له في بيته ، وتعسا للمرأة التي لا حكم لها في قلب زوجها ، وتعسا للبيت الذي يفتقد الحيوية ، فالأُم لا تستطيع - إذا كان قلبها ميتاً تقديم شابة أو شاب نشيط للمجتمع .

والرجل الفاقد للحياة لا يمكن أن يكون فعالاً في العمل لدنيته وآخرته وللآخرين . وبحسب القول المتداول بين الناس : - اليد الكسيرة يمكنها العمل ، والقلب الكسير عاجز عن ذلك مفتقد النشاط

قال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في حديث مروي عنه : - « إياك والضحك والكسل ، فإنهما يَمْنَعَانِ حَظَّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »^(٨) فهو (عليه السلام) يخاطبنا ناهياً عن الكسل داعياً للحياة والنشاط ، يخاطب السيدة أن تجتنب الكسل في بيتها ، ويخاطب الزوج أن لا يدع الكسل يسيطر عليه ، لأن ذلك يحرمنا من خير الدنيا والآخرة .

وواضح أن المرأة الفاقدة للحياة لا تقدر على القيام بواجبات الزوجية ، ولا برعاية الأطفال ولا رعاية شؤون البيت .

وواضح أيضاً أن الرجل الكسول عضواً في المجتمع .

يقول - تعالى - في القرآن : ﴿ وَلَا تَنَارَءُوا فِتْنُشُلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ماذا يعني ذهاب ريحكم ؟ !

إن للمسلم شخصية وهية ، ولو كان المسلمون الذين تبلغ نفوسهم المليار متجدين ، لما استطاعت (قوى الاستكبار) أميركا والاتحاد السوفيتي أن تنام بدعة في مواجهتهم فضلاً عن أن تفكر في استعمارهم وجعلهم خدماً لها ؟ !

لا يتوهم الرجل الذي تغطي الركبة (والابتدال) على كلامه (في البيت)

(٨) بحار الأنوار / ج ٧٨ ص ٣٢١ .

أنه يُسيء إلى زوجته ؛ بل إن الإساءة تلحق أولاً بشخصيته هو وتُسَوِّهها ! .
ولا ننصّر الزوجة أنها تُبرّد غليظها عندما تنطق بكلمات جارحة لزوجها ،
فالحسارة الأولى التي تلحق بها هي أن حُبّها يخرج من قلب زوجها .
وتعساً للزوجة التي لا تحكم لها على قلب زوجها ، وتعساً للزوج الذي
لا احترام (هيبة) له في بيته .

إنني أرجو من الحاضرين في هذا المجلس ومن الذين يستمعون لحديثي
هذا من الإذاعة أن يجعلوا هذه الآية الكريمة نصب أعينهم دائماً ، فالقرآن يبيّن
شدة خطورة النزاع والاختلاف ويشبّهما بحال الشخص الجالس على حافة
وادي جهنم وإذا لم يكن هنا الآن « وادي جهنم » فتصوّروا الأمر كحال
جلوسكم على صخرة على حافة وادٍ تُشاهدون اشتعال النار فيه فيما الصخرة
التي تجلسون عليها ينهار ما تحتها فتسقطون أنتم في قعر هذا الوادي .
والقرآن يوضح أن هذه هي حقيقة (تأثير) النزاع ، ويؤكد أن الألفة
والمودة هي إحدى النعم العظيمة ، ويُذكر المسلمين بمنّ الله - تعالى - عليهم
بها : -

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِ ، فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٩)

الآية الكريمة وإن كانت تخاطب مسلمي صدر الإسلام ، لكنها تتحدث
لنا جميعاً ، وتقول - فيما يتعلّق بموضوع بحثنا - أن على الزوجين الذين
يعيشان في بيت يسوده الائتلاف والمودة أن يشكروا الله كثيراً على ذلك ويدعوا
- تعالى - لدوام هذه النعمة ، وعلى الزوج أن يشكر زوجته على إغعام البيت

(٩) سورة آل عمران / ١٠٣ .

بالعطف والمودة فيما على الزوجة بدورها أن تثني دائماً عليه لتوافر المحبة والألفة لديه .

ولو التزاماً شُكِرَ هذه النعمة ليلاً ونهاراً ، لكان شكرهما قليلاً .
وعندما نضمَّ قانون تجسُّم العمل والآية التي قرأتها سابقاً يُصْبِحُ المعنى هو أنَّ الزوجة السليطة اللسان والزوج السيء الأخلاق وأن الزوجين اللذين يتنازعان فيما بينهما - والعياذ بالله - إنما هم جالسون على حافة النار ! .
أما متى يدخلونها ؟ !

الجواب بمجرد الموت .

(يُنْقَل) أنَّ شخصاً سَقَطَ من شاهقٍ ومات ، فرأوه في عالمِ الرؤيا وسألوه عن أحواله ، فقال : - كيفيكم أن أقول لكم : إني لم أرَ لا منكراً ولا نكير ولا ضغطة القبر ، فبمجرد أن سقطتُ من ذلك الشاهق ، وقعتُ وسطَ جهنم !! .

أيها السيّد ، أيُّها السيِّدة ، إنَّ الدنيا تنقضي والذي يبقى أمران :

الأوّل : التضحية والتسامح والإيثار ، فهي صفات تُكسِبُ الإنسان نورانيةً تجعله يتألق مثل القمر عندما يدخل صفّ المحشر ، يجذب من في المحشر إليه .

والثاني : هونعيمُ الجنة وعذابُ الجحيم .

أما الدنيا ، فهي فانية .

والاختلاف فيما بيننا بلغ درجةً أصبح معها المتجدّد أسوأ من المتقدّم ، والمتعلّم أسوأ من الأمّي ، والكاسبُ أسوأ من الموظّف وهذا أسوأ من سابقه .

فترى هذا السيّد الدكتور وقد وصل درجةً متقدّمة من التخصص في عمله وأخلاقه الاجتماعية حسنة أيضاً ، ولكن عندما تفتح قلب زوجته تجدهُ حراً من

الأذى الذي ألحقه بها على الرغم من علمه وحسن سيرته خارج البيت ! وترى سيّدة مثقفة متحضرة حسنة التعامل مع مثيلاتها ، ولكن عندما تفتح قلب زوجها تجدّها قد تحوّلت فيه إلى عفريت !! .

يقول علماء النفس : إنّ الأمثلة المتداولة في المجتمع تكشف عن أفكاره وهكذا هو الحال فخذوها بعين الاعتبار ، وهنا أنقل لكم أحد الأمثال العامية في هذا الصدد ، وهو أنّ خطيباً طلب من الحاضرين - وهو على المنبر - أن يقوم من كان منهم غير راضٍ عن زوجته ، فقاموا جميعاً باستثناء شخص واحد ، فسّر الخطيب لذلك ، وقال : الحمد لله ، فلقد عثرنا في هذا الاجتماع على زوجٍ راضٍ عن زوجته ، وعندها ارتفع صوت هذا الرجل قائلاً : لا يا سيّدي لا ، فأنّا لا نستطيع القيام ، لأن زوجتي قد كسرت رجلي !! .

هذا هو حالنا الآن ، فلا تجد زوجاً راضياً بالكامل عن زوجته ، كما لا تجد زوجة راضية بالكامل عن زوجها .

تؤكد رواياتنا أنّه إذا وقع نزاع بين اثنين من المسلمين بين زوج وزوجته ، فالواجب هو أن يتصالحا في اليوم الأول ، والمرسوم هو أن يعتذر الأصغر إلى الكبير ، أي : أن تعتذر الزوجة حتى لو كان زوجها هو المقصر .

فقد ورد في الحديث الشريف الأمر بالتصالح في اليوم الأول ، وإلا ففي اليوم الثاني ، وإذا اعتذر الصغير فيها ، وإلا فليذهب الأكبر لئلا الضغينة والحقد حتى لو كان الخطأ المرتكب كبيراً وصدر عنهما كلمات جارحة - والعياذ بالله - فعليهما التحلي بالصفاء والتسامح ، ويتناسوا ما جرى .

وإذا لم يتصالحا في اليوم الثاني ، وجب ذلك حتماً في اليوم الثالث ، وإلا ترسخت الأضغان في قلوبهما ، وخرجا من الإسلام ، كما تؤكد ذلك

الأحاديث الشريفة التي روى الكليني - رَحِمَهُ اللهُ - أكثر من عشرةٍ منها^(١٠) ، وروى العلامة المجلسيُّ أكثر من ثلاثين منها .

فإذا كنّا لا نهتمُّ بأمْرِ دُنْيَانَا وأَوْلَادِنَا ، فلتتدبّر في هذه الأحاديث الشريفة ، ونهتَمَّ بما تقوله وما يُوجِبُهُ إسلامُنَا - في الأقلِّ - ؛ يجبُ أن تُزال هذه النزاعاتُ ، فلما نتنازع إلى هذا الحدِّ ؟ ! .

أيُّها الزوجُ ؛ إذا كنتَ تتحمّلُ المشاقَّ في توفير الجانب الماديِّ ، فإنَّ زوجَتَكَ المسكينةَ تتحمّلُ مثلَ ذلك في المنزل .

أيُّها الزوجةُ ، إذا كان زوجُك لا يستطيع تلبيةَّ كلِّ ما ترغيب فيه ، فضعي نفسك محلّه لتعرفي هل تستطيعين شراء كلِّ ما تريدينه مِنْ ذَهَبٍ ومَلايِسٍ ؟ ! .

إذن لماذا النزاعُ والتعنيفُ والضجرُ والتهاجرُ والصُّراخُ ؟ ! .

أقسمُ عليكما بالله أن تقوموا بالتشاور فيما بينكما - عندما تُريدان تقديم جهازٍ عُرْسٍ ابنتكما - والتفكير بهدوءٍ أعصابٍ لتعرفا ما الذي يجبُ عمله - دونَ تعنيفٍ مُتبادلٍ - فتهيئةُ هذا الجهازِ بِبالغِ المشقَّةِ والأذى تُفقدُ البركةَ .

(١٠) الأصول من الكافي ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الهجرة .

المحاضرة الثامنة : =

الفصل الثالث

- اعتياد الذنب
- سوء الحجاب وإشاعة الفساد
- تسويق الذنب
- الغيبة والبهتان

● اعتياد الذنب

(إرتكابُ) المعصية في البيت من العوامل المؤدية إلى قطع الألفاف الإلهية عن الشخص أو البيت .

والذنوب أقسام ، - فمنها الكبائر والصغائر ، وهذا ليس مورد بحثنا الآن ، ومنها المستمرة وغيرها ، بمعنى أن الإنسان مرة يصدر عنه ذنب ، كأن يكذب - والعياذ بالله - أحياناً وهذا عمل غير صالح تجب التوبة منه ومعالجته . ولكن قد يكون مستمراً فيه ، فمثلاً يكذب ويغتاب ويثير الشائعات ويظلم ، وهكذا كل يوم .

وهذا الاستمرار في المعصية يشكّل حالة خطيرة يُبين القرآن الكريم شدة خطرها في قوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أسَاؤُا السُّوْى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ ﴾ (١) .

فليحذر الذين يُصرون على المعاصي أن ينجر حالهم إلى إنكار كل شيء وتكذيب المنبر والمحراب وما يقوله العلماء ، فيحسبه خرافات ، ويوضح الإمام الصادق (عليه السلام) في العديد من الروايات أنه : « إذا أذنب الرجل خَرَجَ في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب آنمحت وإن زاد زادت ، حتى تغلب على قلبه ،

(١) سورة الروم / ١٠ .

فلا يُفْلِحَ بعدها أبداً» (٢) .

لذا أطلب منكم جميعاً أن تجتنبوا الذنوبَ في حياتكم أصلاً وإذا صدَرَ عنكم ذنبٌ ، فتداركوا الأمر فوراً وأحذروا الاستمرار في الذنب .

وهناك تقسيم آخر للذنوب هو أنها - مرة - تؤدي إلى إثارة قلب الإنسان ، فمثلاً إذا نظر نظرة محرمة إلى أحدٍ ، أو اغتاب أحداً أو كذب ، أثار ذلك صراعاً داخلياً لديه ، وهذه الحالة تعبر عن أن هناك تهيباً داخلياً من الذنب .

ومرة أخرى تزول هذه الحالة من التهيب من الذنب ، ويصبح الحال أسوأ من المداومة على الذنب لأن التوبة هنا صعبة جداً ، فيما أن المداومة على الذنب قد يتوفق للتوبة بصورة أيسر .

● سوء الحجاب وإشاعة الفساد :

ولتوضيح ذلك (نطرح المثال التالي) نلاحظ مرة أن امرأة تتجاهل التزام الحجاب الصحيح في حفل زواجٍ وهي تعلم أن ذلك عمل غير صحيح . وعندما ينتهي الحفل تتوب عنه وتبكي ويحدث لديها صراعٌ داخلي .

ونلاحظ في حالة أخرى أن عدم التزام الحجاب الصحيح يتحول لديها - تدريجياً - إلى أمرٍ معتادٍ ، فيصبح عملها أسوأ من الزنا حتى لو كانت - فرضاً - عفيفة تتأذى من اسم الزنا وتعنف من يرتكب هذا العمل القبيح ، لكنها نفسها تقوم - والعياذ بالله - بما هو أسوأ منه عندما تخرج متبرجةً مُبديّة زينتها ترتدي قميصاً بأكمام قصيرة وجوربٍ يشق عن ساقها ، وتدخل على هذه الهيئة إلى دكان البائع ، وتحدث وتضحك معه . فهذا العمل أسوأ من الزنا ، لأن فيه إشاعةً للفحشاء .

(٢) الأصول من الكافي ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الذنوب الحديث رقم ١٣ .

وذنب هذه أكبر من نفس الفاحشة ، يقول - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (٣) .

فالشاب الذي يحب النظر إلى غير المحارم من النساء ، والكاسب الذي يرغب في مُمَارَحاتِهِنَّ والضحك معهن إنما يحب أن تشيع الفاحشة .

ولهذا العمل نوعان من العذاب : الأول : في الدنيا ، وهو أن يتلوى مثل هذا الشخص بالفاحشة (في الدنيا) ؛ والآخر في الآخرة وهو عذاب جهنم .

ولإشاعة الفاحشة أسوأ من الوقوع فيها على الرغم من أن الزنا ذنب عظيم إلى درجة أن القرآن الكريم يقول عنه : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٤) .

فالزاني والزانية مصيرهما جهنم ، وهناك أيضاً تكسوهما الذلّة والعار ، ونقرأ في الأحاديث الشريفة أن لعوراتهم ريحاً تنتنى للغاية تخرج منها ، فيتأذى منها أهل النار (٥) .

ولإشاعة الفاحشة أسوأ من ذلك ، كأن تخرج المرأة - متبرجة متزيّنة بجورب لا يستر ساقها وقميص بأكمام قصيرة - إلى الشارع ، فتعلم الأخريات هذا السلوك القبيح ، وتدخل بهذه الحالة إلى دكان البائع ، وهذا يمازحها ويحادثها بدلاً من أن يعبس بوجهها ويطردها نهياً لها عن هذا المنكر .

والقرآن الكريم يؤكد أن هذا العمل المشيع المروج للفاحشة أسوأ من ذنب الفاحشة .

(٣) سورة النور / ١٩ .

(٤) سورة الفرقان / ٦٨ .

(٥) ورد ذلك في حديث المعراج وفي خطبة الرسول الجامعة لعقاب الأعمال التي يروبوها الشيخ الصدوق في نهاية كتاب « ثواب الأعمال وعقاب الأعمال » .

نرى أحياناً نساءً مُوقراتٍ عفيفاتٍ لكنهن فقدن حالةَ التَّهَيُّبِ من الذَّنْبِ ، واعتدنَ عَدَمَ مُراعاةِ الحِجَابِ في حضورِ غيرِ المحارِمِ فتجلسنَ إحداهنَّ مثلاً مع شقيقِ زوجها وتُحَادِثُهُ وتُمازِحُهُ وهي متزيّنة غيرِ مراعيةٍ للحِجَابِ الكاملِ .
وهذه الحالةُ تشتملُ على المخاطرِ ، فتجبُ التَّوبَةُ من هذا الذَّنْبِ ، وعليهنَّ تداركُ تبعاته ، وويلٌ لِمَن فَقَدَ حالةَ التَّهَيُّبِ مِنَ الذَّنْبِ .

أرجو من الأزواجِ والزوجاتِ أن لا يسمحوا بِخُروجِ النساءِ بِجَوَارِبَ شَفَافَةٍ خاصَّةً مع حلولِ فصلِ الصيفِ ، فهذه الحالةُ هي بِمِصادِقٍ لِمَا قاله أميرُ المؤمنين (عليه السلام) للأصبغ بن نباتة بشأنِ مجيءِ زمانٍ على أُمّةِ الرسولِ الأكرم (صَلَّى اللهُ عليه وآله) تخرجُ فيه النساءُ : - « كاسيات عاريات »^(٦) ثم يذكر (عليه السلام) أنَّ هذا الزَمَنَ هو زَمَنُ الْفِتْنَةِ « شُرُّ الْأَزْمَنِ » وأن هذه النسوةِ خالِدات في جَهَنَّمَ ، فاحذرن هذه العاقبةَ ، والتزمنَ بِارتداءِ ما يَسْتُرُ مِنَ اللِّبَاسِ حتى لو استلزم الأمرُ ارتداءَ جَوَرَبَيْنِ ، ولا تخرجنَ بِقميصٍ ذي أَكمامٍ قصيرةٍ .
فإِذَا أَنْ تَسْتَبَدِّلُنَّهُ بِغَيْرِهِ ، وَإِذَا أَنْ تَسْتَرْنَ مَا ظَهَرَ مِنَ الدَّرَاعَيْنِ بِأَكمامٍ إضافيةٍ .

والتزمنَ بِالْعِفَّةِ - بصورةٍ كاملةٍ - خلالَ تعاملكن مع الباعة . والأهم من ذلك أرجو من السيداتِ والسادة أن يلتزمنَ الجَدُّ في التَّعَامُلِ فيما بينهم .
إحدى الصفاتِ البارزةِ للسيدةِ المحترمةِ وللمؤمنةِ هي أَنَّها تتعاملُ بِغَيَاةِ الجَدِّيةِ مع غيرِ محارِمِها ، فالْمِزَاحُ والتَّبَسُّمُ هنا خطأ .
في آخرِ خطبةٍ خطبها رسولُ الله (صَلَّى اللهُ عليه وآله) قبل وفاته قال :

(٦) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٩ ؛ ونص الحديث هو : - « يُظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَأَقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَهُوَ شُرُّ الْأَزْمَنِ نِسَاءٌ كَاشِفَاتُ عَارِيَّاتٍ مُتَبَرِّجَاتٌ مِنَ الدِّينِ خَارِجَاتٌ فِي الْفِتَنِ دَاخِلَاتٌ مِثْلَ ثَلَاثٍ إِلَى الشَّهَوَاتِ ، مَسْرَعَاتٌ إِلَى اللَّذَّاتِ ، مُسْتَحَلَّاتُ الْمُحَرَّمَاتِ ، فِي جَهَنَّمَ نَخَالِدَاتٌ » . .

« . . . وَمَنْ فَاتَكَ امْرَأَةٌ لَا يَمْلِكُهَا حُسْبٌ بِكُلِّ كَلِمَةٍ كَلَّمَهَا فِي الدُّنْيَا أَلْفَ عَامٍ (فِي النَّارِ) .

والمرأة إذا طاعت الرجل فالتزمها أو قبلها أو باشرها حراماً أو فاكها أو أصاب منها فاحشة ، فعليها من الوزر ما على الرجل . . . » (٧) .

وليحذر الكسبة مما يقولون (في التحدث مع النساء) ، فالمال الذي يكسبونه عن هذا الطريق عديم البركة ، وهو سلْبُ البركة من البيت الذي يُصرف فيه .

● تسويغ الذنب :

وهناك تقسيم آخر للتعامل مع الذنب ، فمرة يُذنب الإنسان ويعترف بأن ما ارتكبه ذنب ، ولكن تارة يُسوَّغُ ذنبه ، وهنا مكنم الخطر الأكبر ؛ كأن ترى المرأة أن التحضر في إظهار (زينة) وجهها ، وأن علامة الثقافة هي ارتداء الجوارب الفاضح أو الاختلاط بين الرجال والنساء أو التحدث والمزاح بين الرجل والمرأة (من غير المحارم) .

وقد يُوجَّه الإنسان الغيبة - والعياذ بالله - بأنها « غيبة ثورية » أو « حزب اللهية » ، أو أن يُوجَّه الاتهامات ويَحْسَبَه عملاً ثورياً ، وليس معصية ، بل يتوهم أن له عليه أجراً !! يقوم بترويج الإشاعات ، ويحسب أن ذلك من السياسة و« أننا يجب أن نكون ساسة » !! فيرد الموارد المشؤومة بهذا التسويغ ودعوى الثورة والسياسة .

وهذا خطرٌ أشدُّ من كلِّ الأخطار .

أطلبُ منكم اجتناب الذنب بصورة كاملة صغيرة وكبيرة فالذنب هو - مطلقاً - عامل السقوط .

(٧) عقاب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٣٣٤ .

وَأَهْمُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنَّ أَطْلُبَ مِنْكُمْ أَنْ لَا تَسْمَحُوا بِزَوَالِ حَالَةِ التَّهْيُّبِ مِنَ الذَّنْبِ مِنْكُمْ حَتَّى لَوْ أَذْنَبْتُمْ ، فَخَطِيرٌ جَدًّا عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْعُوا بِذَلِكَ فِي مَهَاوِي الذَّنُوبِ .

فَارْجَوْكُمْ أَنْ لَا تَعْمِدُوا إِلَى تَسْوِغِ الذَّنْبِ - إِذَا وَقَعْتُمْ فِيهِ وَزَالَتْ مِنْكُمْ حَالَةُ التَّهْيُّبِ مِنْهُ - فَهَذَا التَّسْوِغُ يَجْلِبُ عَلَيْكُمْ أخطَارًا عَظِيمَةً ، لِأَنَّهُ يَصُدُّ الْإِنْسَانَ عَنِ التَّوْبَةِ وَيَحْرِمُهُ مِنْ شَفَاعَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) ، « وَهَذِهِ هِيَ مَقْدَمَةُ الْبَحْثِ » .

يُؤَسِّفُنِي أَنْ أَقُولَ أَنَّ ذَنْبَ الْغِيبَةِ وَالْبُهْتَانِ وَإِثَارَةَ الْإِسَاعَاتِ مَوْجُودَةٌ فِي مَنَازِلِ الْجَمْعِ - الْكِسْبَةِ وَالْمَوْظَفِينَ الْمُقَدَّسِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ ثَوْرِيَّينَ وَغَيْرِهِمْ - وَهُوَ ذَنْبٌ عَظِيمٌ زَالَ التَّهْيُّبُ مِنْهُ مِنَ الْقُلُوبِ ، بَلْ قَدْ تَطَرَّحَ لَهُ الْعَدِيدُ التَّسْوِغَاتِ !! .

وَلَوْ بَكَيْنَا جَمِيعًا عَلَى هَذِهِ الْمَصِيبَةِ دَمًّا ، لَكَانَ الْأَمْرُ جَدِيرًا بِذَلِكَ .
هَنَّاكَ بَيُوتَ فِيهَا مُوسِيقَى وَغَنَاءٌ وَصُورٌ مُسْتَهْجَنَةٌ مُثِيرَةٌ لِلشَّهَوَاتِ ، وَتُعْرَضُ فِيهَا أَفْلَامٌ فِيدْيُوتِيَّةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .

وَهَذَا لَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِ بَحْثِنَا (لِهَذَا الْيَوْمِ) .

وَيَكْفِي هُنَا أَنْ أَقُولَ : وَيْلٌ لِمِثْلِ هَذِهِ الْبَيُوتِ ، فَهَذَا مَا يَقُولُهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَام) ، إِذْ يُرَوَّى أَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ رَقْصٌ وَغَنَاءٌ ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ يَحْدُثُ فِي بَيْتِ جِيرَانِهِ فَقَالَ لِلْإِمَامِ : « بَأَبِي وَأُمِّي إِنِّي أَدْخَلْتُ كَنِيفًا لِي وَلِي جِيرَانٌ وَعِنْدَهُمْ جَوَارٍ يَتَغَنَّيْنَ وَيَضْرِبْنَ بِالْعُودِ ، فَرُبَّمَا أَطْلُتُ الْجُلُوسَ اسْتِمَاعًا مِنِّي لَهُنَّ . فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ مَا هُوَ شَيْءٌ آتَيْهِ بِرَجُلِي ، إِنَّمَا هُوَ سَمَاعٌ أَسْمَعُهُ بِأَذْنِي .

فقال له : أما سمعتَ الله يقول : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ .

قال : بلى والله ، فكأنني لم أسمع هذه الآية قط من كتاب الله من عجمي ولا من عربي ، إني لا أعود إن شاء الله ، وإني أستغفر الله .

فقال (ع) له : - « قم فَأَغْتَسِلْ (غَسَلَ التوبة) وَصَلِّ مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنَّكَ كُنْتَ مَقِيمًا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ مَا كَانَ أَسْوَأَ حَالِكَ لَوْ مِتَّ عَلَى ذَلِكَ ، أَحْمَدُ اللَّهِ وَسَلُّهُ التَّوْبَةَ مِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ إِنَّهُ لَا يَكْرَهُ إِلَّا الْقَبِيحَ ، وَالْقَبِيحُ دَعَا لِأَهْلِهِ فَإِنْ لَكَ أَهْلًا » (٨) .

فشيعه الإمام ليس أهل طرب وغناء وصُور شهوية مبتذلة ، وويل للبيت الذي فيه مثل ذلك ، وويل للأطفال الذين يكبرون فيه ، فتأثيره السيء يتحدث عنه علماء النفس والإسلام يؤكّد ذلك ، فمثل هذا البيت تكثر فيه الشياطين ، وتنعدم فيه بركة الله ورحمته وملائكته ، كما يخبر عن ذلك الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) .

● الغيبة والبهتان :

يؤسفني أن أقول : إن قليلاً ما تجدُ شخصاً أو بيتاً غير مبتلى بالغيبة والبهتان وتوجيه الإشاعة والكذب ، وهي من كبائر الذنوب ، والانتقاص - حضوراً وغياباً - ذنب عظيم يقول عنه القرآن الكريم : - ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ (٩) .

ومن مصاديق ذلك أن تطبخ المرأة طعاماً فيسخر زوجها منه لأنه لم يُعجبه ، أو أن يجلب هو شيئاً اشتراه من السوق فتسخر منه لكونه لم يُعجبها ،

(٨) سفينة البحار للشيخ الفمي ج ٢ ص ٣٢٨

(٩) سورة الهمزة / ١ .

وهذا السلوك يُحذّر منه القرآن الكريم ، ويبيّن أنّ عاقبته الاحتراق بنارٍ مُوقّدةٍ يشوي عذابها الجلود والعظام .

أما الغيبة ، فيعتبرها القرآن أكلَ لحمِ الأخِ المؤمنِ وهُموميّةٍ ، فاجتنبوها .

وواضح أنّ البيت الذي يشهد أكلَ لحمِ الأموات ، وتعيش فيه الكلاب تهجره البركة والطف الله ورعايته فلا قدسية له .

روي عن الإمام الحسين (عليه السلام) حديثاً يرويه صاحبُ كتاب (تحف العقول) عن الإمام السّجاد (عليه السلام) أيضاً ، وهو قصيرٌ في لفظه عظيمٌ في معناه ، وهو : - « كُفَّ عَنِ الْغَيْبَةِ ، فَإِنَّهَا إِدَامُ كِلَابِ النَّارِ » .

ومعناه هو أنّ يا أيتها السيدة ويا أيها السيد ، إنّ تكرار الوقوع في الغيبة يجعلها ملكةً فيك ، فتعتادها وتصبح صفةً ملازمةً لك ، وتحوّل هويّتك الإنسانية إلى هوية كلبٍ يذهب إلى جهنّم ، وعندما يستطعم يكون طعامه هو نفس الغيبة التي كان يرتكبها في الدنيا ، أي : يأكل نفس اللحم المتعفن الناريّ يُقدم له هناك وعليه أن يأكله ! .

وأي بيت - ويا للأسف - يخلو من الغيبة والسخرية ؟! فيا أيها الأب لا تسخر من أطفالك ولا تهنهم ، بل احترمهم .

ويا أيتها الزوجة احترمي زوجك ، ويا أيها الزوج احترم زوجتك .

واعلموا أنكم إذا تبادلتُم الإساءات ، ووقعتم في ارتكاب الغيبة زالت عنكم حالة التهيب من هذه المعصية واعتدتُموها ، وحينئذٍ نزولُ هويّتكم الإنسانية - بحسب قانون تجسم الأعمال - وتتحولون إلى صورة وحوشٍ : - « الغيبة إدَامُ كِلَابِ النَّارِ » .

والأسوأ من الغيبة البهتان ، وهو أن تقولَ في شخصٍ ما ليس فيه سواءٌ في غيبته أو حضوره ، والفرق بينه وبين الغيبة هو أنّ البهتان ذكرك عيباً لشخصٍ هو

بريء منه .

أما الغيبة ، فهو ذكرك عيبه في غيبته .

أما اللَّمَزُ ، فهو تعييرك الآخرين .

وتسويغ الغيبة بأن العيب موجود في الشخص المذكور ، فهو منطبق العوام (والجهلة) ، وهو من تسويلات الشيطان ، فإذا كان العيب فيه حقاً وذكرته للآخرين ، فهذه غيبة تصحح بارتكابها كلباً وإن لم يكن فيه ، فهو بهتان وذنبه يتحدث عنه القرآن الكريم فيقول : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١٠) .

فهو ذنب يخرج عن الإيمان ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : - « . . . مَنْ بَهَتَ مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً أَوْ قَالَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ أَقَامَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى تِلْكَ مِنْ نَارٍ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ فِيهِ » (١١) .

وفي رواية الكافي عن الصادق : - « مَنْ بَهَتَ مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً بِمَا لَيْسَ فِيهِ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي طِينَةِ خَبَالٍ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ . قلت (الراوي) : - وما طينة خبال ؟ .

قال : صديد يخرج من فروج المومسات » (١٢) .

ومع الأسف فإن هذه المعاصي كثيرة في بيوتنا ، فهي - بحسب قانون تجسّم الأعمال - بيوت مملأ من القبح والدم ، وإن كنتم لا ترونها ، فكثيرة

(١٠) سورة النحل / ١٠٥ .

(١١) سفينة البحار ج ١ ص ١١١ .

(١٢) أصول الكافي ج ٢ ، كتاب الإيمان والكفر « باب الغيبة والبهت » الحديث ٥ ، وما ذكره الشيخ في المحاضرة هو جمع بين هذا الحديث والذي سبقه وحديث ثالث ينقله الفيض في المحجة البيضاء نقلاً عن الشيخ الصدوق (ج ٥ ص ٢٥٤) وفيه : - « . . . وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق » .

هي الأشياء التي يسمّعها ويراهها أصحاب البصائر فقط ، فأحذروا أن تُشاهد الملائكة القيح والدم بدلاً من القدسية ، إذا نظرت إلى بيوتكم ، وهذا القيح والدم هو محصول أعمالكم في الدنيا ، وسيظهر لكم يوم القيامة ما لم تُزيلوه بالتوبة ، وفي ذلك اليوم سيكون بصر الجميع « حديد » وسيرونكم - كما ترون أنفسكم - واقفين على تلال من القيح والدم .

لا تُروّجوا الإشاعات بقبول أو نقل شيء دونما دليل !؟ .

ومن منا يجرؤ على الادعاء بعدم الوقوع في ذلك ، وهذا ما لا يستطيع ادّعاءه الآن حتى المقدسون الملتزمون ، فليس لدينا لسان يصوم عن ذلك .

وأقسم بالله أن من الواجب أن نبكي على هذه المصائب دماً ، فهي ذنب كبير مغفول عنه كما يؤكد ذلك القرآن الكريم قائلاً : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) .

فهذا القبول والنقل لما ليس لنا به علم هو عند الله عظيم ، وإن كان اعتيادنا له جعله هيناً عندنا ، والقرآن ينهانا عن اتباع الشك والظن .

فليكن استماعك وقبولك ونقلك لقول مقروناً بالاستدلال ، وإلا ستعرض حواسك تلك للاستجواب يوم القيامة ، وستشهد عليك ، يقول - تعالى - : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (١٤) ويقول تعالى : - ﴿ أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٥) .

(١٣) سورة النور / ١٥ .

(١٤) سورة الإسراء / ٣٦ .

(١٥) سورة يس / ٦٥ .

فهذه الحواس ستشهد على الإنسان يوم القيامة ، وتقول له : - أنت الذي اغتبت ، واستمعت للغيبة ، وأنت الذي ارتكبت البهتان وقبلته عندما نقله الآخرون ، وأنت الذي وقعت في ترويج الإشاعات .

لا ترتكبوا هذه المعاصي ، وفكروا بسبيل لمعالجتها .

يجب أن يكون الرجل صادقاً في تعامله مع زوجته ، وكذلك يجب أن يكون حالها في تعاملها معه ، فلا ينبغي أن تشهد حياتكم وبيتكم الكذب ، فإنه إذا حل في بيت هجرته الملائكة ، بل لعنته ، فقد ورد في الأحاديث الشريفة : - « . . إذا كذب المؤمن - من غير عذر - لعنه سبعون ألف ملك ، وخرج من قلبه نتن ، حتى يبلغ العرش ، ويلعنه حملة العرش » (١٦) .

فيا أيها الزوجة احذري الكذب على زوجك .

ويا أيها الزوج احذر الكذب على زوجتك .

والأهم هو الحذر من أن تكذبا على أطفالكما ، فإذا قلتما لهم شيئاً فاعملوا به ، واحذروا أن تعذوهما وعوداً كاذبة .

تحلياً بالصراحة والصدق إذا أردتما أن يكون موقفكما يوم القيامة موقفاً المسلم الحقيقي .

تَعَساً للبيت الذي يسوده النفاق ، ويكذب فيه الزوجان أحدهما على الآخر ، فهو مثل المستنقع المتعفن تنظر إليه الملائكة ، وتلعنه وتلعن رجله وامراته ، لأنهما مُسلمان ويكذبان !! .

والقرآن الكريم يقول : - ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّوْرِ ﴾ (١٧) .

(١٦) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٧٤ .

(١٧) سورة الحج / ٣٠ .

فهو يقرن الكذب بعبادة الأوثان ، ومع الأسف فإنّ الكذب منتشرٌ بكثرةٍ
في بيوتنا وأسواقنا وتجاريتنا ومكاسينا وشوارعنا . وملعونُ القسم (اليمين)
الكاذب ، والمدينةُ التي ينتشرُ فيها الكذبُ تصل رائجُها العفنةُ إلى السماء ،
فتلعنها الملائكةُ .

المحاضرة التاسعة : =

الفصل الرابع

- تكوين الأسرة
- الغيرة والحياء
- تربية الجيل الصالح

● تكوين الأسرة :

أنهينا ثلاثة فصول من موضوع بحثنا عن « أخلاق الأسرة » والفصل الرابع يدور حول تكوين الأسرة وفوائده بحسب الرؤية الإسلامية ؛ وهو موضوع مفيد وقيم للغاية . وأملني أن نعالج خلال هذا الفصل إحدى العقد (الأمراض) الاجتماعية .

ولتكوين الأسرة فوائد كثيرة يصغر في مقابلها كثيراً أمر تلبية الغريزة الجنسية على الرغم من أن إرضاءها (إشباعها) مهم للغاية ، كما عرفنا ذلك في البحوث السابقة ، فقد أوضحنا أن قتل النفس الأمارة - بمعنى قتل الميول وال رغبات (الفطرية) ومنها الغريزة الجنسية - ، أمر يرفضه الإسلام فهو يوجب إرضاءها ، لكن فائدة ذلك ضئيلة مقارنة بفوائد تكوين الأسرة ، وأولها إشباع الحاجة الفطرية لذلك ، وهذه فائدة مهمة ، فاختصاص المرأة برجل معين ، واختصاص الرجل بامرأة معينة وأطفال معينين هو أمر طبيعي (فطري) .

وقد ظهر منذ أن وطىء الإنسان الكرة الأرضية ، فكان في البداية (أسرة) آدم وحواء (عليهما السلام) وما زالت هذه الظاهرة الفطرية حية إلى الآن .

ويقرر الإسلام ثواباً عظيماً للأسرة التي تستطيع تقديم جيل سالم وأولاد صالحين للمجتمع ، وقد لا يكون هناك ثواب أعظم منه . وفي القرآن الكريم

آيةً تتحدّث عن قيمة الإنسان ، فتقول : -

﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا . وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١) .

فالذي يقتل إنساناً دون سبب شرعي ، فكأنما قتل كل من على الأرض من بني الإنسان ، ومن يُنقذ إنساناً يشرف على الموت ، فكأنما أحيا العالم أجمع ، هذا هو معنى ظاهر الآية .

ويذكر الإمام الصادق (عليه السلام) في ذيل الآية (٢) أحد البطون الدقيقة للآية الكريمة ، وهو أن من أضلّ إنساناً عن الصراط المستقيم ، فكأنما قتل الناس جميعاً وذلك لعظمة هذا الذنب .

وعلى العكس فمن أنقذ إنساناً من الضلال وجعله من الصالحين ، فكأنما أحيا الناس جميعاً .

وعليه فالإمام الصادق (عليه السلام) يأمرنا بالحدّ من أن نُضلّ الآخرين بأقوالنا ، ومن أن نجعل أطفالنا يظنّون السوء بعلماء الدين والمُحارب والمُنبر .
فلو فعلنا ذلك ، فكأنما قتلنا الناس جميعاً .

ويوضح (عليه السلام) أن علينا الانتباه على ما نقول ونكتب وعلى سلوكنا ، فلو استطعنا هداية شخصٍ إلى الصراط المستقيم ، فكأنما أحينا الناس جميعاً .

واستناداً إلى تفسير الإمام الصادق (عليه السلام) للآية الكريمة يُصبح أحد مصاديق معنى الآية هو أنه لو استطاع زوجان تربية أولادٍ صالحين ، فإن ثوابهما على ذلك ثواب مَنْ أحيا الناس جميعاً ، وليس ثواب مَنْ أنشأ مسجداً أو

(١) سورة المائدة / ٣٢

(٢) راجع مثلاً تفسير البرهان للبحراني أو تفسير نور الثقلين

مدرسةً أو أحيا إنساناً واحداً أو اثنين .

إذن فتواب تربية جيلٍ سالمٍ وتقديمه للمجتمع هو أسمى من ثواب كل عملٍ آخر في الإسلام ؛ وهذا ما يمكن فعله بتكوين الأسرة .

ويؤكد الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن النبي الأكرم والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) أنَّ عملَ ابنِ آدمَ ينقطع بموته ، فلا يعود يستطيع القيام بما ينفعه إلا أن يكون قد خلف « الباقيات الصالحات » وأحد مصاديقها الولدُ الصالحُ^(٣) ذكراً كان أم أنثى ، فلو صلى سَجَلً لأبيه وأمه مثل ما له من ثواب الصلاة .

ونفس الأمر يصدق لو صام أو خدم المجتمع أو قام بأي عملٍ من أعمال الخير ، فلو ألدته مثل ما يُعطى له من الثواب .

ولذا يؤكد الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّ عملَ مَنْ له ولدٌ صالح لا ينقطع بموته .

ومن الأحاديث المشهورة بين السُّنَّةِ والشَّيعةِ الحديث الذي يرويه الشيخ الصدوق - رحمه الله - في كتاب « ثواب الأعمال » عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال : - « أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَنَّ سُنَّةَ هَدَى كَانَ لَهُ أَجْرٌ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ »^(٤) .

ومن مصاديق ذلك بناء المساجد والمدارس والجسور ، وأي عمل عمراني ، ولكن أسمى هذه المصاديق تقديم أولادٍ صالحين للمجتمع .

فلهذا المصداق أجران : أجر نفس تقديم هؤلاء الصالحين للمجتمع ، .

(٣) راجع مثلاً المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٣ ص ٦١ ، الوجه الثالث من الفائدة الأولى من فوائد الزواج ، والحديث ورد مضمونه وبألفاظ متقاربة في المجاميع الروائية الشيعية والسنة . .

(٤) تجده أيضاً في بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٥٨ .

وأجرٌ يشملُ ثواباً مثل ثواب كل عملٍ خيرٍ يقومُ به الأولاد الصالحون من صلاةٍ وغيرها ، فلهؤلاء أجرٌ عليه ولآبائهم وأمهاتهم مثل ذلك ؛ ونظائر الحديث المتقدم كثيرة (وفيها حثٌ) للإنسان لكي يقوم بتكوين الأسرة ويقدم أولاداً صالحين للمجتمع .

هذا من زاوية الفطرة وقد عرفنا الإسلام - ومُنذ اليوم الأول - منسجماً بالكامل مع الفطرة .

أما عدو الإنسانية ، فهو - ومُنذ البداية أيضاً - يسعى - وخاصة في العصر الحديث - إلى حرمان المجتمع من الجيل الصالح ، ووصلت به الوقاحة حدّ تقديم منهجٍ فلسفيٍّ لحرمان البشر من نظام تكوين الأسرة ، وهذا هو عملُ « المُفسِد في الأرض » فهو ﴿ يهلك الحرث والنسل ﴾ على حسب المنطوق القرآني ، يقول - تعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ (٥) .

فللبعض بيانٌ معسولٌ للغاية وبراهينهم تجذبُ العوامَ بشدةٍ حتى إنهم يُقدّمون كتاباً ومنهجاً فلسفياً نظير ما فعله ماركس ودوركهيم ونيتشة وفرويد ، ويروج المستعمرون الشرقيون والغربيون بكثرة لهذه المناهج ، ولكن الله يعلم ماذا يُضمرّون من (نوايا شريرة) .

ثم يوضح القرآن الكريم أنّ هؤلاء هم أعداء البشرية - ولم يقل أعداء المسلمين وحسب : - ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، وبعد ذلك يذكر صفةً لهم ، وهي أنهم - إذا لم تكن لهم سلطة - أفسدوا في بيوتهم ومع أصدقائهم ، وإذا استقروا فمصادقهم : - ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (٦) .

(٥) سورة البقرة / ٢٠٤ .

(٦) سورة البقرة / ٢٠٥ .

فعملهم إذا تسلطوا هو إضلال الناس وإهلاك الحرث والنسل .

ولهذا معنيان أو مصداقان - بعبارة أخرى - ، أحدهما : نظير المصداق الذي شاهدناه في ثورتنا ، فإنَّ « الكلب الأميركي المدرب » عندما أُطلق وجاء إلى إيران كان عمله في كل قرية يدخلها هو إبادة أهلها ، حتى النساء والأطفال وتدمير كل عمران ليس البيوت فقط ، بل حتى المساجد وحتى الأشجار والمزارع .

وهذا أحد معاني إهلاك الحرث والنسل الذي يتحدث عنه القرآن ، فلو تغلب صدام وأمثاله أو أسباطه أو القوى الكبرى شرقية كانت أم غربية على شعب ما ، وتسلطوا عليه ، لذأبوا على إضلال الناس وارتكاب المجازر في صفوفهم وتدمير كل عمار .

أما المعنى الآخر ، فهو أنَّ سعي هذه القوى المستكبرة المعادية للبشرية أمثال الحركة الصهيونية هو إفساد الجيل الحاضر بكشف الحجاب أو تشويهه وإخراج المرأة بوضع مأساوي مبتذل تحت شعار التحضر ليفسد الرجال أيضاً بذلك . وينغمسوا في شهواتهم ويدمروا جيل المستقبل أيضاً .

فمن الواضح أن الجيل المعاصر إذا فسد ودُمّر ، فإنَّ الجيل المستقبلي سيفسد أيضاً .

من هنا تكثف تلك القوى المستكبرة جهودها (الإفسادية) على المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات والصغار ، فتبعدهم - بصورة خاصة - عن المنبر والمحراب وإذا لم تهتم بإفساد الجيل الحاضر خططت لإفساد جيل المستقبل .

مدرسة « دوركهيم » تصل بها الوقاحة إلى إنكار الحاجة إلى تكوين الأسرة ، و« رسل » الفيلسوف الإنجليزي الذي يحسب له العالم حساباً خاصاً - وإن كان في رأينا لا يعرف شيئاً - يصل به جهله في آخر عمره إلى تكرار

القول بأن تكوين الأسرة أمر خاطئ !! .

وهكذا كان حال فرعون : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ * يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٧) .

وفرعون كان مفسداً جلبَ بلاءَ كبيراً على بني إسرائيل عندما تسلطَ عليهم ، فأثار الاختلاف بينهم في البداية ، واستطاع بذلك أن يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم وهو ما يفسره المفسرون عادةً بقطعه رؤوس الأطفال ، لكي لا يظهر موسى (عليه السلام) فيما كان يُبقي على البنات ، ولكن بعض المحققين وأهل القلب والدوق يقولون : إنَّ المعنى هو أنه كان يقتل روح الإنسانية والرجولية لدى الذكور ، ويقتل الحياة لدى النساء فيُقدِّم للمجتمع فتياتٍ دون حياة .

وعليه فإنَّ أحد أعمال فرعون هو تدمير جيل المستقبل وإفقاد النساء الحياة .

وويل للزمن الذي تفقد فيه المرأةُ حياتها ، فقد ذكرتِ الأحاديثُ الشريفةُ أنَّ (الله) قسم الحياءَ عشرة أقسامٍ : تسعة منها للنساء وواحدٌ للرجال .

ولكن ويل للزمن الذي تفقد المرأة أقسام الحياء التسعة هذه ، فيصل حالها إلى التجرؤ على التعطُّر والخروج من المنزل أو أن تجولَ في الأزقة والأسواق سافرةً ، أي كاشفةً (قناعها) متزيّنة لا ترتدي جورباً أو ترتدي جورباً غير ساترٍ ، وتتحدَّث مع الرجال وتُضاجكهم .

فويل لهذا المجتمع ، وويل لهذه المرأة .

إنَّ فرعون كان يقوم بإيجادٍ مثل هذا الوضع ، لكي يستطيع التسلط على

(٧) سورة القصص / ٤ .

الناس ويعزز سلطته ، فيخطط لمستقبل هذا الجيل بما يحقق له هذا الهدف .
وهذا ما يفعله الاستعماريون الآن أيضاً ، فهم يسعون عادةً لاستعمار
جيل المستقبل ، وهذا ما يُمكنهم تحقيقه إذا أزالوا الحياء عن النساء ،
وأغرقوهن في الشهوات ، وانتزعوا الرجولة من الرجال بمعنى أن الرجل يشاهد
أجنبيّاً (غير مُحَرَّم) ينظر إلى ابنته نظرةً شهوانيةً ، فلا يتأثر أصلاً لذلك ، أو أنه
لا يتأثر لخروج زوجته أو ابنته بجورٍ خفيفٍ غير سائر ، بل يذهب هو لشراء
مثل هذا الجور لها ، أو أنه يرى زوجته لا تهتمُ بسترِ نفسها ، وتترنن لغير
زوجها ، فلا يبالي بذلك ، وفي هذه الحالة تجب إقامة « الفاتحة » على مثل
هذا المجتمع .

لقد جاء ظهور (سياسات) رضا خان المتجبر (في إيران) وطاغوت
تركية^(٨) في آن واحد ضمن نفس سياق تلك الأهداف ونزع الحجاب عن
النساء .

وفي البداية كان رضا خان المتجبر يدّعي بأنه لم يكن يريد وصول النساء
إلى تلك الحالة (الانحرافية) المبتدلة ، وكان يتمسك في كلِّ محفلٍ بالقول
« إن النساء أنفسهن أردن ذلك ، وما أردته أنا نزع الملاءة فقط » !! .

كنتُ صغيراً - لعلني لم أتجاوز الأربعة أو الخمسة أعوام - عندما كان رضا
خان يفعل تلك الأفعال (الشنيعة) في مختلف مدن إيران ، ومنها إصفهان ،
كان الرجال الطاعنون في السنّ يعترضون بالتماس ، فيجيب أولئك (جلاوزة
رضا خان) بأنهم لا يريدون بهم شراً ، وكل ما يريدونه هو نزع « الملاءة » عن

(٨) رضا خان ملك إيران الأسبق والذي جاء به الانجليز للحكم بداية هذا القرن واستبدلوا به حكم
العائلة القاجارية ، والمقصود من طاغوت تركياً هو «مصطفى أتاتورك» زعيم العلمنة والتغريب في
تركيا وهو أيضاً من عملاء الإنجليز وقد نصبوه بعد أن أسقطوا دولة الخلافة العثمانية ؛ وقد نفذ
الاثنان سياسات - إنجليزية متشابهة في إيران وتركيا بهدف إزالة الصبغة الإسلامية عنها .

النساء وليرتدين ما شئت من أنواع الحجاب - باستثناء الملاءة - وهذا ما كان يريدُه رضا خان ، لأنَّ الإنجليز كانوا يعرفون ماذا سيؤول إليه الحال بعد نزع الملاءة ، وقد أوصلوه بالفعل إلى ما رأيتموه ، فقد كانت المرأة تخرج عارية إلى الشارع ، وتفتخر بذلك !! .

قرأتُ في إحدى المجلات - في زمن الطاغوت - ، أن ممثلة سينمائية (إيرانية) - وهي فاسدة بالكامل - كانت تجولُ في الشارع مع زوجها ، فالتفت حولها المصورون لالتقاطِ صورٍ لها وكان ما تلبسه أشبه بقميص النوم ، فتعمدتُ فتحَ رباطه ، فقام المصورون بصنع حلقةٍ حولها ليستروها ، حتى اضطرت إلى إغلاقِ رباطِ قميصها ، فتوجَّهت لزوجها ، وقالت : « عجيبُ أمرُ هذه (النجاة) (الغيرة) الحمقاء (لدى هؤلاء المصورين) ! » .

فكأنها تقول : إنَّها أرادتِ التعرِّي على الملأ ، ليلتقط لها المصورون صورةً . على هذه الحالة ، لكنَّ هؤلاء التفوا حولها ، ومنعوها من ذلك !! .

لقد أوجد رضا شاه وحاكم تركية هذا الفسادَ بأمرٍ من الإنجليز .

وهذا هو فعل المستعمرين ، فرعون أو الإنجليز ، هامان أو أمريكة أو الاتحاد السوفيتي أو غيرهم فهم جميعاً يعملون لإفسادِ جيلِ المستقبل .

فأحذروهم لأنهم يريدون إفساد الجميع ، والتزموا بالعملِ على وفقِ ما يُريده الإسلام والفطرة الإنسانية .

فالأجدد أن نفسَ قوله - تعالى - : ﴿ يُذَيِّعُ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ ﴾ على وفقِ المعنى المتقدمِ مثلما فعلَ بعضُ من المحققين ، فيكون معناه أنَّ ما فعله فرعون أنَّه كان يقتل روح الرجولة في الأبناء والحياء لدى البنات ، فإذا كُبروا على ذلك استطاع التسلَّطَ عليهم .

واستناداً إلى ما تقدَّم لا تستغربوا ما تلاحظونه في القرآن والأحاديث الشريفة من تأكيدٍ مشدَّدٍ لتكوين الأسرة ، فهي وعاء إيجادِ الجيل السالم ، وهذا

هو الذي يُحقّق التطوّر ، ويهتمّ بوضع مجتمعه ويوجد العمران ويطوّر العلوم بالاختراعات بالمقدار الذي يثير الحسرة لدى الأجانب ، ولكن إذا فسد حقّ ما تريد الحركة الصهيونية التي تخطط للتسلّط على العالم ، حتّى لو قتلت ثلثي العالم ، كما تقول (أدبياتها) .

ولتحقيق ذلك تعمل لترويج نظريات « دوركهيم » - وهو نفسه صهيوني - ونظريات ماركس - وهو يهودي أيضاً - وتوجد « الشيوعية الجنسية » ، وأفكار فرويد - وهو أيضاً يهودي - وأفكار « نيتشه » اليهودي أيضاً .

وعندما ندرس التيارات الغربية نجد مؤسسيها من الحزب الصهيوني وجميعهم يهود ، وهدفها تدمير جيل المستقبل .

وعلى الطرف الآخر يقف الإسلام ، ويقول لك : إذا استطعت أن تقدّم للمجتمع ابناً صالحاً وبنثاً عفيفة ، فثوابك عليه أعظم من ثواب بناء مسجد أو الحج أو آية عبادة أخرى ، ولا ريب في ذلك ، فمثلاً الإسلام يفضل الذي يقدم طفليّن صالحين للمجتمع لكنه لا يستطيع القيام بشيء من أعمال الخير تلك ، على الذي يقوم بعملٍ خيري ولا يستطيع تقديم طفليّن صالحين للمجتمع .

وعليه أبارك للنساء اللواتي يقرنّ في بيوتهن لتربية أطفالٍ صالحين للمجتمع ، فهنّ فضلاً عن كونٍ حالٍهنّ هو حال المرباط في الخط الأول لجبهات القتال ، يُعتبر البيت مدرسةً لهن ، ولهنّ ثوابٌ من أحيا الناس جميعاً (لتربيتهن الأطفال تربيةً صالحةً) ، ولذلك أرجوكم أيّها الأزواج والزوجات أن تلتزموا عرى المراقبة لتقديم أولادٍ صالحين للمجتمع .

● تربية الجيل الصالح :

الإسلام يُحدّر كلا الزوجين من التفكير بشخصٍ آخر غير زوجٍه في أثناء الجماع ، كأن يفكر الرجل بامرأةٍ لا تحلّ عليه أو تفكر المرأة بغير زوجٍها خلال ذلك - والعياذ بالله - فهناك الكثير من الروايات تؤكد أن الطفل الناتج من ذلك إذا

فَسَد - كأن يصبح من الزناة - فلا يلوما إلا نفسيهما ، بل إن الإسلام يهتمُ بِصَلاحِ الأطفالِ حتَّى إِنَّهُ ينهى عن الجِماعِ إذا كان طفلُ العَشْرةِ أيَّامَ مستيقظاً وهو في مَهْدِهِ ، ويأمر بالذهاب إلى غرفةٍ أخرى ما لم يكن الطفلُ نائماً .

ويُحذَرُ من أن يسمع أحدُ أنفاسِكُم وحديثكُم في تلك الحالة ، ويحذَرُ من أن يشاهد وجوهكُن وأجسادكُن غير المحارم ومن غمز العيون ، فكلُّ ذلك يُؤثِّرُ في الجيل القادم^(٩) .

إن الكاسب الذي يمازح ويضحك مع امرأةٍ أجنبية لا يمكنه أن يُقدِّمَ جيلاً صالحاً للمجتمع ، فليحذر ، فالإسلام يدق له أجراس الخطر ، ويدقها للمرأة التي لا تتورَّع عن أن يراها غير محارمها ، فعلينا جميعاً أن ننتبه على ما نقوم به ، فالإسلام يأمرُك - إذا أردت التشيُّع - بتلاوة الأذان والإقامة والتكبير في الأذن اليمنى ثم اليسرى للطفل في اليوم الأول لولادته^(١٠) ، ويأمر بأن تذيِّقه تربة الإمام الحسين (عليه السلام) قبل حليب الأم ، كما يأمرُك بمراقبة (حَلِيَّة) الطعام والحليب الذي تُغذِّيه به - وحليب الأم مُهمٌّ جداً في سلامة الطفل وسلامة قابليته - كما أنَّ حَلِيَّةَ الحليب والطعام مؤثِّرة في ذلك .

ينبغي لنا الحذر ، فمثلاً لو كانت ألسنتنا بذئنة ، فإنها تؤدي إلى إصابة أطفالنا بنفس ذلك ، فيقع إثمهم في ذلك علينا بقدر ما يكتب في صحائف أعمالهم ، وهذا ما يؤكِّده الحديث الشريف المتقدم : - « مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً . . . » .

وعليه سيدوق الذي يقدم للمجتمع أطفالاً فاسدين عذاب الدنيا لما يرتكبه هؤلاء من المعاصي .

تذكروا إحدى السيِّدات أنها تقومُ بنقلِ أطفالها إلى بيتِ والدَيها ، إذا نشَبَ

(٩) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٩٣ وما بعدها .

(١٠) راجع المحجة البيضاء ج ٣ ص ١٢٠ وما بعدها .

نزاع بينهما وبين زوجها ، فلا ترجعهم إلا بعد انتهاء النزاع والتصالح .

وهذا عملٌ جيدٌ للغاية ، أيها الزوج وأيتها الزوجة !! إذا أردتما ارتكاب الغيبة أو استخدام كلماتٍ بذيئةٍ والتنازع والسباب فيما بينكم ، فأخرجوا هذا الطفل من مهديه وألقياه - ولو على الثلج - ، فإذا انتهى ذلك فأرجعاه ، فإنه حتى لو مات جسدياً ، لكان خيراً له من أن تموت روحه !! ولذا كان عليكما أن تفكرا دوماً بجيل المستقبل .

إنني لأحذر من الخطر !! فلقد كانت أمهاتنا في السابق يرتدين الملاءة « الشادور » والألبسة الطويلة الفضفاضة ، ويضعن قطعة صغيرة من الحصى في أفواههن عندما يتحدثن مع غير المحارم ، لكي لا تظهر جاذبية أصواتهن ، فيما كان أبائنا مرتبطين بقوة بالقرآن يتلونه صباحاً ومساءً ، ويواظبون على ارتياد المساجد والمنابر .

أما نحن ، فهذا هو وضعنا ! .

فماذا سيصبح حال أطفالنا !! .

فبعد تلك الأمهات جاءت أمهاتٌ يُخرجن - بكل جرأةٍ مع الأسف - بناتهن الكبيرات دون ملاءةٍ ولولا أنهن يخشين لخرجن هن أنفسهن بلا ملاءةٍ ، ويأتين بصدورٍ ظاهرةٍ ، ليجلسن في إيوانٍ مرقدٍ السيِّدة فاطمة المعصومة (سلام الله عليها) دون حياء .

وقد نقلت لي إحدى السيِّدات أنها رأيت السيِّدة فاطمة المعصومة في عالم الرؤيا وهي تقول : - « لقد كنت أضجُّ سابقاً من الغريبات أما الآن ، فالويل من الغريبات » !! .

ماذا سيكون مصيرُ الطفل الذي يكبر في كنفٍ مثل هذه الأم وفي البيت الذي يعجُّ بالغناء والصور المثيرة للشهوة وبالغيبة والنزاع وإثارة الإشاعات والعراك ؟ ! .

فاهتموا بمستقبل الجيل الجديد ، وانتبهوا على حالكم - في الأقل - لكي
لا يُخاطبوكُم يوم القيامة - لا سَمَحَ الله - بـ « القتلة » فتذكروا ذلك ، وتقولوا :
إننا لم نكن نملك الجرأة على ما دون القتلِ بكثير ، فيأتيكم الجواب : - إن
كلًا منكم قد قَتَلَ الناسَ جميعاً ، لأنكم لم تهتموا بأطفالكم ، ولم تربوهم تربيةً
صالحةً تجعلهم نافعين للمجتمع .

المحاضرة العاشرة : =

الفصل الرابع

● فوائد الزواج

- ١ - إرضاء الفريضة الجنسية
- ٢ - تربية الجيل الصالح
- ٣ - سكينه النفس
- ٤ - الرجل والمرأة أحدهما زينة للآخر
- ٥ - موطن السلوى والسرور

● فوائد الزواج :

تحدثنا أمس عن اثنتين من فوائد الزواج ، وهو موضوع الفصل الرابع من بحثنا ، وهما إرضاء الغريزة الجنسية ، وهي فائدة مهمة من وجهة نظر الإسلام ومن وجهة نظر علم النفس .

والثانية تقديم جيل صالح للمجتمع البشري ، وهو أمر مرهون بتكوين الأسرة ، ولذا عمد أعداء البشرية دوماً إلى محاربة الأسرة ، حتى وصلت بهم الوقاحة إلى عرض فكرة الشيوعية (الإباحية) الجنسية . ولذلك يجب عليكم أن تولوا قضية تكوين الأسرة أهمية كبرى ، لكي تستطيعوا تقديم جيل صالح للمجتمع .

وهذا العمل يتضمن بحد ذاته . فائدة مهمة إضافة إلى كونه يمثل ضربة عنيفة للعالم الغربي وعالم الجاهلية الوحشية وللخطط الصهيونية .

كان هذا هو مورد حديثنا أمس ، أما اليوم ، فتحدث عن الفائدة الثالثة وهي : -

٣- سكن للنفس :-

فالقرآن الكريم يعتبر الزواج عاملاً لإيجاد السكن والاطمئنان النفسي لكل من الرجل والمرأة ، ويعتبر ذلك من آيات الله ، يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴿١﴾ .

وإذا بحثنا الموضوع من الزاوية الطبيعية ، نجد الرجل عضواً ناقصاً دون المرأة ، وكذلك حالها هي أيضاً ، وكلاهما معاً يشكلان في الحقيقة وجوداً كاملاً ، إذ يستند كل منهما إلى الآخر .

وهذا هو - في الواقع - معنى « الزوج » عادةً ، فالمرأة - حسبما يُقرُّه القرآن والعلوم الطبيعِيَّة والنفسِيَّة - هي موطن سكن الرجل واستقراره . وكذلك حال الرجل بالنسبة للمرأة .

والإنسان في هذا العالم يحتاج إلى مَنْ يَبْشُهُ هُمُومُهُ ، ولو لاحظنا الأمر - بِحَسَبِ نظرة القرآن وَحَسَبِ الواقعِ الطبيعِي القائم - لما وجدنا أحرص من المرأة على زوجها ، ومن الرجل على زوجته .

وهذا ما يؤكده القرآن الكريمُ في تَبَيُّنِ نفس الآية المتقدِّمة ، فبعد أن تتحدَّث عن قاعدة الاستقرار النفسيِّ تلك يقول : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ .

فعلى هذه الحالة من المودة والرحمة خلقهم - تعالى .

وإذا لم نحطم هذا العامل الاستقراريِّ الباعث للطمأنينة المتبادلة ، فإنَّ الزوجين يتبادلان طبيعياً هذا التأثير ، وتوسعاً لحال البيت الذي يفتقد ذلك ، فهو مثل الفاقد لراحة النوم ، وتعرفون ما يصل إليه حال الذي يُعَدِم النوم من اضطرابٍ وإرهاقٍ ذهنيٍّ وسقم جسدي وهيجانٍ قوَّة التخيُّل .

ونلاحظ هنا أنَّ القرآن الكريم يستخدم نفس وصف « السكن » في حديثه عن خلقي نعمة « الليل » للنوم وعن خلقي الأزواج ، فحال الذي لا زوجة له ،

(١) سورة الروم / ٢١ .

وحالٌ التي لا زوج لها هو كحال الشخص الذي يفتقد النوم ، فعلا الزوجين
سَكَنَ للآخر ، وعلينا الحذر من تدمير ذلك .

٤ - الرجل والمرأة أحدهما زينة للآخر :

ومثلما يوضح القرآن أنَّ كُلاً من الرجل والمرأة عامل استقرار للآخر يؤكد
كذلك أنَّ كلاً منهما زينة للآخر ، يقول - تعالى - : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ
لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (٢) .

ولـ « لباس » هنا معنيان أو ثلاثة ، أحدها هو « الزينة » فيكون المعنى هو
أن المرأة زينة للرجل مثلما اللباس زينة له .

ونفس الأمر يصدق على الرجل بالنسبة للمرأة ، وَيَشْهَدُ على هذا
المعنى أنَّ القرآن أطلق مفردة « الزينة » في الحديث عن اللباس مثل قوله
- تعالى - :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣) .

فالمراد هنا هو الأمر بارتداء الألبسة الجيدة عند الخروج والذهاب إلى
صلوات الجماعة والجمعة والاهتمام بالنظافة والزينة .

وعليه يكون معنى ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ أنَّ النساء زينة
لكم وأنتم زينة لهن .

والمعنى الآخر للآية هو أنَّ الزواج يُحصِن الرجل والمرأة من
الانحراف ، وهذا مبحث آخر ستحدث عنه غداً - إن شاء الله .

والمعنى الثالث هو أنَّ كلاً من الرجل والمرأة ستر للآخر ، فالرجل بلا

(٢) سورة البقرة / ١٨٧ .

(٣) سورة الأعراف / ٣١ .

زوجة مكشوف العورة ، وكذلك حال المرأة بلا زوج .
 فالآية الكريمة تؤكد أنَّ الرجلَ والمرأةَ كلُّ منهما زينةٌ للآخر ، فيجب حفظ هذه الزينة ، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : « المرأةُ قلادةٌ فأنظرُ إلى ما تُقلِّده » .

فالمرأة للرجل مثل القلادة .

ولذا يجب الاهتمام باختيارها ، ثم يتابع (عليه السلام) التأكيد لأهمية أمر الاختيار ، فيقول : « ليس للمرأةَ خطرٌ ، لا لصالحتهن ولا لطالحتهن .
 أمَّا صالحتهن ، فليس خطرهما الذهب والفضة ، بل هي خيرٌ من الذهب والفضة .

وأمَّا طالحتهن ، فليس التراب خطرهما ، بل التراب خيرٌ منها » (٤) .
 ونفس الأمر يصدق على الرجل ، فلو كان يتحلَّى بالرجولة وكانت زوجته راضيةً عنه ، فهو نعمة كبرى للمرأة تفوق كلَّ الدنيا وما فيها .
 فالإمام الصادق يُبين هنا أنَّ على الزوجين أن يعرفا عظمة قدر النعمة التي هما فيها ، إذا كانا منسجمين فيما بينهما وكان كلُّ منهما زينةً للآخر .

٥ - موطن السلوى والسرور :

إضافةً إلى كون الزوج والزوجة سَكَنًا وزينةً لبعضهم لبعض ، فإنَّ كلاً منهما سلوى وعاملٌ للترفيه عن الآخر ، وأفضل عاملٍ في هذا المجال إذا كان البيتُ هوحاً كما يريدُه الإسلامُ وكان سلوك كلِّ منهما على وفقِ تعاليمه .
 ولعلَّ في محفلنا هذا أشخاصاً تتطَّلَع قلوبُهم دوماً إلى بيوتهم والعودة

(٤) جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ كتاب النكاح ص ٥٧ حديث رقم ١٩٦ نقلاً عن فروع الكافي ج ٥ ص ٣٣٢ .

إليها بعد انتهاء عملهم اليومي ، لكي يُذهبوا عن أنفُسِهِم فيها التعب والنصب والهموم ، ويستعيدوا الحيوية والنشاط .

ولعلّ في هذا المجلس سيّدة تحرص على انتظار زوجها لتفتح له الباب بنفسها ، وتزيل تعبهُ ونصبهُ بنظرةٍ وابتسامةٍ واحدةٍ .

ولهذا يقول النبي الأكرم (صَلَّى الله عليه وآله) : « ما استفادَ امرؤٌ مسلمٌ فائدةً بعدَ الإسلامِ أفضلَ مِن زوجةٍ مُسلمةٍ تسرهُ إذا نظرَ إليها »^(٥) .

ونلاحظ أنّ الروايات الشريفة تعتبر المرأة الصالحة أفضلَ من الذهب والفضة ، بل لا تعتبر شيئاً بعدَ الإسلامِ أعظمَ قيمةً منها .

وعلى الذين لهم مثلها ، كما على النساء اللواتي يحظينّ بأزواجٍ صالحينّ بحيث يبعث كلّ منهم السرور لدى الآخر أن يحمدوا الله على ذلك كثيراً .

والذي يريده الإسلام هو أن يكون البيت الزوجي مبعثاً للسرور .

وأفضل أشكال السرور هو الرفقة الودية بين الزوج والزوجة ، فعلى الأزواج أن يتعاملوا مع زوجاتهم بما يبعث السرور لديهنّ ، وعليهن أن يفعلن مثل ذلك .

يُروى أنّ رجلاً جاء إلى الرسول الأكرم (صَلَّى الله عليه وآله) وأخبره أنّ لَدَيْهِ زوجةً تتعاملُ مَعَهُ على وفق تلك الصورة المتقدّمة الباعثة للسرور في قلبه المزيلة للتعب والنصب عنه ، فقال (صلوات الله وسلامه عليه وآله) : « . . . خيرٌ نسائكم . . . الهينة اللينة المؤاتية التي إذا غَضِبَ زوجها لم تَكْتَحِلْ (عيناها) بَغْمَضٍ ، حتى يرضى وإذا غابَ (عنها) زوجها حَفِظَتْهُ في غَيْبَتِهِ ، فتلك عاملةٌ مِن عَمَلِ الله وعاملٌ الله لا يَخِيبُ »^(٦) .

(٥) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٢٣ .

(٦) جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٣٨ حديث رقم ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ والأحاديث الثلاثة مروية =

فهذه المرأة هي مثل الملائكة وثوابها وعملها عظيم ، وكذلك حال الرجل إذا كان على نفس تلك الحالة .

عليكم - أزواجاً وزوجات - أن تنبهوا لكي لا تحطموا هذه الحالة ، فلن يبقى لكم بعدها من تسكنون إليه ، وتبثونه همهمكم فطرف الزوجية الآخر هو الذي يُزيل عنكم الاضطراب ، ويحول دون الإصابة بضعف الأعصاب ، وابتسامات الزوجية وحديثها الودّي هو الذي يجعل البيت موطن السرور .

وإذا زالت المحبة والود من البيت أصبح ملوثاً ليس للزوجين وحسب - ويا ليت الأمر ينحصر بذلك - بل يصبح أفسد من كل مركز فساد .

فإذا رأيتم الأطفال ضعيفي القابليات والمواهب ذوي حافظة ضعيفة وتزداد ضعفاً يوماً بعد آخر ، فاعلموا أن التقصير صادر عنكم ، فعادة ما يكون الوالدان سبب أشكال الاضطراب الذي يظهر عند الأطفال فإنه إذا انعدم الاستقرار والطمأنينة في البيت تحول إلى سجن للمرأة وعامل لانهايار الأعصاب ، فلا يعود موطناً للسرور .

يحدث أحياناً أن يرغب الزوج في البقاء إلى منتصف الليل في زاوية من الزقاق أو في المقهى ، ويفضل ذلك على الذهاب إلى بيته .

وأحياناً تجد الزوجة لا ترغب في النظر إلى وجه زوجها . وسبب ذلك هو تدميرنا لتلك الحالة المطلوبة في بيت الزوجية ، وكونه محل السكن ، عبر الكلمات الجارحة والطلبات غير المناسبة ، في حين أن المطلوب هو أن تظل تلك الحالة قائمة بين الزوجين ، حتى بعد أن يشيخا بحيث يظهر كل منهما جميلاً في عين الآخر ، فلا تتصوروا أن الجمال هو فقط بهذه الزينة ، لا ، فالجميل الحقيقي هو الذي يكون جميلاً في عين الإنسان .

عن الإمام الرضا عن جدّه الأمير وعنه عن رسول الله (ص) دون قصة مجيء الرجل للرسول التي أوردها الشيخ في المتن ، وقد وردت قصة الرجل في روايات أخرى .

جاء في قصّة « ليلى والمجنون (قيس) » - ولعلّها ليست حقيقية ، لكنّ فيها وفي قصة « شيرين وفرهاد » عبرٌ لطيفة - أنّ العشق بين ليلى والمجنون وصل أسمع الملك في ذلك الزمان ، فاستدعاهما كلاهما ، وعندما ذهبا إليه ، رأى أنّ ليلى ما هي إلا بدوية سوداء بشفاه عريضة ، وليست جميلة أصلاً - فتعجّب الملك من ذلك وممّا قاله فيها مجنونها كل أشعار العشق تلك ، ففهم المجنون سرّ تعجّبه ، فأنشد شعراً طريفاً للغاية قال فيه : -

إذا نظرت بعين « المجنون » فلن ترى في ليلى غير الجمال !!^(٧)

فهو (قيس) ينظر إليها بعين الحبّ والعشق ، وعندما يقولون له : ويحك إنّها سوداء يُجيب بأنّ « المسك » كلّما كان أشدّ سواداً اشتدّت رائحته طيباً !! . وهكذا يسوّغ نقائصها .

وإذا أحبّت المرأة زوجها لم تعد - حينئذٍ - قادرة على تصوّر النقص فيه ، وحتى لو تحدّث شخص عن ذلك - من باب الجرح ، كأن تكون والدتها أو والدها مثلاً - تصدّت لهما ودافعت عن زوجها ؛ ولو أحبّ الرجل زوجته أصبحت في عينه أجمل النساء حتى لو لم تكن جميلة أصلاً .

ولكن ما تقدّم لا يستدعي أن تذهب النساء إلى السحرة من أجل استجلاب محبة الزوج ، فهذا خطأ ومعصية كبيرة ، فقد روي أنّ امرأة قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إنّ لي زوجاً وبه عليّ غلظة ، وإنّي صنعت شيئاً لأعطفه عليّ (لجأت إلى السحر) ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « أف لك ، كذرت البحار وكذرت الطين ، ولعنتك الملائكة الأخيار وملائكة السموات والأرض » فصامت المرأة نهارها ، وقامت ليلها ، وحلقت رأسها ، ولبست المسوح ، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله)

(٧) ترجمة نثرية لبیت شعر بالفارسية .

فقال : « إِنَّ ذَلِكَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا »^(٨) .

ومعنى عدم قبول ذلك هو أن توبّتها تكون بقيامها بواجبات الزوجية ورعاية زوجها ، وليس بترك الحياة والانشغال بالعبادات .

فعلى وفق ما بيّنه النبي الأكرم (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) فإذا أَرَدْتَ أَنْ يُسَرَّ زَوْجَكَ بالنظر إليك ، ويراك خَيْرَ النساءِ فعليك بالقيام بواجبات الزوجية ورعاية البيت والأطفال ، وعندها سيحبُّك زوجك مهما كان سيئاً .

وإذا أردت - أيها الزوج - أن تستجلب حبَّ زوجتك ، فأعرض عن الكلام الجارح وسلطة اللسان .

فهذا أحدُ العوامل المزيّلة للمحبة ، فعليك أن تجتنب تقرير زوجتك بمجرد دخولك المنزل - والعياد بالله - ، فإذا كانت لديك مشاكل وهموم خارج البيت ، فتناساها عند دخولك البيت ، فليست زوجتك هي التي أوجدتها لك .
وآجنب الصراخ والشباب للأطفال فمثل ذلك من الذنوب الكبيرة ، فإساءة الخلق مع العيال تُورث ضغطة القبر .

يُروى أَنَّ أَحَدَ خَوَاصِّ أَصْحَابِ الرَّسُولِ - وهو سعد بن معاذ - ماتَ فشارك (صلى الله عليه وآله) في تشييعه ، وأنزله القبرَ بيده المباركة ، فغبطه الناسُ على ذلك ، فقال (صلى الله عليه وآله) : - « مثل سعد يُضْمُّ !؟ » (بضغطة القبر) ، فقال الراوي قلتُ : - جعلتُ فداك إنا نحدث أنه كان يستخفُّ بالبول ، فقال (ص) : معاذُ الله إنما كان من زعارةٍ في خلقه مع أهله^(٩) .

أجل ، فالمسلم ليس فحاشاً ، وليس من الرجولة أن يضربَ الزوج زوجته ، وليس ذاكُ مُسْلِماً ، ولا ينبغي له تقصّي الهفوات الصغيرة ، فمثل هذا

(٨) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٨٤ .

(٩) الزعارة : شراسة الخلق والحديث مروي في الكافي ج ٣ ص ٢٣٦ الحديث رقم ٦ . .

يعرضه لضغطة القبر وسخط الله والرسول الأكرم والأئمة الطاهرين .
 فليعلم الزوجُ الفحَّاشُ والزوجةُ السليطةُ اللسان على زوجها ، أنَّ
 الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يقول : - « . . . لو رأيت الذين يأكلون
 الناسَ بالسَّيِّئِهم وقد بسَّطتها بسطَ الأديمِ وضربت نواحي ألسنتهم بمقامعٍ من
 نارٍ ، ثم سلَّطت عليهم موبخاً لهم يقول يا أَيُّها النارُ هذا فلان السليطُ
 فأعْرِفُوهُ . . » (١٠) .

في بعض الأحيان نرى رجلاً وجيهاً - في الظاهر - لكنَّه يصلُّ به الجهل
 حدَّ مخاطبة ابنه بـ « ابنِ الكلب . . . » بمعنى أنه يسبُّ نفسه ، وواضح أنَّ هذا
 الأب سيصبح كذلك ، فإنَّ الفحَّاش في بيته يتحوَّل إلى وحشيٍّ في تعامله ،
 وهذه الحالة تُصبح ملكةً ، ثم هُويَّة له ، فيظهر بحسبِ قانونِ تجسُّمِ الأعمالِ
 بصورةِ الكلب ، وإن كان نفسه لا يرى ذلك ، إلَّا إذا كانت لديه عين البصيرة ،
 كان يقول : - « رأيتُ فلاناً بصورةِ كلب في عالم الرؤيا ؛ فسألته لقد كنت
 إنساناً جيداً فلماذا أصبحت على هذه الحالة ، فقال : - آه من سوءِ الخلق مع
 العيال ، قالها ثلاثاً » .

وحقاً إنَّ الذي يخاطب أطفاله بمثلِ ذلك أو يشتم زوجته هو كلبٌ حقاً
 ولو كان الذين يرونه هم من أمثالِ صدرِ المتألِّهين أو العلامةِ المجلسي لديهم
 كشف وشهود ، لشاهدوه كلباً متوحشاً .

فيا أَيُّها السيِّد ، تجنَّبي سوءَ الخلقِ ، وإلَّا لما كانت صورتُكِ عندَ
 ملائكةِ السماءِ وعند أهلِ القلبِ سوى صورةِ كلبٍ ، حتى لو كنتِ عندَ الناسِ
 تحظين بالجمال والشباب والاحترام والألبسة الجيدة .
 ويا أيُّها الرجل إذا كان خُلُقُك هو ذاك ، فاعلم أنَّك عندَ الملائكةِ كلبٌ

(١٠) سفينة البحار ج ١ ص ٣٣٧ ، والحديث قريبٌ في مضمونه من الترجمة التي أوردها الشيخ في
 المحاضرة حيث ذكر مصاديق ما يشير إليه الحديث الشريف .

يرونك على هذه الصورة ، حتى لو كنت محترماً للغاية بين الناس وكان لك نفوذ ومال وجاء وقوة .

وتشير الأحاديث الشريفة إلى أن الذي يرتكب أمثال سوء الخلق والضرب والسب مع العيال تظهر روحه بصورة كلب ، ويُخاطب بهذا الوصف « أيها الكلب : ماذا تفعل » منذ صعوده إلى السماء الأولى ثم الثانية والثالثة والرابعة وعلى نفس هذه الحالة إلى السابعة واللوح والقلم وبالأخير إلى عرش الله والحضرة الربوبية المقدسة .

بمعنى أنه يذهب الله - تعالى - على هذه الصورة .

وعلى العكس من ذلك حال الذي يلتزم لما ورد في موضوع هذا اليوم ، أي أن يكون كل من الزوجين سكيناً وزينةً ومبعثاً للسرور لدى الآخر .

فعندما تصعد روحه إلى السماء تخاطب بـ « جاء السيد أو جاءت السيدة ، جاء المؤمن . . . » .

ويحظى برضا الله عندما يلقاه ومعلوم مآل من يحظى بذلك مثلما هو معلوم أيضاً مصير من يسخط الله عليه .

اللهم ، إنا نقسم عليك بأطفال أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) أن تتفضل علينا جميعاً - زوجات وأزواجاً - بأن تجعل بيوتنا موطناً للسرور والاستقرار ، وأن يكون بعضنا زينةً للبعض الآخر .

اللهم ، إنا نقسم عليك بعزتك وجلالك أن تتكرم على أولادنا - ذكوراً وإناثاً - بزواج وأزواج ، يكونون قرة أعين لهم في الدنيا والآخرة .

المحاضرة الحادية عشر : =

الفصل الرابع

- ٦ - تهذيب النفس
- مقام الصبر
- ٧ - الأسمى من نافلة الليل

٦- تهذيب النفس :

الفصل الرابع من بحثنا هو حول تأسيس الأسرة وفوائده وقد تحدثنا فيما سبق عن خمسٍ منها .

ومن الفوائد الأخرى المهمة هنا هو تهذيب النفس . بل الوصول إلى مقام التحلية بمعنى أنَّ الرجل والمرأة - بالخصوص - يستطيعان تهذيب النفس وتحقيق مقام التخلية ، بل تحقيق مقام التحلية واكتساب الفضائل في بيت الزوجية . وتحقيق هذين المقامين أمرٌ صعبٌ للغاية ، كما يؤكد علماء الأخلاق ، إذ ينبغي أن ينجح الإنسان أولاً في استئصال الصفات الرذيلة ، ثم يغرس في نفسه شجرة الفضيلة ، ويكتسب إحدى الصفات الإنسانية ، ولا يستطيع بنو الإنسان - عادةً - طي هذه المنازل ، لأنهم لا ينشطون في العمل في هذا المضمار : -

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً ﴾ ^(١) .

فهذه العقبات صعبة ، ويصعب على الإنسان عادةً أن يُحرر نفسه من الصفات الرذيلة ويستأصلها من نفسه ، بل يصعب أن يكبح جماحها على الأقل .

(١) سورة البلد / ١١ - ١٣ .

ولكن بتحقيقه ذلك يصل إلى المقام الثاني وهو غرس شجرة الفضيلة محلّ شجرة الرذيلة التي استأصلها ، وهذا أصعبُ من الأول ، كأن يتخلص من الجزع والفرع ، ويكتسب ملكة الصبر بدلاً من ذلك .

فهذا أمرٌ صعبٌ يستلزم - كما يقول علماء الأخلاق - عملاً دؤوباً مستمراً ليلاً ونهاراً ، إذ إنّ النفس الأمّارة (بالسوء) مثل الفيل الذي على صاحبه أن ينتبه عليه ويردعه باستمرار لأنّه إذا غفل عنه لحظة ، جلب البلاء على نفسه وعلى صاحبه .

كذلك حال النفس الأمّارة ورذائل الصفات ، فهي تحتاج إلى مراقبتها ليلاً ونهاراً وكدحاً مستمراً لكي يستطيع الإنسان استئصالها ويخلي نفسه منها ، واعلموا أن هذا هو الهدف من بعثة الأنبياء ورسالاتهم كافة ، يقول - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٢) .

فالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) جاء بمعجزة القرآن من أجل تهذيب الناس وتزكيتهم ورفع مستواهم الثقافي ، أي للتعليم والتربية وبحسب المنطوق القرآني للتربية (التزكية) والتعليم .

وهذا أمرٌ صعبٌ وقد بذل الأنبياء من أجله جهوداً مضنية ، لكنهم لم يحققوا ما أرادوا بالكامل فهو أمرٌ صعبٌ .

إنّ على كلا الزوجين - والمرأة خاصة - الانتباه إلى أن بيت الزوجية مدرسة وكتاب ومعلّم للأخلاق ، وأن تأسيس الأسرة يعني تشكيل مجلس أخلاق . والبيت الزوجي يقوم - في الواقع - بمهمة مزدوجة إذ يحدث أحياناً أن يجتهد معلّم أخلاقي لتهذيب تلميذه فإذا تحقق ذلك ينقله إلى مقام التحلية ،

(٢) سورة الجمعة / ٢ .

أي : يجعله يكتسب الفضائل الإنسانية .
ولكن يحدث أحياناً أخرى أنّ معلم الأخلاق وفي نفس الوقت الذي يعمل فيه لتهديب تلميذه يزينه بالصفات الإنسانية .
وهذا هو حال الأسرة (الإسلامية) ، وهذا هو عمل كل من الزوجين تجاه الآخر ، وعمل كل منهما تجاه الأطفال وكذلك عمل الأطفال تجاه الوالدين ، فالجميع يقومون بمهمة مزدوجة .

● مقام الصبر

إذا كان الزوجان يقظين ، فهما قادران على إبعاد الجزع والفرع عنهما - من خلال الخدمة المتبادلة وتربية الأطفال - ، وعلى استئصال هذه الصفة الرذيلة التي تبدو وكأنها جزء ثابت في ذات الإنسان ، حتى إنّ القرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾ (٣) .

فالإنسان مثل الحصى الصغيرة المتناثرة في الأزقة تنقلها أقدام المارة - أيّاً كانوا - من هنا إلى هناك وهكذا ، وهذا الهلع يجعله يجزع لأدنى مصيبة تصيبه ، ويجعله يتكبر إذا أقبلت عليه الدنيا .

فصفة الجزع والفرع مذمومة في علم الأخلاق ، والمتصف بها يتأذى من الكلمة الصغيرة والعمل الصغير غير المؤدّب الذي يصدر عن ولده ، فيرتفع صراخه بسبب ذلك .

وهذه الصفة السيئة موجودة عادة في الناس .

أما الصفة (الحسنة) المقابلة لها ، فهي صفة الصبر والاستقامة التي يؤكدها القرآن الكريم كثيراً يقول - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ

(٣) سورة المعارج / ١٩ - ٢٢ .

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤﴾ .

فلكل عملٍ ثوابٌ بمقدار عاملِ الخدمة (القيمة) فيه ، فللمصلاة أجرها المحدد وكذلك حال الصوم والخمس والزكاة وحتى الجهاد .

أما العمل الذي لا حدٌ لثوابه ، فهو الصبر على المصائب والبلاء ، الصبر في تربية الأطفال صبر الزوجة على مساوئ زوجها ، وصبر الزوج على مساوئ الزوجة ، وخير محلٍ للصبر هو بيت الأسرة ، فإذا كان الزوج يقظاً (مراقباً) استطاع أن يصبح إنساناً بالصبر على سوء أخلاق زوجته ! ويصل مقام الصبر .

وللجنة ثمانية أبوابٍ أحدها خاص بالصابرين على البلاء والمصائب ، وعن المعصية وعلى الطاعة والعبادة ، فهؤلاء يدخلون الجنة من هذا الباب وهو أفضلها ، إذ يدخل منه الأئمة الطاهرون ، فقد واجهوا الكثير من المصائب وصبروا عليها ، فالإمام الحسين (عليه السلام) يدخل منه .

أُسْرُ الشهداء المحترمة إذا تحلّت بالصبر وانتبعت على أن للمصائب التي حلّت بهم جنبَةٌ تربويةٌ بناءةٌ .

كما يدخل من هذا الباب الزوجة التي تُربّي أبناءها تربية بصورةٍ صحيحةً ، وتصبر على المشاكل وتلك الصابرة على مساوئ زوجها ، وذاك الزوج الذي يتجنب الانفعال تجاه الأمور التي لا يرغب فيها في البيت ، فلا يجزع ولا يفزع لذلك .

والأسمى من ذلك ومن الجنة هو أن ينجح الإنسان في تخلية نفسه من صفةٍ رذيلةٍ وغرس فضيلةٍ محلّها .

ولقد قلتُ مراراً إنَّ جدارَةَ الإنسان لا تثبت في الذهابِ إلى الجنةِ أو عدمِ

(٤) سورة الزمر / ١٠ .

الذهاب إلى النار ، فقلّة من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) يذهبون إلى النار وإن عانوا العذاب في البرزخ والقبر ، حتى الذين يذهبون إلى جهنم فمكوّثهم فيها مؤقت .

فليست الجدارة إذن في عدم دخول النار ، فالمجانين أيضاً لا يدخلونها ، ولا في دخول الجنة فالأطفال يدخلونها أيضاً بغير حساب إذا ماتوا صغاراً ، فإذا دخلتها أنت أيضاً بغير حساب ، فليس ذلك علامة جدارتك ، فعلامة الجدارة هي الحصول على رضا الله - سبحانه وتعالى - ، هي أن يجعل قلبه محلاً وعرشاً لله في هذه الدنيا : - « قلب المؤمن عرش الرحمن » ، ومن يستطيع ذلك ؟ !

إنه الذي ينجح في تحقيق مقامي التخلية والتحية أي أن ينجح في قلع شجرة الرذيلة وغرس شجرة الفضيلة .

وبيت الزوجية هو معلّم جيد في هذا المجال ، فالعفو والتضحية والإيثار هي من الفضائل التي لا تُوهب لأيّ كان ، في حين أن ضيق الأفق والتعامل الخشن (سوء الخلق) والروح الانتقامية هي من الصفات الموجودة أيضاً في الحيوانات المتوحشة .

وأفضل مكان يستطيع فيه الإنسان التخلّص من هذه الرذائل ومن البخل ، والتخلي بفضائل الإيثار والتضحية والعفو هو البيت .

إن التربية الصحيحة هي التي لا يكون فيها ضرب أصلاً ، فغلبة القوي على الضعيف - بمعنى أن يقتدر على ضرب زوجته ، فيفعل - هي من صفات الحيوانات ، فمثلاً ضبعوا مقداراً من العلف أمام حيوانين ، عندها ترون أن الأقوى يزيع الآخر ، ويأكل العلف وحده .

وهذا هو حال القوى السلطوية في عالم اليوم أمثال أمريكا ، والاتحاد السوفيتي وفرنسة وإنجلترا وغيرها من البلدان التي يحكمها منطق غلبة القوي

على الضعيف .

بمعنى أن دأبها هو امتصاص دماء المستضعفين .

والزوج الذي يضرب زوجته في البيت يعمل على وفق منطق الغاب هذا ، فهو حيوان ، وليس إنساناً مسلماً .

حتى لو كانت المرأة مخطئةً بالكامل ، فلا ينبغي للزوج أن يضربها .

فلو ضربها واحمرَّ وجهها ، لأصبح مدينًا لها بمِثقالٍ من الذهب .

وإذا اسودَّ بدنُها ، كان دينُها لها ثلاثة مثاقيل ذهب .

أيجوزُ ضربُ الزوجة عندَ تقصيرِها تقصيراً فادحاً ؟ !

وهل يجوزُ ضربُ الطفل دونما داعٍ ؟ ! وهل يجوزُ سبُّها وسبه ؟ !

إنَّ هذه الظواهرَ ليست من عمل الإنسان ، بل أفعال الكلاب المتوحشة أمثال صدام وريغان .

ولذلك تُنصب يومَ القيامةُ خيمةٌ من نارٍ ، ويضعون فيها الظلمة سواءً أكان رجلاً ضرب زوجته أو زوجةً عُنُفَتْ زوجها .

وتذكر الأحاديث الشريفة أنَّ مَنْ أعان الظلمة - حتى بوضع الجبر في دواة الظالم - يأخذون إلى تلك الخيمة فيبقون فيها حتى تنتهي محاسبة الخلق وعندها يدخلونهم جهنم جميعاً ، والسبب هو أنه كان يظلم زوجته بضربها .

ولو أصبح مثل ريغان ، لكان قد ضَرَبَ العالم كله ؛ أي لو امتلك قوةً كبرى عالمية ، لظم العالمَ أجمع .

ولو امتلك قوةَ السيطرة على بلدٍ أو محافظةٍ أو مدينةٍ أو قريةٍ ، لظلمَ ما تسلَّطَ عليه وإذا لم يكن قادراً على ذلك ضرب زوجته وأطفاله .

وإذا كانت زوجته متسلَّطةً عليه ضربَ قطرةً !! .

ضربُه القطة يكشف أن جذورَ الظلم حيةٌ فيه ولو تسلَّط على الدنيا ،
لظلمها .

مَنْ يستطيع الحصول على مقام التسامح والإيثار والتضحية ؟ ! .

وَمَنْ يقدر على التخلص من ضيق الأفق ويستبدله بسعة الصدر ؟ ! .

إنَّها السيدة التي تعفو عن سيئات زوجها ، ولا تطلع أحداً - حتَّى
والديها - على ما يقوله وتصبر على مساوي زوجها وتُناجي ربُّها بالقول :
- « اللهمَّ إِنِّي ألتزم عُرى الصبر سعياً لِرضاك ، فقد أمرت بالصبر .

اللهمَّ اغفرْ لي وأغفرْ له ، فقد ضربني .

اللهمَّ اهْدِنِي وإِيَّاهُ واجعلْنَا معاً من أهل الجنة » .

فمثل هذه السيدة تكتسب من خلال ذلك سعة الصدر ومقام الإيثار والعفو
والتضحية ، ولذا تُحشَرُ مع الزهراء (عليها السلام) التي كانت تتحلَّى بهذه
الخصال حتَّى إنَّها هي وأسرُّها كانوا صائمين وقد أعدَّت بيديها المباركتين
لإفطارهم خمسة أرغفة من الخبز ، ولكن عندما جاء سائل يستعطيها أعطته تلك
الأرغفة ، وأفطرت وأطفالها على الماء ، هكذا حدث في اليوم الثاني والثالث .

وقد نزلت في ذلك آيةٌ من الذكر الحكيم : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى
حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ... ﴾ (٥) .

ولا تتصوِّروا أنهم (عليهم السلام) لم يكونوا بحاجةً لذلك الخبز ، بل
إنهم كانوا جوعاً وكان ذاك طعام إفطارهم .

هذا هو حال المرأة التي تصبر على المصائب والبلاء .

أمَّا الزوج الذي يصبر على البلاء ويؤثر ويضحى ويعفو في تعامله في

(٥) سورة الدهر / ٨ .

البيت ، فهو يُحشَرُ مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال - تعالى - : -

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٦) .

وقد ورد العديدُ من أسبابِ النزولِ لهذه الآية المباركة منها قصة الرُّمَّانةِ التي اشتراها الإمامُ علي (عليه السلام) للزَّهراء (سلام الله عليها) وكانت مريضةً ، ووصفوها لعلاجها ، فقد عاد (عليه السلام) فقيراً ضريباً كان مريضاً ، فسأله عن حاله ، فقال له : لو كانت لديَّ رمانةٌ واحدة لتحسنت صحتي ، فأخذ الإمام تلك الرمانة (التي كان في غاية الحاجة إليها لمعالجة الزَّهراء) وأطعمها لهذا الفقير المريض حبةً حبةً بيده الشريفة .

والذي يريد أن يُحشَر مع أمير المؤمنين (عليه السلام) فعليه الاقتداء بهذا الإيثارِ العلوي وهذه التضحية ، أي أن يتشبه به .

ومعنى الشفاعة أساساً هو التشبه . فإذا أردتم نيلَ شفاعةِ أهلِ البيت ، وإذا أرادت السيِّدات شفاعةَ الزَّهراء ، فيجب عليكم التشبهُ بهم ، ويجب عليهن التشبهُ بها (عليها السلام) بمعنى التحلِّي بالتضحية والإيثار والصبر على المصائب .

طوبى لكم يا أسَرَ الشهداء ، ويا أَيْتَهَا الْأَمْهَاتِ وَالْأَبَاءِ الْمُتَوَرُونَ ويا أَيْتَهَا الْمُعَوَّقُونَ وَالْجُرْحَى طوبى لكم جميعاً إذا تحلَّيْتُمْ بالصبر .

طوبى لَكُنْ أَيْتَهَا الْأَرَامِلُ اللَّوَاتِي تُرَبِّينَ أَيْتَامَ الشَّهَدَاءِ ، فلو كان شهداؤُكُمْ قد قُتِلُوا مرَّةً واحدة ، وفازوا بالمقامِ اللاحقِ لمقامِ الأنبياءِ والأوصياءِ ، فاعلمن أنَّ لَكُنْ كُلَّ يَوْمٍ مثل ثوابِ الشهيد ، فالشهيد ذهب للجبهة ، وقُتِلَ مرَّةً واحدةً .

أَمَّا أَنْتُنَّ ، فَإِنَّكُنَّ حَاضِرَاتُ كُلِّ يَوْمٍ فِي الْخَطِّ الْأَوَّلِ لِلْجَبْهَةِ ، وكذلك

حالكم يا آباء الشهداء .

إني كلما رأيتُ أَسَرَ الشهداءِ المحترمة ، حصل عندي هيجانٌ داخلي ،
فحياة هؤلاء الأرااملِ المتكفلات بالآيتامِ صعبة ، ولكن الإنسان عندما يرى
عاقبتها تهون مشاكلها .

فعندما يرى أن هذه السيدة تحصل بصبرها على ملكة الصبر ، وأنّ والذي
الشهيد يستطيعان بصبرهما وعدم الجزع والفرح الانتقال من مقام التخلية إلى
مقام التحلية ، عندها يصبح الأمر - عندهم - يسيراً ويسيراً جداً .

وواضحٌ أنّ حياة الفقراءِ صعبة ، ولعلّه ما من مرضٍ أشدّ من الفقر بعدد
مرضٍ فقدان الإيمان ، ولكن هل تعلم أيّ مقامٍ يصله الفقير الصابر على فقره
أو المرأة الصابرة التي لا يستطيع زوجها توفير المصاريف - بالدرجة المطلوبة -
فتصبر ولا تظهر الحاجة ، وتشكر زوجها وتسليّه ؟!

ورد في أحد الأحاديث الشريفة أنّ الله - تعالى - يتحدث بلغة المعتذر مع
الفقراء يوم القيامة^(٧) ، أي أنّ الزوج الذي يرغب في أن يوفر معيشة مرفهة
لعياله ولا يستطيع وذلك الذي يؤذيه عدم استطاعته تسديد فروضه ، وتلك
السيدة التي تحب أن يكون أطفالها في رفاهية ، فلا يقدر زوجها على ذلك ،
فلا تشتكي له ، بل تسليّه ، هؤلاء يعتذر منهم الله - تعالى - يوم القيامة .

فأيّ مقامٍ أسمى من هذا ؟!

فلا غرابة أن يُدخلَ هذا الاعتذارُ السرورَ على هؤلاء وعلى الذين تحمّلوا
المحن والمصائب ، فيتمنون أنهم لو كانوا قد تعرضوا في الدنيا للتقطيع إرباً

(٧) ورد هذا المعنى في حديثين في كتاب المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٧ ص ٣٢٣
(كتاب الفقر والزهد) ، الأول يرويه الغزالي عن الرسول الأكرم (ص) والثاني يرويه الفيض
نقلاً عن الكافي للكليني عن الإمام الصادق (ع) . .

إرباً ، لتكون منزلتهم في الآخرة أسمى ، الأهم من ذلك هو أنهم اكتسبوا في هذا العالم ملكة الصبر .

البيت مدرسة وأية مدرسة ؟! فهي تنجز مهمة مزدوجة إذ تمكن الإنسان من قلع رذائل الصفات ، وزرع شجرة الفضيلة .
فيا أيها السيّد إذا كان زوجك سيئاً ، فاصبري عليه - من أجل الله - ولكي تتحلّين - تدريجياً - بملكة الصبر ، فتحلّيك بها خير لك من الدنيا والآخرة .

ويا أيها السيّد ، اصبر إذا كانت زوجتك سيئة الخلق وعليك بالتحلّي بسعة الصدر . وتكيف معها ، حتى تستأصل تدريجياً الجزع والفزع وتغرس مكانه ملكة الصبر في داخل نفسك واعلم أن قلّك لتلك الرذيلة وغرسك لهذه الفضيلة ، هو خير من الدنيا والآخرة وأسمى من الجنة ونعيمها ، فالله يرسل عليك بذلك صلواته ورحمته : ﴿ .. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ (٨) .

٧- الأسمى من نافلة الليل :

الفائدة الأخرى لتكوين الأسرة هي أنها تعني إيجاد مسجد ، بل أسمى ، لأن ثواب حسن قيام المرأة بواجبات الزوجية وتربية الأولاد أعظم من ثواب أية صلاة مستحبة ، حتى صلاة الليل ذات الأهمية الكبيرة جداً ، التي توصّل إلى « المقام المحمود » كما ينص على ذلك القرآن الكريم ، فيقول : ﴿ وَمَنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ (٩) .

فلا يستطيع أحد إدراك ماهية هذا « المقام المحمود » إلا الذي يصل إليه ، ولكن الأعظم من ثواب نافلة الليل هو قيام المرأة بإرضاع ولدها في

(٨) سورة البقرة / ١٥٧ .

(٩) سورة الإسراء / ٧٩ .

الأسحار ومناعاغيته حتى ينام أو قيام الزوجين بواجبات الزوجية تجاه الطرف الآخر .

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن اغتسال الزوجين من الجنابة يؤدي إلى تطهيرهما من كافة الذنوب ،^(١٠) وأن كل قطرة من ماء الغسل تصبح ملكاً يستغفر لهما إلى يوم القيامة . وأن أنفاس الحامل ونومها عبادة ، وصعوبة (الحمل) عبادة ، فإذا ولدت تطهرت من ذنوبها مثل طهارة وليدها ، ثم تخاطب باستئناف العمل واجتناب المعصية^(١١) .

كما أن للرجل الذي يُعين عياله في عمل البيت ثواباً عظيماً أوصله الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) إلى درجة ثواب الشهيد في حديثه للإمام علي (عليه السلام) عندما رآه يُساعد زوجته بتنظيف العدس فيما كانت تقوم الزهراء (عليها السلام) بسائر أعمال المنزل^(١٢) .

أنت امرأة إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وطرحت قضية لا تتعلق بها وحدها ولا بنساء المدينة وحسب ، بل بجميع النساء إلى يوم القيامة وسألت عن سرّ تمييز الإسلام للرجال على النساء ، فأنكر الرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك ، فأشارت المرأة إلى عدم استطاعة النساء - مع انشغالهن برعاية شؤون المنزل والأطفال - حضور صلوات الجماعة والجمعة والمجالس (الدينية) ، وعيادة المريض وتشيع الجنائز وأداء الحج المستحب والأهم من كل ذلك عدم قدرتهن على المشاركة في الجهاد (وحرمانهن بذلك من ثواب كل هذه الأعمال) .

(١٠) راجع جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ١٠ الحديث (٢٩) نقلاً عن دعائم الإسلام .

(١١) راجع مستدرک الوسائل ج ١ ص ٧٩ من الطبعة القديمة باب نادر ملحق بأبواب النفاس .

(١٢) الرواية ينقلها بكاملها المحدث الكبير التقى الشيخ عباس القمي في كتابه القيم سفينة البحار المجلد الثاني مادة « عدس » .

الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) سرَّه ذلك القول (المعبر عن الشوق للطاعات وأعمال الخير) فتبسَّم ، وقال كلمةً موجَّهةً لنساء المدينة وعموم النساء إلى يوم القيامة فخاطبهنَّ (في جوابه لتلك المرأة) : -
« حُسْنُ تَبْعَلٍ إِحْدَاكُنَّ لَزَوْجِهَا وَطَلَبُهَا مَرْضَاتِهَا وَاتِّبَاعُهَا مُوَافَقَتَهُ يَعْدِلُ كُلَّ ذَلِكَ » (١٣) .

فهو يبيِّن أن ثواب حسن القيام بشؤون بيت الزوجية وإرضاء الزوج يعدل - بالنسبة للزوجة - ثواب حضورها صلاة الجمعة والجماعة وعيادتها المريض وأدائها الحجَّ المستحبَّ والجهد والاستشهاد .

(ومع الأسف) فإنَّ كافة النساء : - زوجات الكسبة والتجار والمثقفين وغيرهم ومن أهل المدن أو القرى واللواتي يحضرن المجالس الدينية وغيرهن قد أضعن « فتحات الدعاء » (١٤) فلا يعرفنَّ ماذا يفعلنَّ ، ونسين ما قاله الله ورسوله ؛ فالسيدة تنوِّهنَّ أنَّ الثواب فقط في الذهاب للحجَّ في حين تفيد الروايات أنَّ للمرأة التي تُعدُّ طعام إفطارٍ ، وتفرش المائدة ، ثم تجمعها (بعد الإطعام) ثواب الشهيد .

طلبت سيدةٌ مني أن أعمل ما يجعلها تؤدِّي حجةً مستحبةً ، فقلتُ لها : إذا أردتِ ثوابَ سبعين حجةً فأعطني المالَ (المخصص لهذه الحجة) لأنْفَقَه على الفقراء والضعفاء والمساكين والأغنياء من التعفُّف ، فالإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يؤكِّد أنَّ توفير احتياجات أسرةٍ واحدةٍ لمدة أسبوعٍ أفضلُ من سبعين حجةً »

فغضبت هذه السيدة واستشاطت ، وقالت : - كلاً ، إذا استطعتُ ،

(١٣) راجع ميزان الحكمة ج ٩ ص ٩٧ .

(١٤) إشارة إلى القصة التي ذكرها العارف الرومي وقد تحدث عنها الشيخ في محاضرة سابقة .

فأفعل وإلا قل لا أستطيع !! فأنا أريد الحج .

نعم ، لقد نسينا (عظمة) ثواب قيام الزوجة برعاية شؤون زهجهـ
وأطفالها وبيتها ، ونسينا أنّ « الكاد لعياله كالمجاهد في سبيل الله » .

أي أنّ عليك أيها الزوج أن تعلم أن لعملك ثواب الحضور في الجهاد إذا
كان من أجل رفاهية عيالك وأن تبسمك لزوجتك وشكرك لها وعملك لأجلها
سيتحول إلى « حورٍ عينٍ » لك ، وهؤلاء لسن كنساء الدنيا ، فلو أتت واحدة
منهن إلى أهل الدنيا لأغنتهم عن الحاجة للشمس ، ولهلك الرجال عشقاً لها ،
فالزوجان اللذان يحسن كل منهما تعامله مع الآخر ، ويتحابان إنما يخلقان
بذلك لأنفسهم « حوراً عيناً » وكل ما في الحياة الأخرى من حور وقصور
ورياض وغيرها يجب تهيئته هنا ، فقد رأى الرسول الأكرم في معراجـه أنّ
العاملين في الجنة يتوقفون فتراتٍ عن العمل ، ثم يواصلونه ، فأوضح له
جبرائيل أن سر ذلك هو أنّ مواد البناء تأتيهم من الدنيا ! .

المحاضرة الثانية عشر : =

الفصل الخامس

- المودة والرحمة في البيت
- آفات المودة

- ١ - سوء الخلق
- ٢ - السباب والضرب
- ٣ - التعيير والانتقاص

● المودة والرحمة في العائلة :

الفصل الخامس من بحثنا يدور حول المودة والرحمة في البيت ، ولعلّه أهم من كل ما تحدّثنا عنه في الفصول السابقة ، ولذا يجب أن نتوسّع فيه ، وألتمس بقية الله - عجل الله تعالى فرجه - أن يتلطف علينا لكي نستطيع العمل بمحتويات هذا الفصل .

البيت والأسرة تقوم على أساس المودة والرحمة مثلما أن العالم يقوم على أساس قانون الجاذبية - بدءاً من الذرة وانتهاءً بالمجرات - بحيث لو تعطل هذا القانون لحظة واحدة ، لاختل نظامه وزال عالم الطبيعة ، كذلك الحال مع المودة .

فإذا زالت من البيت والأسرة ، خرب البيت وتلاشت الأسرة .

ويحسن أن أقول : إن البيت الخالي من المودة هو مثل القبر المسلط فيه العذاب ، فهذا البيت يفتقد الحياة الحقيقية ، فليس فيه سوى الموت ، الموت التدريجي المقرون بالعذاب .

ولذلك كان من ألطاف ربّ العالمين أنه جعل المودة والرحمة حالة طبيعية (فطرية) عند تأسيس الأسرة ، يقول - تعالى - :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

يَبْنِيكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿١﴾ .

إذن فمن آيات الله - تعالى - هي أنه خلق للرجل امرأة وللمرأة رجلاً ليشكلاً أسرةً ، ويكون كلُّ منهما سكناً للآخر ولتكوين الأسرة جعل بينهم مودةً ورحمةً ، فأزال النقص عن الأسرة فمن الواضح أن بناء البيت لا يمكن أن يتم بالصخر والآجر والحديد فقط بل يحتاج إلى ملاطٍ أيضاً ، ونفس الأمر يصدق على بناء بيت الزوجية ، ولقد قرأتُ - إذا تتذكرون - حديثاً شريفاً في الأيام الأولى ، وهو أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال : - « ما بُني بناءً في الإسلام أحبُّ إلى الله - عز وجل - من التزويج » (٢) .

والمودة والرحمة هي ملاط هذا البناء ومثلما أن مواد البناء بدون ملاط هي ركامٌ لا أكثر كذلك حال العائلة إذا خلت من المودة ؛ والحديث هنا يشمل موضوعين الأول هو العوامل التي تؤدي إلى زوال هذه المودة التي أنعم بها الله - تعالى - والآخر : - العوامل التي تزيدها .

الف : آفات المودة :

١ - سوء الخلق :

العامل الأول الذي يزيل المودة من البيت ويحطم زجاجتها هو سوء الخلق والنزاع والاختلاف والجدال ، إذا كانت المرأة سليطة اللسان في تعاملها مع زوجها تسيء إلى مشاعره في الكلمة الأولى من حديثها ؛ وإذا كان الرجل سيئ الخلق ، فإن صراخه وعنف تعامله يوجه (- مثلما يفعل سوء خلق الزوجة -) ضربةً للمودة في الدرجة الأولى ، وإذا استمر سوء الخلق من كلا الطرفين ، فإنه سيهشم زجاجة المحبة بلا ريب والأشدُّ أنه يحول المودة إلى نفرةٍ (وكرهاً) وقسوةٍ متبادلة خاصة إذا اشتمل - سوء الخلق والنزاع - على

(١) سورة الروم / ٢١ .

(٢) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣ .

كلماتٍ جارية متبادلة - والعياذ بالله - كأن تُعير المرأة زوجها بمدح رجلٍ آخر وحياء رجلٍ آخر ، أو يفعل الزوج - والعياذ بالله - مثل ذلك بمدح زوجة جاريه ، فهذا العمل مُدْمَرٌ حتى إنه لا يقتصر على إزالة المودة والرحمة وحسب ، بل يقوم أيضاً بإحلال الكره والبُغض والقسوة محلّهما ، وينبغي لنا الحذر والمراقبة لكيلا تقع مثل هذه الأمور في حياتنا .

٢ - السباب والضرب :

إنّ موضوع السباب والبذاء والضرب لا يرتبط أصلاً بموضوع بحثنا أخلاق الأسرة ، وأكرر القول أنّ الإنسان الفحّاش - رجلاً كان أو امرأة - هو عديم الشخصية ومهجورٌ من قبل الله ورسوله والأئمة الطاهرون .

يُروى أنه : - « كان لأبي عبد الله (عليه السلام) (الإمام الصادق) صديقٌ لا يكاد يُفارقُهُ إذا ذهب مكاناً ، فبينما هو يمشي معه في الحدّاثين ومعه غلامٌ له سِنْدِي يمشي خلفهما ، إذ الرجل يُريد غلامه ثلاث مرّاتٍ ، فلم يره ، فلمّا نظر في الرابعة قال : - يا ابنِ الفاعلة أين كنتَ ؟ ! » .

قال (الراوي) فرفع أبو عبد الله (عليه السلام) يدهُ فَصَبَّ بها جَبْهَةَ نفسه ، ثم قال : - « سبحان الله ! تقذِفُ أمُّهُ ؟ ! قد كنتَ أرى لك ورعاً ، فإذا ليس فيك ورع .

فقال : - جُعِلَتْ فداك إنّ أمُّهُ سِنْدِيَّةٌ مُشْرِكَةٌ .

فقال (ع) : - « أما عَلِمْتَ أنّ لكلِّ أمّةٍ نِكَاحاً (يحتجزون به من الزنا - رواية أخرى) ، تنحّ عني .

قال (الراوي) : - فما رأيته يمشي معه ، حتّى فَرَّقَ بَيْنَهُما الموتُ » (٣) .
ماذا نستفيد من هذه الرواية ؟ إنّ ما تبينه هو أن ما يوجب سَخَطَ الله على

(٣) الأصول من الكافي للكليني ، باب البذاء الحديث الخامس .

الإنسان ، هو أن يقوم الرجل بإساءة القول لطفله ولو كان مخطئاً أو لزوجته حتى ولو كانت مخطئة ، أو أن تفعل هي ذلك حتى لو كان زوجها مخطئاً .

ومثل هذا العمل يسبب سخط الزهراء ونبى الإسلام والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ومنهم إمامُ عصرنا (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ، ومن جهة أخرى يتجسّم هذا العمل (البذاء) بصورة سيئة للغاية فترافق صاحبه الفضيحة في عالم البرزخ والقيامة .

يُروى (عن الإمام الباقر - عليه السلام - قال) : - « دخل يهوديٌّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعائشةُ عنده ، فقال : السام (السيف) عليكم .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) « عليكم » .
ثم دخل (يهودي) آخر ، فقال مثل ذلك ، فردّ عليه كما ردّ على صاحبه .

ثم دخل آخر ، فقال مثل ذلك ، فردّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما ردّ على صاحبه .

فغضبت عائشة فقالت : - عليكم السّام والغضب واللّعة يا معشر اليهود يا إخوة القردة والخنازير .

فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : - « يا عائشةُ إنّ الفُحشَ لو كانَ مُمثلاً لكانَ مثالَ سوءٍ ، إنّ الرّق لم يوضع على شيءٍ قطُّ ، إلّا زانهُ ، ولم يُرفع عنه قطُّ إلّا شأنه .

قالت : - يا رسول الله أما سمعتَ إلى قولهم : السّام عليكم ؟ .
فقال : - « بلى ، أما سمعتَ ما رددت عليهم ؟ قلتُ :
- عليكم »^(٤) .

(٤) أصول الكافي ج ٢ ، كتاب العشرة ، باب التسليم على أهل الملل .

إذن فالحديث يُبين أن الفحش يتمثل بصورة سيئة تلازم الإنسان في القبر والبرزخ والمَحْشَر ، يقول - تعالى - :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ (٥) .

فالنفس تتمنى هذا البعد لسوء الصورة التي يظهر بها العمل السيئ ، فيفضح الإنسان ، فالمسلم يجب أن يكون مؤدباً ، وهذه إحدى وصايا الإمام الصادق (عليه السلام) التي أكدها مراراً على شيعته حتى «يقولوا رَجَمَ الله جعفر بن محمد ، فقد أَدَبَ شيعته » ؛ فلا يليق بالسيدة المحترمة أن تكون في لسانها بداءة خلال حديثها مع أطفالها ولا ينبغي مثل ذلك للمعلمين وخاصة في قاعة الدرس ولا للمرأة مقابل زوجها .

ولذلك نقول يجب أن يكون موضوع « الفحش » خارجاً عن موضوع بحثنا أساساً ، وكذلك الضرب ، لأنه ذنب كبير حتى إن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يقول : - « فَأَيُّ رَجُلٍ لَطَمَ امْرَأَتَهُ لَطْمَةً أَمَرَ الله - عز وجل - مَالِكاً خَازِنَ النِّيرَانِ ، فَيَلْطِمُهُ عَلَى حُرِّ وَجْهِهِ سَبْعِينَ لَطْمَةً فِي نَارِ جَهَنَّمَ ... » (٦) .

أجل ، إن الضرب ليس من عمل المسلم الحقيقي ولا من عمل الإنسان المحترم .

أما إذا كانت هناك زوجة تضرب زوجها ، فهذه ليست امرأة أصلاً بل حمقاء لا أبالية .

(٥) سورة آل عمران / ٣٠ .

(٦) جامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٢٤٩ الحديث رقم ٧٩٠ وفي الحديث رقم ٧٨٥ ص ٣٤٨ من نفس المصدر تصريح بأن من فعل ذلك فضحه الله يوم القيامة فضيحة ينظر إليه الأولون والآخرين .

ولذا نرى الفحش والسباب والضرب خارجاً عن موضوع بحثنا ، لأنه يدمر الصفة الإنسانية فضلاً عن المودة .

٣ - التعبير والانتقاص :

وهذا عامل آخر يهشم زجاجة المحبة ، وذنبه عظيم يوضحه الحديث القدسي الذي يرويه الإمام الصادق (عليه السلام) أن رب العالمين قال : - « مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا ، فَقَدْ أَرَصَدَ لِمُحَارَبَتِي »^(٧) .

ومعلوم مصير الذي يحارب الله في الدنيا والآخرة .

وحديثنا هو عن آثار قول الرجل لامرأته : - انظري كم هي جيدة زوجة فلان ، أو قول المرأة لزوجها : انظر كم هو جيد الرجل الفلاني ، ولاني لم أر خيراً في بيتك ، فمثل هذا القول - سواء صدر عن الزوج أو الزوجة - يحبط حسنات قائله كما ورد في الحديث النبوي الشريف^(٨) ، فتُمحى جميع الحسنات من صحيفة أعماله .

فعلينا اجتنابه ، وأرجو الأزواج والزوجات أن يجتنبا انتقاص بعضهم البعض في حضور الآخرين ، فهذا ذنب عظيم ، وهو على نوعين ؛ الأول : يولد جرحاً صغيراً لدى الطرف المقابل لا يصل إلى القلب ، وهذا يتجسم على شكل عقرب تلدغ صاحبه في قبره ثم يختفي بعد فترة قصيرة .

أما الثاني ، فهو الذي يسبب جرحاً عميقاً مثلما يفعل السيف ، فيتجسم عقرباً تؤذي مسبب هذا الجرح إلى يوم القيامة ويظل ملازمه في جهنم أيضاً ويعذبه أكثر من نيرانها .

يُنقل أن شخصاً رأى عالماً كبيراً متوفى في عالم الرؤيا ، فسأله عن

(٧) أصول الكافي ج ٤ ص ٤١ (من الطبعة الإيرانية المحشاة بالترجمة الفارسية للأحاديث) .

(٨) راجع وسائل الشريعة ج ١٤ ص ١٥٢ وما بعدها والحديث الخامس من الباب ١١٧ .

حاله ، فأجاب : - الحمد لله إنه جيد للغاية فلدي رياضٌ وحوُرٌ وقصورٌ والملائكة تزورني وتخدمني ، ولكن عقرباً تأتيني كلُّ صباحٍ ، فتلدغني لدغةً أظُلُّ أتأذى منها إلى الصباحِ التالي فتأتي العقرب ثانيةً وتفعل مثل ذلك وهكذا يوماً ! .

فلما سأله عن الذي فعله ، أجاب : لقد انتقصتُ شخصاً ، ونسيتُ أن أتوبَ وأقتلَ هذه العقربَ ، لأنِّي استصغرتُ الأمر .
أجل ، يمكن بماءِ التوبةِ تطهيرُ كلِّ شيءٍ وإزالةُ كافةِ عواملِ انعدامِ البركة ، ولكن تعساً لحال الذي ينتقص الآخريين ويتشفى بذلك .

أحدهم يقول : لا أستقر ما لم أوجه واحدة أو اثنتين من تلك الكلمات الجارحة لزوجتي !! .
فماذا يعني هذا ؟ ! .

إنَّه يعني أنه يقول لا أستقر ما لم أصنع لنفسي عقربين يؤذيانني منذ دخولي القبر إلى المحشر !! .
والمرأة تطلق لسانها كالسيفِ الجارح ، ثم تقول : - الآن شفَى غليلي !! .

لا أيتها السيدة لم يشفَ غليلك ، بل صنعت لنفسك أفعى يراها أولو البصائر ملتفةً حولَ عنقك وأنت لا ترينها الآن ، ولكن سترينها قبل دخولك القبر ، بل عند مجيء عزرائيل إليك يُصبح بصرُك حينئذٍ حديدًا بحسبِ الوصفِ القرآني ، وعندها ترين تلك الكلمات الجارحة التي جرحت بها مشاعر زوجك وقد تحوَّلت إلى أفعى سوداء تلتف حول عنقك ، فتدخلين القبر على هذه الحالة والأفعى تُرافقك بلدغاتها إلى يوم القيامة !! .

لذا يجب معرفة الآثار المدمرة والعميقة التي يُسببها هذا الانتقاص .

وَيَجِبُ أَنْ يَتَّبِعَهُ كُلَا الزَّوْجَيْنِ لِذَلِكَ بِجَدِيدَةٍ ، وَيَعْرِفَانِ أَنَّ الْإِنْتِقَاصَ وَخَاصَّةً بِحُضُورِ الْآخَرِينَ وَتَعْيِيرِ أَيِّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ بِمَدْحِ الْآخَرِينَ يُوجِّهُ ضَرْبَةً عَنِيفَةً لِلْمُودَةِ ، وَقَدْ يَسْتَبْدِلُهَا أَحْيَانًا بِالْبَغْضِ وَالْقَسْوَةِ ، فَيَصْبِحُ الْبَيْتُ مِثْلَ الْقَبْرِ الْمَقْرُونِ بِالْعَذَابِ وَتَصْبِحُ الْحَيَاةُ بَاطِئَةً ، وَلِذَا أَرْجُوكُمْ أَنْ تَجْتَنِبُوا ذَلِكَ .

رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَ لِأَصْحَابِهِ : - « أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ » .

فَقَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّلَاةُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الزَّكَاةُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصِّيَامُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْجِهَادُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : لِكُلِّ مَا قُلْتُمْ فَضْلٌ وَلَيْسَ بِهِ وَلَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ وَتَوَالِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالتَّبَرُّيُّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ « (٩) » .

إِذَنْ ، فَبِمَقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثِ ، يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ زَوْجَتَهُ فِي اللَّهِ وَلَكُونَهَا مُسْلِمَةً ، وَلَيْسَ بِدَافِعٍ تَلْبِيَّتُهَا لَشَهْوَتِهِ ، فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الرَّجُولَةِ ، بَلْ هُوَ مِنْ شَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ وَقَدْ قُلْنَا : إِنَّ إِرْضَاءَ الشَّهْوَةِ هُوَ إِحْدَى الْفَوَائِدِ الصَّغِيرَةِ لِتَكْوِينِ الْأُسْرَةِ ، إِذَنْ فَيَجِبُ عَلَى كُلَا الزَّوْجَيْنِ أَنْ يُحِبَّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فِي اللَّهِ .

(٩) الْأَصُولُ مِنَ الْكَافِي ج ٢ بَاب (الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ) مِنْ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ، الْحَدِيثُ رَقْم ٦ .

فعلى المرأة أن تفتخر لكون زوجها قد أصبح معوقاً أو مجروحاً أو شهيداً
(في الدفاع عن حرمة الإسلام) ، أو أن لها ابناً شهيداً .
وللرجل أن يفتخر بأن زوجته « علوية » من ذرية رسول الله (صلى الله
عليه وآله) وأنها مصلية وصائمة .

عن الحكم بن عتيبة قال : - « بينا أنا مع أبي جعفر (عليه السلام)
والبيت غاصص بأهله ، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عنزة له حتى وقف على باب
البيت ، فقال : - السلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته .
ثم سكت . فقال أبو جعفر (عليه السلام) : - وعليك السلام ورحمة
الله وبركاته .

ثم أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت ، وقال : السلام عليكم .
ثم سكت حتى أجابه القوم جميعاً وردوا عليه السلام .

ثم أقبل بوجهه على أبي جعفر (عليه السلام) وقال : - يا بن رسول الله
ادني منك جعلني الله فداك فوالله إنني لأحبكم وأحب من يحبكم ، والله ما
أجبتكم وأجبت من يحبكم لطمع في دنيا وأنني لأبغض عدوكم وأبرأ منه ووالله ما
أبغضه وأبرأ منه لوتر كان بيني وبينه ، والله إنني لأحل حلالكم وأحرّم حرامكم
وأنتظر أمركم فهل ترجولي جعلني الله فداك ؟ ! .

فقال أبو جعفر (عليه السلام) : - إليّ . . إليّ ، حتى أقعده إلى جنبه
ثم قال أيها الشيخ إن أبي علي بن الحسين أتاه رجل فسأله عن مثل ما سألتني
عنه ، فقال له أبي : - إن تمت ترد على رسول الله (صلى الله عليه وآله)
وعلي عليّ والحسين والحسين وعليّ عليّ بن الحسين ويثلج قلبك ويبرد فؤادك
وتقر عينك وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين ، لو قد بلغت نفسك
هيئنا وأهوى بيده إلى حلقه) ، وإن تعش تر ما يقر الله به عينك وتكن معنا في

السَّنامِ الْأَعْلَى» (١٠) .

إنَّ هذه الراوية الشريفة توصي بمحبة الآخرين وتنهى عن بغض الشيعة فذنب بغض المسلمين عظيم ، وهذه الأحقاد تؤدِّي إلى حبس الدعاء ، وهي وسوء الخلق يحرم بيوتكم ومدينتكم وبلدكم من البركة .

فتحابوا . فإنَّ علامة المؤمن هي أنَّه يُحبُّ للآخرين ما يُحبُّ لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها .

رعاية الأطفالِ عملٌ صعب ، فمارسه ساعة أو ساعتين لتعرف صعوبته .

ولا تستطيع القيام به على مدى اليوم واللييلة .

وكذلك تدبير شؤون المنزل ، فمثلاً لو كان فيه سُلمٌ لاستوجب الصعودَ والنزول عليه مائة مرَّةٍ من أجل إعداد وجبة طعامٍ واجدةٍ ، فساعدوا زوجاتكم في أعمالكم . وهذا ما كان يفعله أمير المؤمنين - فقد كان رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) يراه يُقومُ بذلك عندما يدخل البيت - ولستم أفضل منه .

وكان الرسول (صَلَّى الله عليه وآله) نفسه يساعِدُ في حلبِ المعزِ والكَنسِ وإعداد الخبزِ .

(وليس في ذلك انتقاصٌ لشخصياتنا بل) إنَّ فيه تعظيماً لنا .

(وبما أيتها الزوجة) ، إن توفير مصارف البيت والتعامل مع الناس أمرٌ صعبٌ ، وعمل زوجك الذي يذهب منذ الصباح إلى الدائرة ويتعامل مع المراجعين بمختلف أخلاقياتهم هو عملٌ شاقٌ .

وكذلك حالُ عمله إذا كان كاسباً يتحمَّلُ المشاقَّ من أجل توفير المصارفِ اللازمة لك ولأطفالك ، فهو يعود إلى البيتِ مساءً متعباً ، فهو يحتاج إلى الهدوء والاستراحة .

(١٠) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠٢ .

وهذا ما لا ينسجم مع الخشونة وسوء الخلق ، فعليك أن تحيي لزوجك
ما تحيين لنفسيك وإذا أبدى زوجك خشونة ، فتبسمي له وأزيلي التعب من
قلبه .

ويا أيها الزوج إذا رأيتَ زوجتك عند دخولك المنزل غير متزينة ، ولم
ترتدِ الملابس الذي تُحبُّه ، فَعُض الطرف عن ذلك ، وإذا كانت عبوساً متعبة ،
فتبسم أنت رغم تعبك ، وأحبب لها ما تجبُّ لنفسيك ، واکره لها ما تكره
لنفسيك ، لكي تشملكم بركة الله ورحمته ورأفته في الدنيا والآخرة ، إن شاء
الله .

المحاضرة الثالثة عشر: =

الفصل الخامس

العوامل المزيلة للمودة

- حديث عن الإمام الحسن
- ٤ - العجب
- فروع العجب
- ١ - المراء والجدال
- ٢ - العناد
- ٣ - الطلبات غير المتكافئة
- ٤ - رفض النقد

اليوم هو يوم عيدٍ عظيمٍ ، إذ يصادف ذكرى المولد السعيد للإمام الحسن المجتبي (سلام الله عليه) وبهذه المناسبة أرفع التبريكات عني وعنكم أيها الأعزاء إلى المقام المقدس للسيدة الزهراء (سلام الله عليها) راجياً شفاعتها في قضاء حوائجنا ، وأن تشمل بالطايفها (الإلهية) اجتماعنا هذا .

وقبل مواصلة الحديث عن موضوع بحثنا أنقل لكم حديثاً عن الإمام الحسن (عليه السلام) راجياً أن يكون منهاج عمل حياتي لنا .

جاء رجل إلى الإمام (عليه السلام) وسأله أن يقضي حاجته ، فخرج معه الإمام لذلك ، وفي الطريق شاهدا الإمام الحسين (عليه السلام) فسأل الإمام الحسن (سلام الله عليه) الرجل عن سبب عدم ذهابه للإمام الحسين ليقضي له حاجته ؟ .

فأجاب الرجل بأنه شاهده مُعْتَكِفاً في المسجد .

فقال له الإمام كلمة ما أحرانا بأن نتخذها منهج عمل ، وهي « أما إنه لو أعانك كان خيراً له من اعتكافه شهراً »^(١) .

(١) الحادثة ينقلها العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٣٥ والأحاديث في هذا المعنى كثيرة تجدها إضافة إلى البحار في الجزء الثاني من أصول الكافي للشيخ الكليني وكذلك ثواب الأعمال للشيخ الصدوق .

فكأنه يقول له إِنَّكَ لو ذهبتَ له (عليه السلام) ، لكَانَ قيامُهُ بقضاءِ حاجتِكَ أَفْضَلَ مِنْ ثَوَابِ اعتكافِهِ شهراً .

وهذا هو ثوابُ مَنْ أدخلَ السرورَ على قلبِ المؤمنِ ، فهو يفوقُ ثوابِ الاعتكافِ شهراً تصومُ نهارَهُ ، وتتهجدُ ليلَهُ .

واستناداً إلى هذا أدعوكم جميعاً لمساعدةِ خلقِ الله قَدْراً ما تستطيعون .
وهذا ما يحبُّه لنا الإمامُ المجتبي (عليه السلام) ، فهو يرضى عن الزوجةِ التي تخدمُ زوجها والزوجَ الذي يخدمُ زوجته .
أما الآن ، فلتتابعِ البحثَ :

٤ - « العجب » :

فمن العواملِ التي تزيلُ المودةَ ، عاملُ العجبِ والأنانيةِ والتكبرِ الناشئُ عن العجبِ .

واتصافُ أي من الزوجين بهذه الصفاتِ وإعجابه بنفسِهِ أو عمله يُوجدُ حالةً خطيرةً يوضحُ عمقها التأكيدُ القرآنيُّ بأن ثورةَ الأنبياءِ هي على المتكبرين الذين كانوا حِجراً عثرةً في طريقِ الأنبياءِ (عليهم السلام) وإنجازهم لرسالاتهم .

وهذه الصفاتُ تُؤثرُ في أعماقِ الإنسانِ تأثيراً يجعله يتكبرُ حتى يومِ القيامةِ ويتمردُ ويُعجبُ في نفسه في مقابلِ الله - تبارك وتعالى - والقرآنُ الكريمُ يتحدثُ عن أمثالِ هذا وكيف أنهم يتصورون أنفسهم يومَ الحشرِ أنهم صالحون ورغم كونهم في الحقيقة من أهلِ جهنَّمَ إلا أنهم يُقْسِمُونَ بالله بأنهم خلاف ذلك ، وأنهم من أهلِ الجنةِ ، وكانهم والعياذُ بالله يتَّهَمُونَ الله ؛ جلَّ وعلا - بالاشتباهِ في إرسالِهِم إلى النارِ . يقول - عزَّ اسمه - : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الكاذِبُونَ ﴿٢﴾ .

هذا هو حالُ المعجِبِينَ بأنفسِهِم والمتكبرين يومَ القيامة ، حتى لو كان تكبرُهُم في البيت .

ولذا أوصي كلا الزوجين بالحذر من الاتِّصافِ بذلك ، فلا ينبغي للزوجة أن تكون مُعجَبَةً بنفسِها في مقابل زوجها ، فتمدح نفسها وأخاها وإلديها ، أو تتفاخر بجمالها أو كمالها أو بحصولها على الشهادةِ الفلانيَّة - سواءً في العلومِ الطبيعيَّة أو الحوزويَّة - فتُصاب بالغرور العلمي والأنانيَّة والعجب في مقابل زوجها ، فاتصافُها بِمثل ذلك ، يُوجِّه إليها هي ضربةٌ تسلُّبها الحاكِمِيَّة التي يجب أن تكون لها على قلبِ زوجها ، فتهدم المودَّة .

كما على الزوج أن يحذر من التفاخر - لا سمح الله - بأمواله وعشيرته وعلى الزوجات الحذر من التفاخر على أزواجهن بأخواتهن وآبائهن وأمهاتهن .
فهذا خطأٌ فاحش .

فإذا كان زوجك فقيراً وأخوك غنياً وإلديك ثريَّة ، فعليك أن تُطَيِّبِ خاطره وتقدِّمه على أخيك وإلديك .

وهنا أؤكد نقطةً مهمَّة ، وهي أنَّ على الأزواج والزوجات أن يُضَحُّوا مِنْ أَجْلِ بَعْضِهِمْ بِكُلِّ مَا لَدَيْهِمْ ، وَيُقَدِّمُوهُمْ على كلِّ قَرِيبٍ لَهُمْ مع احترامِ الآباءِ والأمَّهاتِ والإخوةِ والأخواتِ والرَّافِقَةِ بِهِمْ .

● فروع العجب :

وللعجبِ فروعٌ سيئةٌ لكلِّ مِنْهَا ثَمَارٌ مُرٌّ تُوَدِّي فيما تُوَدِّي إلى تهديمِ المودَّة في قلوبِ الآخرين ، وهي : -

١ - المراء والجدال :

وهو من فروع العجب ويعني أن يسعى الإنسان إلى فرض رأيه على الآخرين ، وهو ملحوظ بكثرة بين الناس خاصة الأميين ، منهم إذ يقول قولاً جازفاً يريد فرضه على الآخرين ، فيجادل مراراً وتكراراً ، ويرفض التراجع عن قوله .

وذنب المراء والجدل عظيم جداً ، فقد روى أبو الدرداء أنه كان ضمن مجموعة يتجادلون في الدين في المسجد ، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولما رأى ما نحن فيه تغير وغضب لذلك غضباً شديداً .

وذكر أبو الدرداء أنه لم ير مثله من الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم قال (صلى الله عليه وآله) : - « لا يستكمل عبداً حقيقة الإيمان ، حتى يدع المراء والجدل ، وإن كان محققاً » (٣) .

فشفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تنال من يفعل ذلك .

ثم إنه (صلى الله عليه وآله) قال : - « إن أول ما عهد إلي ربي ونهاني عنه عبادة الأوثان وشرب الخمر وملاحاة الرجال » (٤) .

وكم هو شديد هذا الحديث الشريف في التعامل مع المراء والجدال الذي يشكل مرضاً صعب العلاج يُبتلى به تسعون بالمائة منا إن لم يكن أكثر منهم .

والقرآن الكريم يُبين لنا أن المراء والجدال هو من وساوس الشيطان ، يقول - تعالى - : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ (٥) .

(٣) راجع المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٥ ص ٢٠٨ ، والملاحاة تعني المراء والجدل .

(٥) سورة الانعام / ١٢١ .

فليعلم كلُّ مَنْ يُبْتَلَى في حَيَاتِهِ بِالْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ
بِهَذِهِ الْخَصْلَةِ ، فَهِيَ عَمَلٌ شَيْطَانِيٌّ ، وَلَيْسَ رَحْمَانِيًّا ، وَهُوَ عَمَلٌ سَيِّئٌ ، وَأَشَدُّ
مُضَادِّقَهُ سَوْءُ الْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ سَوْءٌ صَدَرَ عَنِ الزَّوْجَةِ الَّتِي
تَسْعَى لِفَرْضِ قَوْلِهَا عَلَى زَوْجِهَا ، أَمْ صَدَرَ عَنِ الزَّوْجِ ، فَهُوَ يَهْدِمُ الْمَوَدَّةَ .

ولذا أوصيكم - أزواجاً وزوجات - أن تجتنبوه ، وأوصي كلاً منكم أن
يترك المِرَاءَ والجدل ، حتى إذا كان محقاً ، ولْيَتَرَجَّعْ فِي مَقَابِلِ زَوْجِهِ إِذَا رَأَاهُ
يسعى إلى فرض قوله بالمجادلة ، فقد ورد عن النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ) أَنَّهُ قَالَ : - « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ .

وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ » (٦) .

٢ - العناد :

وهو من فروع الأنانية والعُجْبِ ، وبعض النسوة تصل بهنَّ الحالة العنادية
إلى حدِّ رفضِ رفعِ القدمِ عن الأفعى كما ورد في المَثَلِ المتعارف .
كما أنَّ بعض الرجال تصل بهم هذه الحالة إلى السقوط في الحفرة
(المهاوي) ، لكنهم يرفضون الإقلاع عن عنادهم .

والقرآن الكريم يبين أنَّ الناسَ طائفتان : الأولى تقبل بالحقِّ ، فهم :
- ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا
مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٧) .

أما الطائفة الثانية ، فهم يفضلون الرجمَ بالحجارة على قبولِ الحقِّ :
- ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ

(٦) المحجة البيضاء ج ٥ ص ٢٠٨ نقلاً عن الترمذي ج ٨ ص ١٥٩ وكذلك في بحار الأنوار ج ٢
ص ١٣٨ .

(٧) سورة المائدة / ٨٣ .

السَّمَاءِ أَوْ اثْنَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ .

والظاهر أنَّ ما ينقله القرآن الكريم هنا هو لسان الحال ، وليس قولاً ، فهم عندما يرون الحق يدعون الله أنَّ يدمرهم ويُفضّلونه على قبول الحق .

فبعض النساء والرجال لا يقبلون الحق والحقيقة مهما قلتَ لهم ، بل إنهم لا يسمعون أصلاً ، فالزوج تحدّثه زوجته لعشر دقائق أو ربع ساعة ، ثم تسألّه عمّا قالت ، فلا يجد جواباً لكنّه - رغم ذلك - يكرر كلمة « لا ، لا » .

وعندما تسألّه : ما هو العمل الذي يرفض القيام به تجده لا يعرفه ، فيعمد إلى القول : - لا أفعل « فقط .

هذا هو حال البعض .

الاستعمار سببٌ جدّاً وذنبةٌ عظيمٌ ، فهو استعبادٌ فرديٌّ واجتماعي ، ولعن الله الإنجليز الذين جاؤا (بالاستعباد الاجتماعي) في العصر الحديث مرّةً أُخرى وأصبح تمارسه أمريكا والاتحاد السوفيتي ، فعاقبتهما قعر جهنم ، فهذا هو محلّ المستعمرين .

ولكنّ الاستعمار جيّد في حالةٍ واحدةٍ هي أن تتمكّن الزوجة من الاستحواذ على قلب زوجها أو يستطيع الزوج مثل ذلك ؛ وهذا ما يجب على كلّ منهما فعله تجاه الآخر ، فهو عملٌ جيّدٌ للغاية .

وتعساً لحال الزوجة التي لا تعرف كيف تُحقّق ذلك ، وتنفض إلى قلب زوجها .

ومن العوامل التي تمنع تحقيق هذا الأمر ، وتمنع متابعة الزوجة لزوجها العناد .

(٨) سورة الأنفال / ٣٢ .

فأرجوكم أن لا تسمحوا بوقوعه بينكم ؛ وإذا كان أولادكم معاندين - لا
سمح الله - فاعلموا أنهم مرضى ، ويجب أن تُنقذوهم من هذه الصفة التي أرجو
أن لا تكون موجودة لديكم ، كما أرجو أن تنقذوا منها أطفالكم إذا وُجدت
فيهم .

٣ - الطلبات غير المتكافئة :

وهي من فروع العُجبِ بالنفس أيضاً .

يقول علماء النفس : - إنَّ أمثال كلِّ مجتمعٍ تكشف عن ثقافته .

وهذه مقولة صائبة ، فمثلاً القصص المتعارفة في المجتمع تُبين أفكاره
حتى لو كانت من أمثال قصص « فرهاد وشيرين » أو « قيس وليلى » وهي أساطير
ضخَّمتها الناس ، ومن الأمثال المشهورة بين النساء مثل : - « لم يأتِ باللحم ،
ويطلبُ الـ « كوفته »^(٩) » .

وهذا هو حال بعض الرجال حقاً ، مثلما أنَّ طلبات بعض النساء كبيرة ،
فتطلبُ إحداهنَّ مثلاً من زوجها ليلة العيد بدلةً بقيمة خمسة آلاف تومانٍ وهي
تعلم أن مرتبته هو خمسة آلاف تومان !! .

ولا تقنع مهما كرر عليها التذكير بمقدار مرتبته ، وأنه لا يكفي لإدارة
متطلبات المعيشة بصورة كاملة .

فاجتنبوا ذلك ، ولتكن مصارفكم متناسبةً مع دخلكم ، ولا تطلبوا
« كباباً » ولا « كوفته » ولا « ماء اللحم » وأنتم لم تأتوا باللحم بعد !! .

كما أرجو من السيدات اجتناب الطلبات الضخمة إذا كان الزوج محدود
الدخل ، كأن يطلبنَّ منه أن يقدِّم مثلاً يُقدِّمه الأغنياء ليلة العيد ، فبعض

(٩) اسم نوعٍ من الطعام يُعد من اللحم بعد مراحل عدّة

الموظفين أفقر من العامل ، لكن زوجة أحدهم تأتي وتطلب منه أن يستبدل سجادات البيت ، لكونه موظفاً أو مسؤولاً !! .

فتوهم أنه قادر على ذلك ، وكلما قال لها : لا أقدر ، رفضت قوله .

وذنبٌ مثل هذه الطلبات والتوقعات غير المتكافئة عظيم حتى إن الله - تبارك وتعالى - سيفرض يوم القيامة على صاحبها ما لا يطيق سواء أكان زوجاً يكلف زوجته ما لا تقدر عليه ، أو زوجة تحمّل زوجها مثل ذلك .

ونار جهنم صعبة التحمل وهي محل أصحاب مثل تلك التوقعات الضخمة - إذا رحلوا عن هذه الدنيا دون توبة .

والمرأة التي تعلم أن زوجها فقير وتقوم بتوبيخه على عدم تلبية لِمَا تُريد تصل عظمة ذنب عملها هذا حد أن الله - تبارك وتعالى - يَفْضَحُها يوم القيامة أولاً ، وأنتم أيها الأعزاء تعلمون أن للكرامة قيمة كبيرة ، فأحدهم وصف الإمام الحسين (عليه السلام) بأنه ضحى بكل ما لديه في سبيل الله باستثناء دينه وكرامته .

أجل للكرامة قيمة كبرى خصوصاً بالنسبة للرجل في قبالة زوجته ، فأرجو من الزوجات أن يَجْتَنِبْنَ الإساءة لكرامة أزواجهن - خاصة في البيت - وكذلك التوقعات غير المتكافئة .

والمرأة تُريد أن تكون مُكرّمة عند زوجها فاحفظوا احترامها ، ولا تُسيئوا إلى شخصيتها ، واجتنبوا الطلبات غير المناسبة من زوجاتكم ، فالقيام بشؤون رعاية الأطفال والزوج والبيت مهمة صعبة .

ووظيفة الزوجة - التي سأُتحدث عنها فيما بعد إن شاء الله - هي رعاية نظافتها هي وأطفالها والقيام بمسؤوليات البيت ، وأن تُعِدَّ نفسها قبل مجيء زوجها وتهيء المائدة وغير ذلك ، بحيث تستطيع القيام باستقبال زوجها بصورة كاملة عندما يأتي .

وقد يحدث أن تدخل - أيها الزوج - البيت ، فلا تجدُ الشاي أو الطعام معداً ، فقم أنت بإعداده ، فأرجو منكم اجتناب التوقعات غير المتكافئة ، وأملُ أن لا يفرضَ بعضُكم على بعضٍ ما لا يُطيقُه لئلا تُصبحَ حالُكم حالَ عربيةٍ حُمِلَتْ خمسةَ أطنانٍ وطاقَتْها طنانٍ . ففي هذه الحالة يمكن أن تسير فرسخين وتعجز عن مواصلة السير .

ونفس هذا يصدق على فرض الزوج أو الزوجة أحدهما على الآخر ما لا يطيق ، فعاقبة ذلك انهيار أعصابه .

وما أتعسَ حالَ الزوجة التي تكون أعصابُها منهارةً ، وحالَ الزوج الذي يفقد الحيوية ويكون ضجراً ، فعاقبته خسرانُ الدنيا والآخرة ، كما يُبين الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) ^(١٠) فأحذِ إِمَارَ العُجْبِ المُرَّةِ هي التوقعاتُ غيرُ المتكافئة ، وأن يفرض الزوجان أحدهما على الآخر ما لا يطيق .

٤ - رفض النقد :

وهو من فروع الأنانية أيضاً .

وأرجو من السيدات الانتباه أكثر على أن الإسلام يرفض الغيبة والتحدث عن عيوب الآخرين في غيبتهم والاستهزاء بهم في حضورهم ، ولكنه يقول نعم للنقد البناء ، ويسأمر بتوضيح عيوب الآخرين لهم مثلما تفعل المرأة ، قال الإمام الصادق - وهو المظهر من كل عيب أو نقص - : « أَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى عُيُوبِي إِلَيَّ » ^(١١) .

فالنقد ضروريٌ ، ولكنَّ الأشدَّ ضرورة منه هو قبوله ، وهذا ما نجد فيه صعوبة ، فأحياناً ينبئ الزوج زوجته على عيوبها ، وهذا أمرٌ ضروريٌ غير أنَّ

(١٠) تقدم نص الحديث ومصدره .

(١١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٢٨٢ .

قبول الزوجة به عملاً لا قولاً أهم منه ، فتبادر من اليوم التالي بمعالجة تلك العيوب .

قد يكون الزوج سيئ الخلق في تعامله المنزلي ومع أولاده ويوجّه لهم البذيء من القول ، وفي هذه الحالة يكون واجب الزوجة هو أن تقول له - مع حفظ أعصابها واحترامه - : - إن هذا التعامل يُصيب الأطفال بعقد نفسيّة ويجلب عليهم الشقاء .

وتوجيه هذا النقد ضروري ، إلا قبول الزوج به عملاً لا قولاً أشد ضرورة منه .

ونحن نستبدل النقد البناء في بيوتنا بالصراخ وينعدم قبول النقد فيها خاصة من قبل النساء وهذه حالة خطيرة للغاية ، وأنها تنزع المودة من قلب كلا الزوجين تجاه الآخر ؛ فالرجل إذا كرّر القول عشر مرّات ولم تقنع المرأة فإنه لن يعيده بل يفعل ويتأذى وتضعف مودته لها تدريجياً ونفس الأمر يصدق إذا كان النقد من الزوجة تكرّره عشر مرّات ، فلا يقنع الرجل فهذا يُذيب المودة في القلب مثلما يُذيب الماء الملح .

المحاضرة الرابعة عشر :

الفصل الخامس

العوامل الموحدة للمودة

- أمور كبيرة تظهر صغيرة
- ١ - رعاية النظافة والطهارة
- ٢ - إظهار المودة
- ٣ - جلب الهدايا للأسرة
- قصة الأصمعي والزوجة الصابرة

عوامل استجلاب المحبة

الفصل الخامس من بحثنا هو عن المودة والرحمة ، وقد قلتُ : إنَّ بحثنا فيه يكون ضمَّنَ موضوعين : الأوَّل عن العوامل المزيلة للمودة ، وقد تحدَّثنا عنها .

أما الموضوعُ الثاني ، فهو عن الأمور التي تجلب المودة ، أي : ماذا يجب على الزوجين القيام به في البيت لتضاعف تلك المودة الطبيعية حتى بعد أن يتقدَّما في العمر ، وحتى لو كان للزوجة عدد كبير من الأولاد وكان لهم زوجات وأزواج ، لكنها تظلُّ تقدِّم مودةً زوجها على الجميع .

وهنا أتحدَّث عن نقطةٍ مهمَّةٍ أرجو أن تضعوها - جميعاً - نصبَ أعينكم والعمل بها - إن شاء الله - لتجنوا ثمارها .

● أمور كبيرة تظهر صغيرة :

هذه المقولة واردةٌ على ألسنة علماء النفس ، ولها لطافة خاصة ، وأنتم تعلمون أن علم النفس هو علم خاصٌّ وله لطافةٌ خاصةٌ تظهر في بعض مقولاته .

والمقولة المتقدِّمة تعني أن بعضَ الأمور تبدو صغيرةً ، لكنها عظيمة التأثير في تدمير الشخصية ، وفي إزالة المودة أو بالعكس في تعزيز الشخصية

ومنح الاحترام للإنسان ومضاعفة المودة .

١ - رعاية النظافة والطهارة :

وهي من الأمور التي وردت تأكيدات مشددة في الإسلام ، فالإنسان يجب أن يكون نظيفاً في منزله وفي الخروج للشارع وفي المحافل العامة حيث يجب أن يدخلها بعد التحلي بالزينة والنظافة .

وهذا ما نرى أحياناً عدم الالتزام به من قبل البعض ، فهم مثلاً لا يُنظفون أسنانهم ، وتفوح من أقدامهم رائحة العرق فلا يغسلونها رغم أنه يجب غسلها يومياً ، أو تكون جوارب أحدهم وسيخة تنبعث منها رائحة كريهة فيجب أن يستبدلها يومياً لكنه لا يفعل ، كما أنه لا يهتم لوساخة ملابسه . ومثل هذه الأمور تبدو أموراً صغيرة لكنها مؤثرة للغاية في تدمير الشخصية فمثلاً عندما يشم شخص رائحة كريهة تنبعث من فمك أو جواربك ، ينفر منك وقد يلعن - في قلبه - عملك هذا في دخولك المسجد أو هذا المحفل العام على هذه الصورة .

قد يكونَ عَدَمُ نظافةِ ملابسِ شخصٍ ما قضيةً هيئَةً في نظره لكنها مؤثرة جداً في تحطيم شخصيته الاجتماعية ، ومن المصائب الكبرى التي ظهرت باسم « الحالة الحزب اللاهية » هي عدم الاهتمام بمثل هذه الأمور الصغيرة ، ففي عهد حكم الطاغوت كان الشباب يقومون بأعمال قبيحة تحت عنوان « الهيز » وأمثاله ويحطمون بها شخصيتهم الاجتماعية أمثال توفير الشعر غير المرتب والخروج بالملابس القذرة حتى بأحذية وسيخة للغاية أو حُفافة .

واليومَ نشاهد انتقالَ هذه الظواهر إلى ثورتنا آسفينَ ، فنرى البعض - أحياناً - يخرجون بأحذية غاية في الوساخية أو بملابس و« قماصل » وشعور ولحي غير مرتبة ، ويطلقون على أنفسهم اسم (حزب الله) وهذه هي حالة حزب الشيطان ، فحزبُ الله مأمورٌ بالترتيب والنظم .

النبي الأكرم كان ينظر إلى هيئته قبل الخروج من منزله فيخرج على هيئة مرتبة منظمّة وملابس نظيفة للغاية^(١) ، لم تكن ملابس غالية الثمن .

فهذا لا يهتم به الإسلام ، بل يهتم كثيراً بالنظافة ؛ في حين تجد بعض الزوجات يفتقدن الترتيب في البيت ، فيدخل الزوج منزله ، فيجد زوجته مهملة له حتى إنها لم تمسّط شعرها فضلاً عن أن تتزيّن له .

وهذا الأمر قد يبدو صغيراً في نظرها خاصّة إذا كان لديها أطفال وبنات متزوجات وأبناء متزوجون وأبناء كبار ، لكنه عامل مؤثر للغاية في نزع مودتها من قلب زوجها وعدم اهتمامه بها وإنزاله « صرّة » عليها ؛ فهو صغير من جهة كبير من جهة أخرى . ومع الأسف فإننا جميعاً ولا سيما المتدينين لا نهتم بهذه الأمور الصغيرة الكبيرة ، فالنساء المتدينات يسوغن ذلك بأن من غير المناسب قيامهن بتلك الأعمال وقد كبر الأولاد ، فيجلبن نفرة أزواجهنّ منهنّ بذلك ، أو أن الزوج لا ينظف أسنانه رغم أنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يقول : « صلاة على أثر السواك أفضل من خمسة وسبعين صلاة بغير السواك »^(٢) ، وهو السواك الذي يقول عنه (صلى الله عليه وآله) : « لولا أنّ أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة »^(٣) وهذا يعني أن أرضية الأمر الوجوبي متوفرة فيه ، ولكنه مع ذلك لا يهتم به ، وينام إلى جانب زوجته والرائحة الكريهة تنبعث من فيه فتصبر في المرأة الأولى والثانية والثالثة ، ولكنها تأخذ فيما بعد بالتدثر ويشتدّ تذمرها ، وبذلك تصبح رائحة الفم سبباً لنزع المودة من قلب الزوجة ، ويحدث العكس إذا الحال هو في الطرف الآخر ، فقبح للمرأة - عرفاً وشرعاً - أن تنبعث الرائحة الكريهة من بدنها ، وقبح للرجل أن لا

(١) راجع كتب سنن النبي للعلامة الطباطبائي .

(٢) المحجة البيضاء ج ١ ص ٢٩٧ وفيه عن الباقر (ع) أنه تعدل سبعين صلاة .

(٣) المصدر السابق نقلاً عن الكافي ج ٣ ص ٢٢ .

يكون نظيفاً في منزله وفي المحافل والأماكن العامة .
 فالنظافة أمر مهم ، ويُنسب إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه
 قال : - « النظافة من الإيمان »^(٤) .
 فإذا أردتم معرفة إيمان المسلم فانظروا إلى نظافته ، فإذا لم يكن نظيفاً
 فإسلامه (إيمانه) ناقص .
 وهذه في رؤية علماء النفس من الأمور الصغيرة الكبيرة .

٢- إظهار المودة :

تأمر الأحاديث الشريفة بأنك إذا أحببت أخاً في الله ، فأخبره بذلك^(٥) ،
 بل وردَ فيها الأمرُ بذلك للزوجِ تجاهَ زوجته وللزوجةِ تجاهَ زوجها ؛ قال
 رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « قول الرجل للمرأة إني أُحبُّك لا يذهب
 من قلبها أبداً »^(٦) .
 وقولٌ مثل ذلك يبدو أمراً مألوفاً عادياً ، والكثير منكم لا يعيره أهمية ولا
 يتفوه به كل يومٍ أو كل أسبوعٍ أو في الشهر مرةً ، حتى إذا كان يحب زوجته .
 ونفس الأمر يصدق على الزوجة ، بل إن بعض النساء تخجل من قول
 هذه الكلمة .
 إن الإسلام يريد من الأمرِ تبادلَ السلامِ والتحياتِ والسؤالِ عن
 الأحوالِ وتبادلِ المشاعرِ الجياشة ، تعزيزَ المودةِ بين المسلمين ، وهذا هو
 الهدف من تأكيدِهِ تبادُلَ الزياراتِ واعتيادهِ قُطْعَ الرحمِ من كبائرِ الذنوبِ
 واعتباره تركَ التراورِ من المكروهاتِ .

(٤) ورد مضمونه في العديد من الأحاديث النبوية .

(٥) راجع بحار الأنوار ج ٧٤ ص ١٨٢ .

(٦) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٠ .

فهذا التزاور يُعزّز المودة ، فأرجو من الزوجات والأزواج أن يُظهر بعضهم المودة للبعض الآخر ، فيخبر الزوج زوجته باستمرار وببشاشة وحيوية بحبه لها ، فتجيبه بمثل تلك الحالة : أنها لا تَرْضَى بالدُّنيا بديلاً له ، وأنها مُستعدة للتضحية بالدنيا من أجله .

وهذا العمل الذي يبدو صغيراً يؤثر بقوة في استجلاب المحبة .

والأحاديث الشريفة توصي المرأة بالتزيّن^(٧) وارتداء الملابس التي يُحبها زوجها وتهيئة مائدة الطعام وتنظيف الأطفال وتهديتهم وإيجاد جو هادي قبل مجيء زوجها ، وأن تفتح هي بنفسها الباب له ولا تأمر الأطفال بذلك ، وتسلم عليه وتبتسم له وتحادثه بمودة وتأخذ بيده إلى مائدة الطعام الذي يُصبح بذلك لذيذاً لكليهما .

قد تبدو هذه الأمور صغيرة بنظرنا ، وربما اعترضت بعض السيدات عليها ورأتها عاملاً في زيادة طلبات وتوقعات الأزواج ، لكن هذه الأمور الصغيرة مؤثرة جداً في تعزيز شخصية الزوجة واستجلابها لمحبة زوجها .

فمثل هذا التعامل يُصلح حال الزوج مهما كان سيء الخلق ، فإن لم يصلح اليوم ، يصلح غداً ، أو في الشهر القادم .

٣- جلب الهدايا إلى الأسرة :

توصي الروايات الرجل بجلب هدية - ولو صغيرة - عندما يأتي إلى المنزل^(٨) ، وأن ينزع عن نفسه همومه خارج المنزل ، ويدخل المنزل بايسامية يُقابل بها سلام زوجته ، بل يبادر هو إلى الابتداء بالسلام عليها وتقديم الهدية التي يحملها لها ، ويزيل عنها التعب بكلمة شكر وإشادة بعملها ، ويشكرها

(٧) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ أبواب المعاشرة من مقدمات النكاح .

(٨) راجع سفينة البحار ج ٢ في مادتي (عيال) و (ولد) .

على إعدادها الطعام عندما يجلس إلى المائدة ، حتى لو لم يكن على وفق ما يَرْعَبُ فيه .

ومثل هذا التعامل يسيّر في الظاهر ، كبير ومؤثّر للغاية في جلب المودة ، فهو يخرج من القلب كافة أشكال التعب والضعف ، ولكوننا لا نقوم بها يسود بيوتنا البرود .

وعندما ندرس الأمر نجد أنّ هذه الحالة من البرود أوجدتها الزوجة ، فواضح أنّ الزوج عندما يدخل البيت ويرى زوجته غير متزيّنة ، يشعر أنّ عليه أنّ يقدم كفارة قبل أن ينظر إلى وجهها ، أو أنّ الزوجة تشاهد زوجها عابساً مقطّبا حاجبيه وهو يدخل البيت . إنّ مثل ذلك يهدم المودة ، حتى في الشهر الأول أو في الثاني .

ونفس الشيء يفعلُه وضع من قبيل أن يدخل الزوج - الذي أوصى مراراً زوجته بأن يكون الطعام حاضراً عند مجيئه - البيت وهو جائع فيجده غير معدّ إلى الآن ، ويجلس في انتظاره ، ثم يأتي - بعد حين - طعام غير جيّد تضعه بين يديه وهي تقول له : « آش ، خالتك فإن شئت تناوله وإلا فدعه » (٩) .

ونفس الأمر يؤدي إليه عدم حمل الزوج شيئاً إلى البيت واستبدال ذلك بكلمة جارحة يوجّهها لزوجته أو تعنيف أو صراخ !! .

ومثل هذه الأمور الصغيرة كثيرة بيننا وهي صفائر ذات تأثير عظيم في قتل المودة .

فإذا أردتم أن تسود المودة أجواء الأسرة والبيت ، فعليكم برعاية هذه الأمور الصغيرة الكبيرة . .

(٩) « آش » اسم نوع من الطعام الإيراني يُعد من الحبوب والخضروات وما بين القوسين مثل شائع عن عدم الاهتمام بالأمر .

● قصة الأصمعي والزوجة الصابرة :

كان الأصمعي وزيراً للمأمون ، والمأمون بحد ذاته كان شيطاناً كبيراً جداً وعالمًا شيطانيًا خفيًا ، والأصمعي كان مشبوهًا (شيطاناً) أيضاً ينقل أنه ذهب للصيّد الترفيهي - وهو عملٌ قبيحٌ ومحرمٌ في الشرع الإسلامي ، ورغم ذلك كان يواظب عليه خلفاء بني أمية وبني العباس ، فأضاع القافلة التي خرج للصيّد معها ، وبقي في الصحراء وحيداً ، فشهد من بُعد خيمةً ، فذهب إليها ليجد فيها امرأةً شابةً جميلةً ، فجلس في زاوية من الخيمة ، وجلست هي في زاوية أخرى ، فطلب منها ماءً ليروي عطشه ، فتغيرت واعتذرت بأنها لم تستأذن زوجها في مثل ذلك ، ثم قدمت له مقداراً من اللبن أخبرته أنه طعامٌ ظهرتها ، فتناولوه ، وجلس ساعة انتبه بعدها إلى هذه المرأة وقد قامت ، فرأى راحلة تأتي من بعيد وعليها رجلٌ هو زوج هذه المرأة التي سارعت إلى حمل إناء الماء - الذي « رفضت تقديمه للأصمعي - إلى خارج الخيمة تستقبل به زوجها الذي كان شيخاً قبيحاً ، فتعجب الأصمعي من هذا التباين .

ثم كان أن قامت المرأة - وبعد أن ترجل زوجها من بعيره - بغسل قدميه على صخرة أعدتها لذلك كما غسلت وجهه ويديه وحفته بالتوقير وهو يدخل الخيمة ثم جلست في مقابله ، ثم يذكر الأصمعي أن الزوج كان سيئ الأخلاق ، لكنه كلما تعامل معها بأخلاق سيئة قابلته بتعامل أخلاقي حسن ، فلم يتحمل الأصمعي ذلك ، وتمنى أن يظل في الصحراء يتلظى في حرارة الشمس على مشاهدة هذا الوضع ، فخرج من الخيمة دون أن يهتم به ذلك الرجل .

أمّا المرأة ، فقد خرجت من الخيمة لتوديعه إكراماً له كضيف وخارج الخيمة عاتبها الأصمعي على شدة رعايتها لهذا الزوج القبيح وهي على ما هي عليه من جمالٍ وكمال ، فتغير لونها تأثراً من قذحه لزوجها وأنكرت عليه ذلك

وَسَعْيِهِ لِإِثَارَةِ الْخِلَافِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا ، وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ حَدِيثاً عَنْ
الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَتَرِيدُ الْعَمَلُ بِهِ لِتَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَهُوَ
قَوْلُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : - « الْإِيمَانُ نِصْفَانِ : نِصْفُ صَبْرٍ ، وَنِصْفُ شُكْرِ » (١٠) .

فَبَصْبِرْهَا عَلَى زَوْجِهَا تَسْتَكْمِلُ الْإِيمَانَ ، وَتَشْكُرْ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهَا مِنْ
جَمَالٍ ؛ فَوَعِظْتُهُ بِذَلِكَ وَأَسْكَنْتُهُ (١١) .

وَلِمَثَلِ هَذِهِ يُقَالُ إِنَّهَا سَيِّدَةٌ مُسْلِمَةٌ ، وَعَلَى نَقِيضِهَا مَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ أحياناً
مِنْ صُدُورِ كَلِمَاتٍ غَايَةٍ فِي سُوءِ الْأَدَبِ تَخْرُجُ مِنْ بَعْضِ النِّسَاءِ .

وَقَدْ أَوْصَيْتُكُمْ قَبْلَ يَوْمَيْنِ بِالْحَذَرِ مِنْ أَنْ يُعَيَّرَ أَحَدُكُمْ الْآخَرَ بِذِكْرِ أَوْضَاعِ
الْآخَرِينَ كَأَن تَتَحَدَّثَ الْمَرْأَةُ بِحَضُورِ زَوْجِهَا - عَمَّا يَصْرِفُهُ الزَّوْجُ الْفُلَانِي وَمَا
يَمْتَلِكُهُ ، أَوْ أَنْ يَتَحَدَّثَ الزَّوْجُ بِحَضُورِ زَوْجَتِهِ - عَنْ أَنَّ زَوْجَةَ فُلَانٍ جَيِّدَةٌ
لِلْغَايَةِ .

وَيُرْتَكَبُ بَعْضُ الْأَزْوَاجِ اشْتِبَاهاً فَظِيعاً عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُونَ لَزَوْجَاتِهِمْ عَنْ
جَمَالٍ وَحُسْنِ زَوْجَاتٍ آخَرِينَ ، فَيَلْمِزُونَ زَوْجَاتِهِمْ ، وَمِثْلُ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ
تَخْرُجُ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ - كُلُّ نَوْعٍ مِنَ الْمَوَدَّةِ مِنْ قَلْبِ الزَّوْجَةِ .

وَبَدَلاً مِنْ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ يَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ أَنْ يُشِيدَ بِمَحَاسِنِ زَوْجَتِهِ
- حَتَّى لَوْ لَمْ تَكُنْ جَمِيلَةً فِي عَيْنِهِ - وَيُخْبِرُهَا بِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَفْضَلَ مِنْهَا .

وَوَاجِبُ الزَّوْجَةِ أَيْضاً هُوَ أَنْ تُشِيدَ بِرَجُولَةِ زَوْجِهَا ، وَأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ خَيْراً
مِنْهُ ، وَبِالتَّالِي أَنْ يَخْدِمَ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ ، وَيُشِيدَ كُلُّ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ ، بَلْ إِنَّ
هَذِهِ مِنَ الْمَوَارِدِ الَّتِي يَكُونُ الْكَذِبُ فِيهَا جَائِزاً .

(١٠) راجع المحجة البيضاء ج ٧ ص ١٠٥ .

(١١) قريب مما أوردته الشيخ المحاضر تجده في قصة الأصمعي مع امرأة في البادية ، المروية في
المحجة البيضاء ج ٣ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

وهذه الأمور الصغيرة مؤثرة جداً في استجلاب المودة وفي التعبير عن قوة الشخصية ، بمعنى أن المرأة ذات الشخصية القوية هي التي يكون نظرها إلى زوجها لا إلى الآخرين .

وتؤكد الروايات الشريفة أن المرأة التي تخرج من بيتها متعطّرة فيشم طيب رائحتها غير محارمها ، تلعنّها الملائكة وكل حجر ومدبر تمرّ عليه حتى تعود إلى بيتها^(١٢) .

فأوصي السيدات أن لا يضعن الملاءة أو الألبسة التي يرتدينها عند خروجهن من البيت في مكان توجد فيه عطورهن أو ألبسة تنقل رائحة العطر ، وأوصيهن أن لا يتعطرن عند خروجهن ، فإنه إذا شمّه غير المحارم لعنتهن الملائكة والأبواب والجدران والأرض والزمان ، ولا تتصورن أنها عديمة الشعور ، بل : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾^(١٣) .

نحن نسمع ونُبصر ونعي

لكننا صامتون أمامكم أيها الأجانب^(١٤)

فلو كان هناك سمع (ملكوتي) لسمع الإنسان صوت التكبير من هذا العمود .

أمّا السيّدة التي تتعطر لزوجها قبل أن تذهب إلى مضجعتها ، فإنّ الملائكة تستغفر لها حتى الصباح ، وتحظى برضا الله ورسوله والأئمة

(١٢) راجع ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٣٠٨ عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) : « أي امرأة تتطيّب ثم خرجت من بيتها فهي تلعن حتى ترجع إلى بيتها متى رجعت » وراجع كذلك وسائل الشيعة ص ١١٢ وما بعدها من المجلد ١٤ .

(١٣) سورة الإسراء / ٤٤ .

(١٤) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني العارف جلال الدين الرومي .

الطاهرين ويستغفرون لها حتى تستيقظ^(١٥) ، فقيامها بذلك قد يبدو صغيراً بعينها ، لكنه مؤثر للغاية في جلب المحبة .

أيتها السيدة إن شخصيتك القوية لا يعبر عنها ارتداء « ملاءة الشيرمن » أو اللباس الجاذب للأنظار عند خروجك من البيت ، بل على العكس ، فهي علامة ضعف الشخصية ، وكلما ازداد لمعان هذا النوع من الملاءات وازدادت جاذبية ذاك اللباس الفاضح ، اشتدت الضربة التي يوجهها لشخصيتك ، يقول - تعالى - : ﴿ وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾^(١٦) .

فيا أيتها السيدة ! أنت مسلمة ولك شخصيتك ، فلست مثل نساء الجاهلية في كل مكان ، ولست عديمة الشخصية ، فلا ينبغي لك ارتداء ما يجذب الأنظار عند خروجك من المنزل ، وآستري نفسك لكي لا يجذب وجهك الأنظار ، فالتى لا شخصية لها هي التى تفعل مثل ذلك .

أما ذات الشخصية القوية ، فهي التى تكون جاذبة لزوجها ، وكذلك فإن الزوج ذا الشخصية هو الذى يشد إليه زوجته ، وليس الذى يتوهم أن شخصيته يصنعها صُراخه فى البيت وخوف عياله منه خيفتهم من الأسد ، والذى يقول أحياناً : إنه يجب أن يفعل ذلك ، لكي لا يتسلطوا عليه !! .

لا تقل مثل هذا ، فهو قول شيطاني ، بل عليك التحلي بسلامة القلب وطيب اللسان ولين الجانب .

أخبر زوجتك بأنك تحبها وبأنك لا تعادِلُها بكل الدنيا ، وأنتك تكدح من أجلها ومن أجل أن تعيش في رفاهية ، وأن في ذلك عيدك .
ولمثل هذا يُقال إنه رجل قوي الشخصية .

(١٥) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٢ .

(١٦) سورة الأحزاب / ٣٣ .

أَمَّا الصُّرَاخُ فِي الْبَيْتِ ، فَهُوَ عِلَامَةٌ ضَعْفِهِ وَهُوَ أَمْرٌ صَغِيرٌ ، لَكِنِهَا مُؤَثِّرٌ
لِلْغَايَةِ فِي قَتْلِ الْمَوَدَّةِ .

كَمَا أَنَّ مَسَاعِدَةَ الْمَرْأَةِ فِي أَعْمَالِ الْمَنْزِلِ هِيَ عِلَامَةُ قُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ ،
وَنَفْسُ الْأَمْرِ يَصْدُقُ عَلَى تَحَلِّيِ الْمَرْأَةِ بِالنِّظَافَةِ وَطَيِّبِ اللِّسَانِ وَالتَّعَامُلِ الْحَسَنِ .

المحاضرة الخامسة عشر : =

الفصل السادس

تعدد الزوجات وأسبابه

- ١ - الزواج الضروري
- ٢ - الزواج بدافع الأهواء
- ٣ - الزواج لأمراض نفسية

تعدد الزوجات وأسبابه

يدور بحثنا اليوم في موضوع تعدد الزوجات وعوامله من الناحية الأخلاقية ، وليس من الناحية الفقهية والاجتماعية وغيرها .
وتعدد الزوجات على أقسام : -

١ - الزواج الضروري :

القسم الأول هو الذي تقتضيه الضرورة كأن تكون الزوجة مريضة ، فلا تستطيع تلبية الحاجة الجنسية لزوجها ، أو القيام بأعمال المنزل ، فيضطر الرجل إلى اتخاذ زوجة أخرى .

وهنا يظهر أحد الأحكام المهمة في الإسلام ، فالمسيحية التي تفتقد حكم جواز هذا التعدد وقعت في مأزق حاد اضطر أصحابها إلى وضع قوانين مبتذلة للغاية .

ومن مصاديق الضرورة في هذا المجال - وهو محدود للغاية - أن تكون الزوجة عقيماً ، ولا ترضى هي أو زوجها بذلك ، فهو يريد طفلاً ولا يمكنه العيش دونه ، فتقتضي الضرورة أن يتزوج بأخرى .

وفي مصاديق الضرورة هذه أوصى السيدات أن يبادرن بأنفسهن لاختيار المرأة التي تنسجم مع كلٍ منهن ومن الناحية المعنوية لأزواجهن .

٢ - الزواج بدافع الأهواء :

القسم الثاني هو الذي يقع بدافع الأهواء ، فيتوهم الرجل أن للزوجة الثانية لذةً أخرى ، فتجد شخصاً مترفاً منغمساً في الشهوات يتزوّج الأولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ولو استطاع لأعدّ لنفسه (دار حريم) .

والذي ينبغي أن أقوله هنا هو أن لهذا النوع من الزواج تبعات أخلاقية خطيرة ، فلانغماس في تلبية الغرائز يسوق الإنسان إلى وادٍ خطير ، إذ ليس لها حدٌ تقف عنده وتشبع ، فلا يشبع من السلطة والرئاسة .

وهذا يصدق على كافة الغرائز - وللغريزة الجنسية خصوصية خاصة أيضاً - ، ولو تسلط إنسان على الأرض كل الأرض لسعى إلى البحث عن كوكب آخر ، ليتسلط عليه .

ولو امتلك نهراً من ذهب وآخر من فضة ، لما شبع كما يشير إلى ذلك الإمام الصادق (عليه السلام)^(١) .

وإضافة لذلك فإن للغريزة الجنسية خصوصيةً أخرى تبلغ خطورتها حدّ أن خلفاء بني أمية وبني العباس وبعض ملوك إيران كان لكلّ منهم دار حريم .

ورغم ذلك كانوا يطاردون نساء الآخرين ، أي فرضاً كان لأحدهم مائة من الفتيات الحسان اللواتي جمعهن في مكانٍ واحدٍ ، وقد لا يرى بعضهن طوال عامٍ كامل ، ومع ذلك كان يسعى للعثور على فتيات أخريات - حتى لو كنّ زوجاتٍ لآخرين - لكي يتملّكهن .

هذه الحالة يصفها علماء النفس بالفلتان النفسي ، إذ لا يشبع المصاب بها مهما أُعطي ولا يرتوي ، ويضيفون أن الغريزة تظلم (تُثار) والعوامل

(١) راجع أصول الكافي ج ٢ باب ذم الدنيا والزهد فيها .

المؤدية لذلك هي ملاحقة نساء الآخرين بالنظرات الحيوانية ، أو فقدان المرأة للحجاب والعفة وتطلعها للآخرين بنظرات شهوية .

وبسبب هذه الحالة حتى لو كانت للرجل زوجة جميلة شابة واحدة وثانية وثالثة - لا يتخلّى عن نظراته الحيوانية ، فلا يشبع ، ويطلب أن يصبح مثل هارون الرشيد له « دار حريم » ولو امتلكه لما شبع .

كما أحرّز الزوجات اللواتي لا يعنين بحجابهن ولا يتورعن عن النظرات المريبة وعن التطلع لغير أزواجهن من خطورة حالهن وتبعاته المدمرة .

ويذكر علماء النفس أن ظهور حالة الفلتان النفسي في النساء تدفعهن إلى الكشف عن الأجزاء المثيرة من البدن - كأعلى الساعد وما فوق الركبة والصدر وأمثالها للأجانب .

وهذا هو ما يدفع بعض غير المهدبات إلى ارتداء ألبسة لا تستر سوايذهن لكي يكشفنها للكسبة عندما يذهبن إلى السوق .

وقد يصل الحال ببعض منهن إلى الجلوس في الأريكة بملاءة ملونة دون جوارب ، وتدفع ملاءتها إلى الوراء ، لتبدي ساقها للأجانب .

والدافع لهذه السلوكيات غير المهدبة هو ظمأ الغريزة الجنسية ، كما يقول علماء النفس .

وبعض من المسنين - ورغم كونهم عاجزين جنسياً - يطلقون العنان لنظراتهم الشهوية ، فالكاسب منهم يُوجّه نظره الحرام خمسين مرة لمثل تلك المتهتكات كل يوم .

وهذا وضع خطير من وجهة نظر الإسلام وعلماء النفس أيضاً .

وهنا أوجّه كلمة - بين قوسين - للنسوة اللواتي لا يوجد منهن في هذا الاجتماع والمرجو أن لا يوجد منهن بين اللواتي يستمعن لحديثنا من الإذاعة ،

وهي أنَّ جلوسَ المرأةِ أو الرجلِ في الزقاقِ عملٌ خاطيءٌ ، وهو من المرأةِ أقبُحُ خاصَّةً إذا كانت لا تهتمُّ بأمرِ حجابِها .

فإذا جلستِ امرأتانِ أو ثلاثٌ في الزقاقِ ، فليعلمن أنَّهنَّ غيرُ مهذَّباتٍ وعديمتِ الشخصيةِ . فضلاً عن أن عملَهُنَّ هذا يجعل غيرَ المحارمِ يرونَهُنَّ ، فيُصبحن سبباً لوقوعهم في المعصية .
وهذا بحدِّ ذاته معصيةٌ كبيرة .

إنَّ المرأةَ التي تحترم شخصيَّتها لا تقعد في الزقاقِ عليها مُلاءةٌ ملوَّنةٌ وقد أبدتِ فتنةً ساقِها . - والعياذُ بالله - ، بل تقرُّ في بيتِها ، وتقوم بأعمالِ المنزلِ ورعايةِ الأطفالِ ، وإذا لم يكنْ لديها من هذه الأعمالِ شيءٌ عمدت إلى القراءةِ والاستماعِ إلى الأشرطةِ الدينيَّةِ أو الفنيَّةِ أو الاجتماعيَّةِ .

ومما لا شكَّ فيه أنَّ قعود النساءِ في مكانٍ واحدٍ لا يخلو من الغيبةِ - واحتمالاً - البهتان والنظراتِ الشهوية .

فليعلمن أنَّ ما أصبح متعارفاً في بعض الأماكن من جلوسِ النساءِ في الأزقةِ هو ظاهرة اجتماعيَّة مخزية وعلامة على فقدانِ التهذيبِ والشخصيَّةِ المحترمة .

وهذا ما لا ينسجم مع سُنَّةِ الزهراءِ (سلام الله عليها) .

ومنَ تفعل مثل ذلك وتقول : إنَّها تحبُّ الزهراءِ وإنَّها تابعةٌ لها ، فهي كاذبةٌ في قولها بلا شك ، فالزهراءِ (عليها السلام) تتأذى من أفعالِ أمثالِ هذه المرأةِ .

إذن فالقسم الثاني لتعدُّدِ الزوجاتِ هو الذي يقع بدافعِ الأهواءِ ، وقد يَخْدَعُ مَنْ يفعل ذلك نفسه والآخرينَ في بعضِ الأحيان ، ويغْطِيهِ بادِّعاءِ السعيِّ للحصولِ على الثوابِ ، فيجلب - بدلاً من الثواب - مصائبَ شتى لنفسِهِ

ولزوجته الثانية ، وكذلك للأولى ، فهو كان كاذباً في دعوى الحصول على الثواب من زواجه بالثانية .

فدافعه كان الأهواء ، ولم يكن يحتاج للزواج الثاني ، فهذا عمل قبيح عند علماء علم الأخلاق الذين يوصون تلاميذهم منذ الأيام الأولى بـ : « إياك ثم إياك ثم إياك والتوغل في المشتبهات » .

فحذار حذار من أن تشغل قلبك هذه المشتبهات .

حذار من كثرة الأكل وكثرة النوم والكسل وكثرة الكلام .

وعليك أن تجتهد في حفظ التوازن في تلبية غريزتك الجنسية .

فهذا النمط من الزواج الشهوي الترفي هو عمل قبيح أخلاقياً ، ولا ينسجم مع الوفاء للزوجة الأولى .

ينقل عن أحد العلماء الكبار موقف يبعث الإعجاب حقاً لدى الإنسان بالمقامات السامية التي يصلها الذين يهذبون أنفسهم وبالکلمات والأعمال العظيمة التي تصدر عنهم ، فقد روي أن السيد المرحوم إبراهيم القزويني - وهو من مراجع النجف وكان يعيش في كربلاء - كان يحظى بمنزلة مرموقة بين طلبة الحوزات العلمية ، لأنه كان على درجة علمية متقدمة للغاية ، وفي مقام سام في تقواه وأخلاقه ، وكان يحظى بحب طلاب الحوزة له .

وفي زمانه طلقت « ضياء السلطنة » ابنة المليك « فتح عليشاه » من زوجها وكانت ماتزال شابة ، وقد أعرضت عن البقاء في إيران ، فتوجهت إلى كربلاء للإقامة فيها دون كفيل .

هذه الشابة بعثت رسولاً إلى المرحوم السيد القزويني ليخبره أنها ترغب في أن يشملها ظلّه ، وأن يتزوجها ، وتدخل في بيته وكنفه . السيد أجاب الرسول بأن يحيل سلامه لضياء السلطنة وخطابه لها بـ « لا تناسب بيني وبينك فلسنا أكفاء لبعضنا البعض فأنا شيخ وأنت شابة » .

أنا من الطلبة وأنت أميرة .

وأنا فقير وأنت ثرية » .

فجاءه جوابها بهذه الصورة :

« أيها السيد ، إنني أفتخر بأن أصبح زوجتك وفي كنفك ، وأن أعرف بذلك .

وإنني لا أطلب منك شيئاً من المال ، بل إنني مستعدة لتكفل مصاريف بيتك الأول أيضاً !! » .

المرحوم السيد رأى أنها لا تتخلّى عما تريد ، فعمد إلى قطع أملها بالكل ، وحمل الرسول سلامه وخطابه إليها بـ « إنني متزوج من امرأة تحملت على مدى أربعين عاماً فقري وغرّبتني ومصاعب حياتي ، وليس من الوفاء أن أجزيها بعد أربعين عاماً من تحملها المشاق في القيام بأعمال المنزل ورعاية الزوج والأطفال - وفي ظل الفقر والغربة - بأن أنزل عليها ضرراً لها . ولذلك لا أرضى بالزواج منك » .

هذا الموقف قد يكون ثقيلاً على البعض ، ولكنه موقف سامٍ وبلغ .
وإنني أنصح للذين يريدون الزواج بثانية وأقول لهم : إن كنتم تسعون حقاً للحصول - على الثواب من ذلك ، فقدّموا المصاريف التي تريدون تخصيصها بالزواج الثاني هدية لتزويج شاب وشابّة ، وتكفلوا مصاريف هذه الأسرة الجديدة ، فشواب هذا العمل فوق كل ثواب ، فالإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يعتبر تكفل معيشة أسرة واحدة لمدة أسبوعٍ خيراً من سبعين حجة .

٣ - الزواج لأمراض نفسية :

القسم الثالث هو تعدّد الزواج المرضي . فلإنسان ميول ورغبات إذا لم

يُستجِب لها انتقل من الوجدان الشعوري إلى اللاشعور ، فهي تنسى تدريجياً إذا لم يَسْتَجِب لها الضمير الواعي تنتقل إلى الضمير اللاوعي بعد مُدَّةٍ ، وتحوُّلٌ إلى عقدةٍ نفسيَّةٍ خطيرةٍ تبلغ خطورتها حدَّ أنها قد تؤدِّي بالإنسان إذا امتلك علماً أو سُلطةً إلى إحراقِ العالمِ أجمع مثلما هو حالُ أصحابِ الأفكار الصهيونية .

يحدث أحياناً أن تغفُل الزوجةُ عن تلك الأمور الصغيرة الكبيرة التي تحدِّثنا عنها بالأمس ، فلا تعمل بواجبها ، كأن تبس بوجه زوجها عندما يدخل البيت بدلاً من التبسم ، ثم يسمع منها في اليوم الثاني صُراخاً ودعاءً على الأطفال وتضجراً من إيذائهم لها ومن العيش في بيته ، وفي اليوم الثالث يسمعُ منها طلباتٍ بشراءِ بدلةٍ غالية الثمن ، وهكذا الحال في اليوم الرابع ، وهكذا . . الأمر الذي يؤدِّي بمرور الزمان إلى إيجاد أزمةٍ نفسيَّةٍ لدى الزوج الذي يفكر بالحل فيتراثي له حلُّ الزواج بأخرى لعلها تُرضيه .

فهذه العقدة النفسِيَّة هي مثل الشفرة الحادة التي تغرسها الزوجة في جسمِ وروحِ الزوج ، فتؤذيه وتدفعه إلى الزواج بأخرى توهُماً بأنها سَتْرِيحُه . وأحياناً يرى أن الثانية أيضاً لم تُرضه ، فيتزوَّج بالثالثة .

وقد تؤدِّي تلك الشفرة المغروسة في الروح - تدريجياً - إلى فقدانِه عِفَّة البَصَر - والعياذ بالله - .

هذا هو تعدُّد الزوجات الذي تؤدِّي إليه العقدُ والأزماتُ النفسيَّة ، وعلتهُ هي سلوكُ الزوجة التي لا تُرضي زوجها ، ولا تعمل بالوصايا الإسلاميَّة بهذا الشأن ، وهي الوصايا التي يؤكدها علماء النفس أيضاً .

لقد أظهرت أُنثى الزوجة عَدَم الارتياح والعبوسية بسبب وجودِ نقصٍ في البيت ، فتفاعَل ذلك وأدَّى فيما بعدُ إلى أن تذوق ثمره عملياً غير الصحيح . وأعتقد أن أخطاء الزوجات هي التي تسبَّب مواردُ هذا النمط من تعدُّد

الزواج ، وإني أحتذر الزوجات من أن أخطأهنَّ وجَهْلُهُنَّ وفقدانهنَّ الرشَدَ والوعيَ هو الذي يُنزِلُ عليهنَّ الضَّراتِ ، فمصاديقُ تعدُّد الزوجاتِ الضروري هي قليلةٌ جدًّا .

وأنقل هنا واقعةً من التاريخ ، أسألُ عما إذا كانَ حالُ الزوجةِ على هذه الصورةِ ، سيقع لها هذا النمطُ من تعدُّد الزوجاتِ ؟ . الحادثةُ وقعتُ في زمنِ الرسولِ الأكرمِ (صلى الله عليه وآله) ، حيث روي عن الصحابية الأنصارية الرمضاء أم سليم زوجة أبي طلحة الصحابي وكلاهما مسلمان ويتعاملان وفق أحكام الإسلام ومن محبي الرسول الأكرم أنها قالت : - « توفي ابنُ لي وزوجي أبو طلحة غائب ، فقمْتُ فَسَجَّيْتُه في ناحية البيت ، فقدم أبو طلحة ، فقمْتُ فهيأتُ له إفطاره ، فجعل يأكلُ ، فقال : كيف الصبي ؟ .

فقلتُ : بأحسن حالٍ بحمدِ الله ومنه ، فإنه لم يكن مُنذ اشتكى خيراً منه الليلة .

(وهي لم تكذب فقد ذهب إلى حيث يرضع من شجرة طوبى) .
ثم تصنعتُ له أحسنَ ما كنتُ أتصنع قبل ذلك حتى أصابَ مِنِّي حاجته ، ثم قلتُ : - ألا تعجبُ من جيراننا ؟ .

قال : وما لهم ؟ .

قلتُ : أعيروا عاريةً ، فلما طُلبتْ منهم جَزَعُوا !! .

قال : بِشَسْ ما صَنَعُوا .

فقلتُ : هذا ابْنُكَ عاريةً من الله - تعالى - وإن الله قد قبضه إليه ! ، فحمدَ الله وأسترجعَ ثم غدا على رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره ، فقال : اللهم بارِكْ لهما في ليلتهما .

قال الراوي للحادثة عن أم سليم : فلقد رأيتُ لهم بعدَ ذلك في المسجدِ

سبعة (أبناء) كلهم قد قرأوا القرآن » .
 وروى جابر عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال : « رأيتني دخلت الجنة ،
 فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة » (٢) .
 وأخطب الجميع لا سيما السيدات بأن القرآن الكريم يقول : ﴿ وَالَّذِينَ
 جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٣) .
 فالهداية لسبل الله هي الأجر العظيم الذي يعطيه الله للذين يعملون
 ويصبرون في سبيله .

وما تدري أي مقام سام يُوصل إليه ذلك .
 ولأحظتم كيف دعا الرسول الأعظم لهذه الأسرة الصابرة ، فرزقهما الله
 في نفس تلك الليلة خيراً مما أخذ منهما .
 أوجّه إلّكن سؤالاً أيتها السيدات ، فلو كانت أحدكن مثل أم سليم
 حقاً ، فهل سيأتي زوجها بضرة عليها ؟ .
 لا ، إذن فاعلمي أنّ التقصير منك أيتها الزوجة .

وإذا درسنا حالات تعدّد الزواج الناتج من أمثال هذه العقد وهي حالات
 كثيرة نجد أن التقصير صادر عن الزوجة ، كأن لا تقوم بواجبات الزوجية ورعاية
 الأطفال وشؤون المنزل ، أو أنها - والعياذ بالله - تخرج منذ الصباح للجلوس
 في الزقاق مع زوجة مثلها ، فتقضيان الوقت في الحديث والمزاح .

فإذا انتصف النهار ، دخلت منزلها ، وجاء زوجها ليشاهد البيت والأطفال
 حتى هي معهم يفتقدون النظافة وطعام الظهيرة غير مُعد . وعندها يفكر في

(٢) الحادثة رواها أبو نعيم في حلية الأولياء ومسلم في صحيحه ج ٧ ص ١٤٥ ، كما نقلها الغزالي
 في « إحياء علوم الدين » راجع المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج ٧ ص ١٢٨ - ١٢٩ ،
 كتاب الصبر والشكر .

(٣) سورة العنكبوت / ٦٩ .

الزواج بأخرى لعلها تقوم بما لا تقوم به الأولى ، فيوقع نفسه وزوجته في أمرٍ
تكثر مشاكله ، وعندها تجلس الزوجة تبكي وتقول :

لو كانت سجادة الحظ التي حاكوها لأحدٍ سوداء
فلا يمكن تغيير لونها إلى البياض ولا بماء زمزم^(٤)

فما هذا القول أيتها السيدة !! .

إنك أنت التي حكيت بنفسك سجادة حظك سوداء ولو شئت فقومي
بجياكتها بيضاء ، قومي بواجباتك الزوجية ورعاية البيت والأطفال .

فهل سيفكر زوجك بالزواج من أخرى - الرجل لا يقدر عادةً على القيام
بمسؤوليات زوجة واحدة فضلاً عن أكثر من ذلك ١٩ .

ولو فعل مثل ذلك ، فالتقصير منك ، لأنك لم تقومي بواجبات الزوجية ،
فأوجدت لديه عقدة النقص ، فقام هو بالتزوّج بأخرى .
وهذا ما نصفه بالزواج الناتج عن العُقْد .

(٤) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية .

المحاضرة السادسة عشر : =

الفصل السادس

الطلاق

أقسام الطلاق

- ١ - الطلاق الضروري
- ٢ - الطلاق الناشئ عن
الأهواء
- ٣ - الطلاق الناشئ عن
العقد

موضوع الطلاق

حديثنا اليوم عن الموضوع الثاني أي « الطلاق » وهو موسوم في الإسلام بـ « أبغض الحلال » ومشهور عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال :
- « أبغض الأشياء عندي الطلاق »^(١) .

أما المسيحية ، فليس مسموحاً فيها بالطلاق أصلاً ، لكنهم يقدمون عليه بحيلةٍ قذرة - ليس هنا محلّ ذكرها - وقد شاعت بينهم بازديادٍ مضطربٍ أوجدت خوفاً عجيماً في العالم الغربي .

ومثلما قسمنا تعدّد الزيجات على ثلاثة أقسام نقسم الطلاق على ثلاثة أنواع :

١ - الطلاق الضروري :

إنّ من تكاملية الإسلام وسُموّ قوانينه ، هو سنّه لقانون الطلاق فهو وإن كان يؤكد أنه عملٌ مبغوضٌ عنده ، لكنّه ضروريٌ مثلما أن الضرورة تقتضي قطع اليد المصابة بالسرطان ، لأنّ بقاءها يؤدّي إلى إصابة جميع أعضاء البدن .

(١) كتاب الحلال والحرام في الإسلام تأليف الشيخ القرضاوي وتعليقه الشيخ حسن الجواهري ص ٣١٦ وفيه مقارنة نافعة عن امتيازات الإسلام عن الأديان الأخرى في أمر الطلاق راجع الصفحة المذكورة وما بعدها في المتن وتعليقه الشيخ الجواهري القيمة .

ولذلك يَرْضَى صاحبها بقطعها على الرغم من أذى القطع ، بل يُقَدِّمُ الأموال لقطعها ، ويشكر الطبيب على ذلك ، لأنه يعلم أن عدم قيامه بذلك يؤدي إلى دمار بدنه بالكامل .

وهذا حال الطلاق الضروري ، فمثلاً يكون حلاً لانعدام التوافق الأخلاقي بين زوجين تعجز كافة أشكال العفو والتضحية وغيرها عن الحيلولة دون طلاقهما ، أو أن يُبْتَلَى رجل متدين بزوجةٍ تفتقد العفة أو تُبْتَلَى مؤمنةٌ بمثل ذلك ، ولا يمكن إصلاحهما ، فما الحل سوى الطلاق وفصل هاتين القطعتين غير المتجانستين ؟ .

فيجب قطع هذه اليد المصابة بالسرطان ، فقانون الطلاق هو صالحٌ في هذه الموارد إسلامياً واجتماعياً .

وقد أقرت المسيحية بميزة الإسلام في سنّ الطلاق - وبالطبع مع القيود المشددة التي فرضها عليه - ، ولو لم يكن فيه ذلك لكان ناقصاً مع رعاية كونه الحل الأخير ولا يبقى سواه ، كما هو حال الأمثلة المتقدمة ، إذ يصبح لا بدّ منه عندما يتعذر إصلاحُ الزوجة غير العفيفة أو الزوج غير العفيف أو الفاسد أو السارق .

وموارد هذا النوع من الطلاق قليلة للغاية ، ولعلّها لا تتجاوز نسبة الواحد بالمائة من حالات الطلاق .

ولو اقتصر الأمر عليه ، لما تجاوزت حالات الطلاق مئة حالة سنوياً في إيران .

وأما ما ترونه من ازدياد حالات الطلاق ، فهو ناشئة عن عوامل أخرى غير ضرورية .

٢ - الطلاق الناشئ عن الأهواء :

وهو مثل تعدد الزيجات الناشئة عن الأهواء الذي تقدم الحديث عنه ، كأن يعشق زوج غير ملتزم (متدين) امرأة ، فيطلق زوجته ، ليتزوجها أو يتزوج ثانية - بدافع الهوى - فيضطر لطلاق الأولى - والعياذ بالله .

والأخطر هو أن تعشق زوجة شخصاً ، ويدفعها الهوى إلى الحصول على الطلاق لتتزوج معشوقها .

وموارد هذا النوع من الطلاق نادرة في مدينة قم فضلاً عن هذا الاجتماع المقدس ، ولكنها كثيرة عند غير المتدينين .

والأمر المهم الذي يجدر أن أنبه عليه الجميع ولا سيما السيدات ، هو العوامل المؤدية لهذا النمط من الطلاق ، فهوناتج من الاختلاط بين النساء والرجال والنظرات الشهوية - سواء صدرت عن الرجل أو المرأة - ومن حديثها غير الضروري مع غير المحارم^(٢) .

وأهم العوامل هو عدم التزام الحجاب الإسلامي .

فعلى اللواتي لا يلتزمه أن يعلمن أنهن يرتكبن ظلماً عظيماً يحشرن بسببه مع أمثال « ريغان و صدام » .

فأي ظلم أفضع من إثارتهم غرائز الشباب العزاب ؟ .

وإيقاعهم في نار الشهوة هو مثل إلقاء الإنسان في النار وإحراقه فيها ، بل إن نار الغريزة الجنسية أشد أحياناً من النار المعروفة .

(٢) وردت الكثير من الأحاديث الشريفة الناهية عن هذه الأمور راجع مثلاً وسائل الشيعة ج ١٤ باب ١٠٤ من المقدمات وما قبله وما بعده وكذلك ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق . .

وأي ظلم أفظع من أن ينظر شاب أعزب إلى الوجه أو الساق المكشوف أو المواضع الحساسة من بدن امرأة لا تلتزم الحجاب الإسلامي ، فيقع في المعصية ؟ .

فإنهم وقوعه في المعصية يقع أيضاً عليها وعلى المرأة التي تتغنى - والعياذ بالله - عندما تدخل دكانه لشراء شيء .

أحياناً يصل انعدام التهذيب ببعض النساء إلى درجة أن تباع إحداهن شرفها من أجل شراء جورب أو قطعة قماش بثمن أرخص قليلاً .

ولا أقصد هنا الزنا ، بل نفس هذا المقدار من تبسُّمها وضحكها في حضور الأجنبي وممازحتها له وتغنىها له ، فهذه درجة من بيع الشرف .

وهذا لا ينحصر بالزنا - والعياذ بالله - بل الزنا مصداقه الأشد ، ومن درجاته الخروج إلى الشارع بجورب يُزيّن ساقها ويفتن الأجنبي .

ومن درجاته أسر البائع بالبسمات والمزاح والكلمات الشهوية .

وعلى مَنْ تفعل ذلك أن تعلم أنها ظالمة كبيرة ، فهي تأتي بالشیطان لهذا الكاسب فيحببها إليه وبنفس المقدار ينقص من حُبّه لزوجته ، فيؤدي ذلك إلى الطلاق أحياناً أو أشكال الجفاء والعقد النفسية وضياع الأولاد ، وكل ذلك بسبب تغنىك بحضرة الكاسب ، فهو ظلم عظيم وإثم كبير .

ومن الأمور التي تؤدي إلى مصيبة كبيرة ، العشق والهوى وهو أسوأ من السرطان سواء كان بين ذكرين أو بين أنثيين أو بين رجل وامرأة (أجنبية) .

وعلينا أن نعرف أن هذا المرض السرطاني مدمر ولو ظهر عند أحد جعله مستعيداً للتخلّي عن كل شيء حتى كرامته .

فعندما نراجع أشعار العشاق نراهم يؤكدون أن أول شيء تجب التضحية به في طريق العشق هو الكرامة .

ونعلم جميعاً أن مصدره هو الغريزة الجنسية .

فاحذروا أن يخدعكم الشيطان ، فمصدره هو هذه الغريزة ، حتى لو كان بين ذكرين أو فتاتين ، حتى لو تستر بعنوان المودة والمحبة والأخوة والحب في الله وحبّ المسلم ، فهذه تبريرات والحب الخالص في الله قليل .

وحقيقة الأمر هو ما بيّنه الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سأله المفضّل عن العشق ، فقال : - « قلوبُ خلت عن ذكر الله فأذاقها الله حبّ غيره » (٣) .

والآخرون عندما يريدون تعريف العشق يصفونه بأنه « مَرَضٌ سودائي » (٤) .

هذا المرض السرطاني يسببه الاختلاطُ والنظراتُ خاصةً وقد أثبت بعض العلماء أن هناك نوعاً من الأشعة في البدن تتركب بالعيون وعندما تدخله تظهر على صورة (نار) العشق .

ولذلك نهى الإسلام عن الطرة الشهوانية ، بل نديب الاجتناب حتى النظرة غير الشهوية للمرأة الأجنبية واجتناب الاختلاط والتحدّث بغير مقدار الضرورة بين الرجال والنساء .

وبعد نزول أكثر من عشر آيات حول الحجاب بعضها تنهى المرأة عن التبرج وإبداء الزينة والقيام بما يجذب انتباه الأجانب .

وبعضها ينهى عن اجتناب التحدّث معهم إلا بمقدار الضرورة .

(٣) سفينة البحار ج ٢ ص ١٩٨ .

(٤) راجع أيضاً المصدر السابق ص ١٩٧ نقل هذا الوصف عن الحكماء في الكتب الطبية ، وأضاف : - « ... فإن المذموم هو العشق الجسماني الحيواني الشهواني والممدوح هو الروحاني الإنساني النفساني والأول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال والثاني يبقى ويستمر أبداً الآباد » .

وبعضها يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر .

بعد ذلك ورد الخطاب القرآني للنبي (صلى الله عليه وآله) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوْجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٥) .

فشخصية وعفة المرأة تُعرف من خلال هذه السلاعة (الحجاب) .

وأحد مصاديق عدم إلحاق الأذى هو أن عدم تحجب المرأة بصورة دقيقة يؤدّي أحياناً إلى وقوع شخصٍ ما في عشقها ، وعندها تقع الفضيحة .

وقد تقع هي نفسها لا سمح الله في العشق - رغم أنها متزوجة - إذا كانت نظراتها شهوية ولا تسيطر على لسانها عند التحدّث مع الآخرين .

وفي هذه الحالة تكون الفضيحة الكبرى .

ولا نخطئ إذا قلنا : إنّها تصبح مصداقاً كاملاً لقوله - تعالى - : ﴿ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٦) .

واستناداً إلى ما تقدّم إذا سألتموني عن علّة موارد هذا النمط من الطلاق « العشقي » ، لأجبت بأنّها من خطي النساء اللواتي لا يلتزم الحجاب - بصورة صحيحة وكاملة - ، واللواتي لا يتبهنّ على أقوالهن وأفعالهن .

فيا أيّها السيدة ، إنك جذابة ، وجاذبيتك هي من القوة بحيث أنّ النبي الأكرم والأئمة الطاهرين (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) نهوا عن النظر إلى أعقاب النساء والسير خلفهن (٧) . فإذا صادفت امرأة تسير أمامك ، فتوقّف حتى تبتعد ، ثم تابع سيرك ، فللمرأة جاذبية .

(٥) سورة الأحزاب / ٥٩ .

(٦) سورة الحج / ١١ .

(٧) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ الباب ١٠٨ من المقدمات ص ١٤٤ .

وإذا تحولت هذه - لا سمح الله إلى عشق ، افتحضت المرأة أيضاً حتى لو لم تكن هي عاشقة .

وفي هذه الحالة تجلب البؤس لها ولذاك الذي عشقها ، ولذا اهتم الإسلام بالأمر غاية الاهتمام ، فنهى الرجل عن الجلوس في محل قامت منه امرأة حتى يبرد ، تجنباً لتداعي أي معنى أو تصور إلى ذهنه .

وإذا وقع القسم الثاني من الطلاق ، فاعلموا أنه ناشئ من هذه الأشكال من العشق والاختلاط والأحاديث والجاذبية ومن عدم التمسك بالحجاب الإسلامي .

فأرجو من النساء الاهتمام بحجابهن لكيلا تدمر إحداهن - لا سمح الله - بيتاً وأسرة بنظرة يوجهها رجل فيجلب على نفسه سُران الدنيا والآخرة .

إنني أعتقد بضرورة عزل النساء عن الرجال في الحافلات ولا سيما في قم^(٨) ، وإذا كان متعذراً تخصيص حافلات مستقلة ، فيُخصص نصف الحافلة للنساء ، والآخر بالرجال ، لكيلا يجلس الرجل أو يقف إلى جانب المرأة - لا سمح الله - فيقع التماس ، فهذا خطير في مثل هذه الأماكن العامة والحافلات المتوسطة وغيرها .

أيتها السيدة ، إنك جوهرة ، والجوهرة الثمينة يجب أن تُحفظ ، وكلما كان حجابها أكمل حُفِظت عن أيدي السراق .

وأخيراً احذروا - ذكوراً وإناثاً - وراقبوا أقوالكم وتعاملكم فيما بينكم .
أقول للزوج : أيها السيد إذا خرجت زوجتك بجورب يُزين ساقها - لا سمح الله - فاعلم أن ذلك يؤدي إلى وقوع أحد في عشقها وعاقبة ذلك معروفة .^(٩)

(٨) هذا النظام معمول به في قم ومعظم المدن الإيرانية المزدحمة .

(٩) راجع باب وجوب الغيرة على الرجال من كتاب وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٧ - ١١٠ .

٣ - الطلاق الناشئ عن العقد :

وهو يشبه تعدد الزوجات بدافع العقد النفسية ، وموارده كثيرة تقرب من الثمانين بالمائة من حالات الطلاق وعوامله هي نفس علل ذلك القسم من تعدد الزوجات ، فالبدية تكون في عدم قيام الزوجة بواجباتها وعدم رعايتها لتلك « الأمور الصغيرة الكبيرة » فيوجد ذلك عقدة لدى الرجل - والعياذ بالله - من حدوث ذلك .

وإنني أحذر منه الأزواج والزوجات ، فإصابة الرجل بذلك تجعله مستعداً للتخلي عن كل التزام تجاه عياله ، فيقولون له : إن الأمر يجلب البؤس لزوجتك وأطفالك .

فيجب : ليحدث ذلك .

فهو الذي كان يريد تقديم كل ما عنده لأطفاله يصبح كارهاً لهم ، والذي يوجد فيه هذه الحالة هي الزوجة .

ونفس الأمر يصدق على الطرف الآخر ، فإذا كان الزوج لا يُراعي تلك « الأمور الصغيرة الكبيرة » ، ويتعامل بجفاف وبخل وخشونة وتشديد في غير محلّه وبكلمات بذئية جارحة مع أسرته ، فإن ذلك يُصيب زوجته بعقدة توصلها إلى طرق ضيقة خطيرة .

ولا تستبعدوا ذلك ، لكونها الآن عفيفة ، فلا تتغير حتى لو أصابها مثل تلك العقد ، لا فعند إصابتها بذلك تُعرض عن قومها وزوجها وأطفالها وكرامتها .

هذا أولاً ، وثانياً عدم مراعاة وضع الزوج في البيت .

فعلى الإخوة أن يعرفوا قيمة تنظيم أوقاتهم اليومية ، وأن من وصل إلى مقام سام ، ففعل قيامه بهذا التنظيم .

وبعض الكبار اهتموا بتنظيم أوقاتهم ، حتى أخضعوا ذهابهم لقضاء الحاجة والوضوء للمنهج التنظيمي هذا ، وكذلك خروجهم من البيت وأوقات تناولهم الطعام ونومهم وسائر شؤونهم ، وتنظيم ذلك هو نجاح كل من حقق إنجازاً علمياً واكتشافاً أو اختراعاً .

ولذلك أوصي أولاً الزوجات والأزواج بتنظيم أوقاتكم ، وثانياً أوصي الأخوة أن يخصصوا ضمن هذا المنهج التنظيمي وقتاً بمتابعة شؤون البيت والزوجة والأطفال ، لكي لا تكون الأسرة على الهامش كأن يشغل الزوج بالكتاب والقرآن والعلم والاختراع ، ولكونه رجل علم يحضر كل اهتمامه بالعلم ، وتصبح جميع الشؤون الأخرى حتى الزوجة في الهامش ، فلا يهتم بوضع عياله ولا يخصص بهم وقتاً .

وهذا سلوك خطير العواقب ، وبعض الكسبة يخرجون في الصباح ويرجعون ليلاً وقد قضوا يومهم في متاعب العمل والتعامل مع الناس ، وعندما يرجعون إلى البيت لا يفكرون سوى بتناول طعام العشاء ، ثم النوم والاستراحة .

هذا إذا لم يأت إلى المنزل بدفتر حساباته لينام معه !! .

إن هذا الوضع خطر جداً ، وقد يؤدي إلى سلب العفيفة عفتها بالكامل ، وقد يكون الوالد نفسه من أهل المسجد والعبادة ، لكنه غير ملتفت إلى أسرته ، فتؤدي غفلته إلى ذهاب بناته وأبنائه إلى مراكز الفساد .

وما ورد بشأن تخصيص ثماني ساعات لطلب المعيشة ومثلها للعبادة لا يعني أن تقضي هذه الساعات الثماني كلها في صلاة الجماعة والمسجد والمحراب دون أن تخصص ساعة منها بالاهتمام بوضع زوجتك ، في حين أن الواجب على الزوج أن يوجه اهتمامه أولاً عند دخوله البيت إليها ، فهي الأقرب حتى إذا سبقها الطفل إليه ، فليضمه إلى أحضانه لكن عينه يجب أن تتوجه إلى

الأم ، ولا تستهينوا بهذه الأمور .

قبل أيام أُعتقلت زوجة قَتَلَتْ أولادها الثلاثة وقد غرست في رأس الثالث سبعَ عشرة إبرةً ، وعندما سألوها عن سبب قيامها بذلك أجابت : - « بِأَنَّ زوجي عندما كان يدخل البيت يتجاهلني ، ويصب اهتمامه على الأطفال ، فأثار فيَّ الحسدَ ، فقررت قتلهم !! » .

وأحياناً تتصل بي زوجة بالهاتف ، وتبكي مثل الشكلى ، وبعد أن تتحدَّث نفهم أن زوجها على مستوى جيّد من الناحية المالية والجنسية ، لكنه يفتقر إلى أمرٍ هو الاهتمامُ بزوجته ، فقد يضعها في هامش حياته ووقته ، في حين أن الأحاديث النبوية تؤكد على الزوج أن يهتم بزوجته ويحادثها ويستمع إلى حديثها عند دخوله البيت وقبل انشغاله بالأمور الأخرى ومفهومٌ أنه لا ينبغي للمرأة التذمُّر والشكوى ولكن لتصرح بمكنونات قلبها ، وعلى الزوج أن يصغي إليها ، ولا يقطع عليها حديثها ، ثم يُسلِّيها ، ويزيل عنها تعبها وفتورها بعطفه ورحمته ، فيعتذر إليها ويشكرها وليخصص نصف ساعة للتحدُّث معها .

وعليك أن تقوم بملاعبة الأطفال ، فأحد الذين يجب أن يقوم بملاعبتهم هو الأب ، وكذلك الأم ، فاهتم بهذا الأمر ، ومع الأسف ، فنحن نتساهل كثيراً في هذه الأمور ونسيء التعامل معها ونكتفي بالتبسم عند ذكرها ، ونتيجةً لهذا التساهل نتلقّى ضرباتٍ عنيفةً .

تقولُ زوجةُ أحدِ السادة وقد انحرف أولادُه : - إنَّ المُقَصَّر هو الأب ، فقد كان منشغلاً بالمطالعة وتلاوة القرآن ، ولم يهتم بهم فأصابتهم العقْدُ النفسِيَّةُ ، وانحرفوا .

لم يكن يسألُ : أين ذهبت ؟ ومن أين أتيت ؟ .

هذا الطالب الديني أو العالم أو ذاك السيد الذي يتوجه فور دخوله المنزل

للمطالعة يرتكب بذلك ظلماً ، ويضيع حقاً .

ولا بركة في علمٍ يُكتسب بتضييع الحقوق والظلم .

أجل عليه أولاً أن يتابع شؤون عياله ، ثم يتوجّه إلى المطالعة بعد ذلك ، وعلى الزوجة أن تكون - بعد انقضاء ساعة أو ساعتين من مطالعته - أن تكون قد تزينت ، ثم تقدّم له بحيوية شيئاً من الفاكهة وإن لم يكن عندهم منها شيء فلتقدّم له ماءً في قدحٍ نظيفٍ وإناءٍ نظيفٍ وتُعدّ السلام عليه ثانيةً وتجلس عنده ، وتُترّل بسماتها تعب المطالعة عنه .

ولا شك بأن تعب سيزول .

أحد الأشخاص - وكان عالماً جليلاً - توفيت زوجته ، فأكثر البكاء عليها ، فقالوا له : أيّها السيّد ، لا ينبغي لك مثل هذا ، فهل تسخط على قدر الله ؟ .

فأجاب : لا ، بل أنا راضٍ به ، ولكن قلبي يتألم لفقداني أنيسي ومهد علمي .

إنّها كانت تأتي لي وأنا في حال المطالعة وعندما يُصيبني التعب منها بقدحٍ من الشاي فتسلي قلبي وتزيل تعبتي ، فأنا مدينٌ لها بما ألفت من الكتب .

ويقول « باستور » : « إنّ اختراعاتي وخدماتي للمجتمع كانت بمساعدة زوجتي التي كانت تزيل التعب عني .

وبناءً على ما تقدّم ، فإنّ انشغال الزوج - في كامل وقته - في المطالعة أو الكسب وعدم اهتمامه بزوجته هو حالة خطيرة تؤدي إلى إصابتها بعقدة نفسية تؤدي إلى الطلاق حيث ينفذ صبرها ولو كانت نجية كريمة صالحة ، فتذهب إلى المحكمة للحصول على الطلاق وإن أدّى ذلك إلى ضباع أطفالها ، إذ

يصبح المهم بالنسبة لها أن ترتاح من هذا الوضع ولو بدمار أولادها .
فهذا القسم من الطلاق ، ناتج من عدم رعاية الزوجة لتلك الأمور
الصغيرة الكبيرة ، فيؤدي ذلك إلى تأزم نفسيّة الزوج فيطلقها ، أو أن يغفل
الزوج عن القيام بواجباته ، ولا يجعل زوجته وأطفاله في صلب حياته ، فيجر
ذلك إلى الطلاق .

وموارد هذا النمط من الطلاق كثيرة تصل نسبتها إلى الثمانين بالمائة ،
ومن عليه أن يكون الزوج سيّء الظنّ بزوجته ، أو تكون هي كذلك .
فإذا تأخر زوجها عشر دقائق أقامت الدنيا ولم تقعد ، وتتهمه بالذهاب
إلى زوجته الثانية !! وما إلى ذلك ، فتدفعه إلى الزواج بالثانية والثالثة .
وهذه الحالة من إساءة الظنّ التي نجدها لدى بعض الزوجات وبعض
الأزواج خطيرة للغاية - خاصة لدى الرجال - وإثمها أيضاً عظيم جداً .

المحاضرة السابعة عشر : =

الفصل السابع

الاحتياجات العائلية

- ١ - الاحتياجات المادية
- ذم البخل
- ٢ - الحاجات الجنسية
- ٣ - الحاجات العاطفية
(الحنان)

الاحتياجات العائلية

الفصل السابع من بحثنا يرتبط بالاحتياجات التي يُلبّيها أحد الزوجين
لِلآخر .

وهذا موضوع مهم في علم النفس كما يجب الاهتمام بالروايات الشريفة
الواردة بشأنه .

١ - الاحتياجات المادية - ذم البخل :

وهو الاحتياج الأول الذي يجب على الزوجين الاهتمام به ، ويجب على
المستطيع أن يُهيئ حياة مرفهة لأسرته ..

وإن كان قادراً على توفيرها وبخل بذلك ، فإنّه لم يؤدِّ حقَّ الأسرة ،
وأصبح مصداقاً للآيات والأحاديث الواردة في ذمَّ البخل ، قال - تعالى - :
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ
لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) .

فلا يتوهم البخلاء الذين لا ينفقون على الأسرة وخارجها على الفقراء أن
في ذلك خيراً لهم ، بل هو شرٌّ .

(١) سورة آل عمران / ١٨٠ .

فنفس المال الذي بخلوا بإنفاقه في سبيل الله سيُصبح طوقاً^(٢) في أعناقهم وما يجدر بنا معرفته هو أن البخيل مدحور عن الحضرة الإلهية .

والبخل هو كسائر الرذائل مذموم عقلاً ، حتى عند البخيل ، وعلامة ذلك أنه يتأذى إذا خوطب بهذه الصفة ، كما أنه من عوامل قتل المودة في الأسرة والمجتمع ، فالذي يبخل على أسرته يفقد بخله احترام زوجته وأطفاله ومودتهم ، وأحياناً يصل بهم الحال إلى تمنّي موته .

فعلى الزوج المستطيع أن يوفر على أسرته الحياة المرفهة أو - كحدّ أقل - المعيشة الضرورية ، أي المأكل والملبس والسكن .

وإذا كان قادراً على تزويجهم فليفعل ، فواجبه أن يُزوِّج أولاده - الذكور والإناث - ويقدم لهم المقدار المتعارف من الجهاز التاثيثي ومصارف الزواج .

والبخل في هذه الموارد يعني عدم توفير احتياجات الأسرة الأمر الذي يُؤدّي إلى إصابة أفرادها بالعقيد النفسية ، ويؤدّي - والعياذ بالله - إلى دفع الزوجة مثلاً إلى السرقة من جيب زوجها في البداية ، ثم من المحال التجارية والأسواق وكذلك يصبح مصير أولاده ، فعليه الحذر من وقوع هذه المفاسد .

كما على الزوجة أن تلبّي الحاجات المادية للزوج من قبيل الطعام وأن تقدّمه في ذلك على نفسها وعلى الأطفال ضمن ترتيب وذوق لطيف يُناسب التي ترعى زوجها .

أمّا الزوجة التي يوجد في بيتها فاكهة أو طعام لا تجعل زوجها يناله ، فهي ليست بخيلة ، بل لئيمة بحسب الرؤية الإسلامية ، لأنّ البخيل هو الذي لا ينفق ماله .

(٢) ورد في الأحاديث الشريفة أنه سيتحول إلى طوق : من نار راجع الروايات الواردة في تفسير الآية في المجلد الأول من تفسير البرهان للمولى البحراني - قدس سره - .

أما اللثيم ، فهو أخبث ، لأنه لا يطيق أن يرى أحداً يأكل من مال الآخر .

ومعلوم أن هناك أشخاصاً يصدونكم عن الإنفاق ، فاللثيم يصدك عن مساعدة أسرة فقيرة ، ويوسوس لك بأن عليك أن توفر من أجل ضمان مستقبل أولادك ، فلماذا كل هذا الإنفاق وأمثال ذلك ؟ .

ولكن الأشد لؤماً هو الذي لا يُطيق أن يرى شخصاً يأكل من أمواله .

وهذا هو حال البعض ، فهو لا ينفق على أحدٍ ويصد الآخرين عن الإنفاق وخدمة الآخرين ، ولا يطيق أن يشاهد أحداً يأكل من كدّه ويعيش مرفهاً ، والزوجة التي لا تهتم بزوجها هي من النوع الثالث أي الأشد لؤماً ، فهي التي لا تجعل زوجها ينال مما يأتي به إلى البيت من فواكه وطعام .

ومثل هذه المرأة اللثيمة يجب أن لا تتوقع المودة والاهتمام بها من زوجها وتعلقه بالبيت .

لقد قلنا في الأحاديث المتقدمة : إن لبعض الرجال طلباتٍ غير متكافئة وحسب المثل الرائج فإن أحدهم لم يأت باللحم ، لكنه يطلب « الكباب » ، ولكن الزوج إذا جاء باللحم مرةً ، فلم ترض زوجته بأن تجعله يطعم منه شيئاً ، وأكلته هي وأطفالها وقدّمت منه للضيوف ، فهذه اللثيمة ستظهر يوم القيامة بصورة حيوانٍ قبيحٍ يُشبه الخنزير الذي يُوصف بهذا النمط من اللؤم بالصورة الثالثة المتقدمة الذكر ، فيقال لها : إن المال كان من زوجك ، وليس منك ، فلماذا لم تطعميه منه ؟ .

ومثل هذه المرأة من الطبيعي أن لا تتوقع مودةً من زوجها ، بل عليها أن تتوقع أن يتعقد منها ولا يحق لها أن تعتب إذا تزوج بثانية .

كما على الزوج المستطيع الذي يبخل على عياله في الإنفاق أن لا يتوقع مودتها وحيويتها ، بل عليه أن يتوقع أن تصبح معقدة نفسياً وسارقة وخائنة .

فعلى كلا الزوجين تلبية الاحتياجات المادية المتقابلة .

أما أن يتم ذلك بصورة كاملة ، فهو موضوع آخر ، فإذا كان الزوج غير قادر على شراء فاكهة لأسرته ، فعلى الزوجة أن لا تطالبه بذلك ، بل ينبغي لها أن لا تظهر له الرغبة في ذلك ولا تجعله يخجل من فقره ، بل تسليه ، فتكسب بذلك قلبه .

كما على الزوج أن لا يطلب ما لا يوجد في البيت ، وإذا استطاع ، فعليه أن يوفر المعيشة الضرورية لعياله ، فتوفرها مقدّم على كل ما عداه .

وصحيح المثل المتداول الذي يقول : - « القنديل الذي يحتاجه البيت مُحَرَّم على المسجد » .

فعيال الرجل مُقدّمون على كل من عداهم .

فقد ورد في الروايات الشريفة أنّ رجلاً - من أصحاب الرسول الأعظم - مات وقد تصدّق بكل ما لديه في سبيل الله فصلّى عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم دفنوه ، ثم أخبروه (عليه السلام) أنّ عياله جِياع ، وكان ثرياً ، لكنّه تصدّق بكل ما لديه قبل موته ، فأخبرهم (صلى الله عليه وآله) أنّهم لو كانوا قد أخبروه بذلك من قبل لما صلّى عليه (٣) .

فعلى الرجال والنساء الانتباه على أن عدم قيامهم بتوفير المعيشة الضرورية مع قدرتهم عليها يوجد خطراً عظيماً للأسرة .

٢ - الحاجات الجنسية :

الحاجة الثانية : هي تلبية الغريزة الجنسية التي تجب تليتها مثلما يجب تلبية الغرائز الأخرى .

(٣) في وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٢٢ . عنه (ص) : - ملعون ملعون من ضيع عياله .

وهذا أمرٌ طبيعي ، وقد أٌضح في المباحث المتقدمة ، فيجب على كل من الزوجين تلبية الحاجة الجنسية للطرف الآخر وإثْمُ التخلُّف عن القيام بذلك عظيم .

روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال : - « المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة ، فلا تزال تُسوِّفه ، حتى ينْعَس زوجها ، فينام فتلك التي لا تزالُ الملائكةُ تَلْعنها حتى يستيقظ زوجها »^(٤) .

فهذه حاجة طبيعية للنساء والرجال ، كما أكَّد (صلى الله عليه وآله) أن الرجل الذي لا يُلبِّي الحاجةَ الجنسيَّة لزوجته يقع عليه إثمٌ إذا وقعت في الحرام بسبب ذلك مثلما تأثم هي^(٥) .

ولوتهاونت الزوجة في مقدمات تلبية الغريزة الجنسيَّة أو في نفس الاستجابة لها ، واقتقد زوجها عَفَّة البصر ، وأخذ يرتكب إثم النظرات المحرَّمة ، فإنَّ إثمَّ عمله يُكْتَبُ في صَحيفة عمل الزوجة أيضاً ، وسترى ذلك مكتوباً في كتابها يوم القيامة فتسأل عن ذلك وهي لم ترتكب نظراتٍ محرَّمة ، فيأتيها الجواب بأنَّ التقصير هو منك ، فكان يجب عليك أن لا تترك زوجك يضطر للوقوع فيها ، وذلك بتلبية حاجته الجنسية سواء على مستوى المقدمات كالترزين أو على صعيد أصل العمل .

ومثل هذا يصدق أيضاً على الزوج إذا قَصَرَ - لا سمح الله - كأن تكون له زوجتان فلا يعدل بينهما ، فإنَّ ذلك عظيم .

وإذا أطلقت التي قصر في حقها آهات الألم ، فقد تؤدِّي آهاتها إلى ما يقصم الظهر ويحرق الجذور .

(٤) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٧ .

(٥) راجع سفينة البحار ج ١ ص ١٨٠ وكذلك وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٧٥ وكذلك ص ١٠٠ ، وفيه عن الصادق (عليه السلام) قال : « مَنْ جمع من النساء ما لا ينكح فزنا منهن فلا إثم عليه » .

٣ - الحاجات العاطفية (الحنان) :

فالإنسان ليس حيواناً ولا شجرةً ولا جماداً ، وإن كان للحيوان أيضاً حاجات عاطفية ، وتلاحظون كيف أنّ الشاة أو القطّة أو الكلبة تداعب رضيعها حين الرضاعة ، فتوفر عليه بذلك احتياجه المادّي باللبن وحاجته المعنوية والعاطفية (للحنان) بمداعبته ومسح بدنه بلسانها أو برأسها .

ونفس هذه المداعبة دليلٌ على أنّ الطبيعة والفطرة تعرفنا أنّا للإنسان هذا الاحتياج العاطفيّ وهو أولى به ، فالحيوان - كالكلب - يدرك أنّ لوليدته حاجاتٍ عاطفيةً إضافةً إلى المادية .

وعلى الإنسان أن يدرك ذلك طبعاً ، والمحبة المتبادلة هي غذاءٌ روحيّ متبادلٌ وهو أسمى من الغذاء المادّي ، والعياذ بالله من أن يكون لدى الرجل أو المرأة نقصٌ في المحبة والحنان .

الإسلام أوصى - بصورة مؤكّدة - بالعطف على الأيتام حتى إنّ القرآن الكريم أخرج الذين يؤذون اليتامى من الإسلام ، وأوضح أنهم لا يعتقدون بالدين ، فقال : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ (٦) .

فالمجتمع الذي لا يرعى اليتامى هو مسلم ظاهري ، وليس حقيقياً ؛ فلماذا كلّ هذا التأكيد في الإسلام لرعاية اليتيم ، حتى إنّنا نلاحظ في الروايات أنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان إذا أتاه يتيماً أجلسه في حجره ، ومسح على رأسه واعتنى به بصورة خاصّة .

وأُمير المؤمنين (عليه السلام) معروفٌ بشدّة اهتمامه باليتامى .

(٦) سورة الماعون / ١ - ٢ .

فهنيئاً لأسر الشهداء الموقرة واعلمي آيتها السيّدة التي استشهدت أو توفي زوجها أن لك أجراً عظيماً على رعايتك يتاماه ، فقد جاء في الأحاديث الشريفة : - « ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس یتيم ترحمها له ، إلاّ كتب الله بكل شعرة مرت يده عليها حسنة » (٧) .

كل هذا الثواب والتأكيدات ترمي إلى تلبية الاحتياج العاطفي للیتيم الذي يفتقد الأب لكي لا يفتقد المحبة ، فتصيبه عقد نفسية بسبب ذلك ، والعياذ بالله من أن يُصاب رجل أو فتى أو فتاة بمثل ذلك ، فهذه حالة خطيرة العواقب ، فصاحبها إذا دخل المجتمع أصبح مجرماً .

وإذا اعتزل فقد الحيوة ، وواضح أن المرأة التي تفقد الحيوية لا تستطيع القيام بواجبات الزوجية والبيت والأطفال ، كما أن الرجل الفاقد للحيوة لا يستطيع أن يكون اجتماعياً ، بل يعتزل المجتمع ، وفقدانهما للمحبة هو سبب لإصابتها بالعقد النفسية .

والطفل يحتاج إلى المحبة ، فعدد من غرائزه تنتقل إلى مرحلة الفعل منذ الأيام الأولى وبعضها يبقى بالقوة أشبه بالنار تحت الرماد أمثال الغريزة الجنسية وغريزة حب المال .

أمّا غريزة الجوع ، فتنقل إلى مرحلة الفعل منذ البداية ، فيحس بالجوع والشبع ويعرف أن عليه أن يتوجه إلى ثدي والدته عندما يجوع ، ونفس الأمر يصدق على غريزة طلب المحبة والعطف والحنان ، فعندما ترضع الأم رضيعها ولو كان عمره شهراً أو شهرين فإن مسحها على رأسه ومداعبتها له هي أهم من نفس اللبن الذي ترضعه له .

ونفس الأمر يصدق على تبسم الأب لطفله .

(٧) كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٢٣٧ .

إذن فأطفالكم بحاجة إلى المحبة والعطف ، وليس منصفاً الأب الذي يهتم بحاجاتهم المادية ، ويتجاهل الحاجات العاطفية فهو أب جاهل .

وبعض الآباء قلما يرون أطفالهم ، لأنهم يخرجون صباحاً للعمل وهم نائمون ويعودون مساءً وقد نام الأطفال أيضاً .

ومثل هؤلاء الأطفال يقعون في خطرٍ عجيب ، إذ على الأب أن يلاعب أطفاله ويجلسهم في حجره ، ويمسح على رؤوسهم بيد المحبة ، فلبسمات الأب قيمة كبيرة لدى الطفل .

وكذلك لدى الزوجة فالإنسان يعشق المحبة والحنان وقد اهتم القرآن الكريم بهذه القضايا الدقيقة ، فأشار إلى أن الله - تبارك وتعالى - قد ربي النبي موسى (عليه السلام) بصورةٍ إعجازيةٍ - وتذكر الأحاديث الشريفة أنه (عليه السلام) وُلد تحت عرش فرعون - في وقتٍ كان فرعون يذبح الأبناء - وتربى في حضنة السيدة آسية (سلام الله عليها) وهي زوجة فرعون ، فقذف الله محبته في قلب فرعون الذي تعامل معه مثل الأب الشفيق ، قال - تعالى - : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٨) .

ولم يكتف بذلك ، بل وضعه لعشرة أعوامٍ تحت تربية نبي الله شعيب ، حتى اكتمل رشدُه وتأهلَ لمرتبة أن يكلمه الله ، وعندما بعثه نبياً جعل له هارون وزيراً ، لينذرا فرعون ، ولكن يحدثانه برأفةٍ ، قال - تعالى - : ﴿ إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (٩) .

هذه الآيات تقول لنا : إن الإنسان مهما كان متعطش للعطف والمحبة لذا لا يجيز الإسلام الشتم أو الإساءة لمشاعر هذا المجرم القاتل المفسد في

(٨) سورة طه / ٣٩ .

(٩) سورة طه / ٤٣ - ٤٤ .

الأرض الذي يحكم الإسلام بإعدامه فلا يحق حتى للذي يُعَدُّ له حبل المشنقة أن يُهينَه . ويستطيع الحاكم الشرعي معاقبته إذا فعل مثل ذلك .

إذن الإنسان - أيّاً كان - متعطش للمحبة والحنان وهذا أول شيء تريده زوجتك منك ويريدُه زوجك منك ، فهو أهمُّ من الحاجات الجنسية والمادية ، وهذا ما يحتاجه أيضاً أولادكم - ذكوراً وإناثاً - .

إذا لم تكن تسلم عند دخولك البيت ، فقابل زوجتك بابتسامة في الأقل ولا تعبس ، فهذا أشدُّ من كلِّ مصيبةٍ ، وبه يوجّه الزوجان أشدَّ الضربات أحدهما للآخر أحياناً ، فمرة يكون الزوج وضيعاً ويضرب زوجته^(١٠) ، وهذا ذنب عظيم تحدثت عنه سابقاً ، ولكن تارة يكون متدينّاً لا يشتمها ولا يضربها ، لكنه يزعل ويعبس ويجلس ومثل هذا الفعل يجعل المرأة تفضّل أن يجلدّها مائة جلدة على أن تنظر إلى وجهه .

وقد تكون الزوجة غير سليطة اللسان ، فلا تشتم ، ولا تستطيع الضرب ، لكنّها لا تكلم زوجها وتزعل وتفقد الحيوية ، وهذا العمل أشدُّ أثراً من مائة جلدة ، كما أن إثمهُ أعظم من مائة جلدة .

ومثل هذا التعامل هو الذي يجلب عليها - لا سمح الله - الضرة .

وقد تضيق المرأة بسبب كلمة واحدة تصدر عن الزوج ، فلا تتصور أن زوجتك ستبقى عفيفة إذا افتقدت المحبة والحنان كما أن فقدان ابنك لذلك يجعلها في معرض الخطر .

ولذا تجب تلبية الاحتياجات العاطفية للأسرة خاصة للسيدات ، فإذا جسّدتم (أيها الأزواج) المودة والعطف تصير الزوجة سيده حقيقية حنوناً .

وإلا فلن ترعى الزوج والأطفال والتي تفعل ذلك فهي ليست سيده

(١٠) راجع وسائل الشريعة ج ١٤ ص ١١٩ حيث ينقل عنه أحاديث تنهى عن ضرب الزوجة .

صالحه ، وعلى الزوجة أن تكون أشدَّ حناناً .
وعلى كلا الزوجين أن يلبيّا احتياجاتِ الأسرةِ للحنانِ والعطفِ فيجعلاً
أجواءَ البيتِ مفعمةً بدفءِ المودّةِ والحنانِ .

المحاضرة الثامنة عشر: =

٤ - الحاجات المعنوية

٤ - الحاجات المعنوية « الروحية » :

حديثنا اليوم عن القسم الرابع من الحاجات وهي المعنوية ، فمثلما تجبُ تلبيةُ حاجاتِ بدن الإنسان ، تجبُ تلبيةُ حاجاتِ رُوحه ، وهنا مكمّن الفرق بين الإنسان والحيوان ، فإنّ للحيوان بُعداً واحداً هو الغرائز والحاجات المادية ، وغايةُ ترقّيه أن تكونَ لديه حاجات عاطفية .

أمّا الإنسان فذو بعدَين : البعد الأول المادي والميول الماديّة ، والثاني الروحي والمعنويات .

وروح الإنسان تنتسب إلى عالم الملكوت ومرتبها المعنوية سامية إلى درجة أن ربّ العالمين نسبها إلى نفسه بالإضافة التشريعية « رُوحِي » حيث قال للملائكة : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(١) .

وهذا البعد غير موجود في الحيوانات ، فبعدُ الميول والغرائز أقوى فيها وتلبيتها أيسر .

فامتياز الإنسان هو في الجانب الروحي ، فهو يحتاج إلى نوعين من التغذية : الأول لسدّ عطش البدن وجوعه وغريزته الجنسية وغيرها ، ودون هذه التغذية يموت البدن .

(١) سورة الحجر / ٢٩ ، وسورة ص / ٧٢ .

والثاني هو غذاء الروح ، ودونه تموت أيضاً .

وخطورة موتها أشد من موت البدن ، فموتها يقود الإنسان إلى جهنم :
 - ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٢) .

فجهنم هي مأوى الذي لا يغذي روحه ، فله عين لكنها لا ترى الحقيقة ، وأذن لا تسمع ولسان لا ينطق بالحق وقلب لا يفقه .
 ومثل هذا أسوأ من الحيوان .

ومثله كدودة القز التي تلف نفسها بخيوطها غافلة عن أن في ذلك موتها ، وأولئك هم الغافلون ، ولو بكى الإنسان - الذي لم يهتم بروحه فماتت - ليله ونهاره على ذلك ، لكان به جديراً ، يقول - تعالى - في آية أشد من السابقة :
 - ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .
 فالذي له عقل ولا يتعقل ، وله فكر ولا يتفكر ، تكون روحه ميتة ، وهو شر الدواب .

ونظير ما تقدم كثير في الآيات القرآنية ، فإذا لم تتغذ الروح ماتت ، وإذا ماتت أصبح وضع صاحبها خطراً جداً .
 ومثلما يمرض جسم الإنسان أحياناً - والمرض صعب عليه ، لأنه يعيقه عن كل شيء كما يقول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) : - « نِعْمَتَانِ مَكْفُورَتَانِ : الأَمْنُ ، والعَافِيَةُ » (٤) .

(٢) سورة الأعراف / ١٧٩ .

(٣) سورة الأنفال / ٢٢ .

(٤) بحار الأنوار ج ٨١ ص ١٧٠ .

فقد تمرض الروح أيضاً ، وإن كان الجسم سالماً أي يمرض القلبُ
يَحَسِبُ التعبيرِ القرآني : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ .

وخطورة هذا المرض شديدة بحيث يجعل صاحبه يتحدّى القرآن والنبيِّ
والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليه وعليهم) ويُفسّر نصوص القرآن حسبما
تقتضي مصلحته ففي بداية سورة آل عمران بعد أن يُبين أن في القرآن محكماً
ومتشابهاً ، يقول : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (٥) .

أو أن يبحثوا عن حديث يُؤوّلونه حسبما يشتهون .

فمرض الروح أشدّ ، لأنّ صاحبه يُحارب القرآن ، ولن يكون نصيبه
سوى الخسران وليس الشفاء ، لأنّه ظالم : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾ (٦) .

إنّ البطيخ والكومثرى مفيدة للغاية ، لكنها تُضرّ المصاب بالقرحة
المعدية ، وتُسبّب له آلاماً شديدة إن لم تسبّب له نزيفاً .

وآيات القرآن مفيدة جداً وبالغة ، لكنها لا تزيد المريض الروحي إلّا
خساراً ، مثلما يفعل الكومثرى مع المصاب بالقرحة المعدية .

إذن فالذي تفتقد روحه التغذية وتموت يصبح مثل الحيوانِ أحاديِّ
البعد ، إلّا أنّه ليس مفيداً مثل الشاة ، وإنّما هو مثل الميكروب السرطاني يصبح
خطراً جداً على المجتمع وعلى نفسه وعلى عياله . ولذا يجب علينا الانتباه
بشدّة لتلبية الاحتياجات الروحية للأسرة ، فيهتم الزوج بالرفي المعنوي
التكاملي لزوجته ، وتهتم هي بتوفير الأرضية اللازمة للتطور المعنوي لزوجها ،

(٥) سورة آل عمران / ٧ .

(٦) سورة الإسراء / ٨٢ .

ويهتمان معاً بتطوير الجانب المعنوي لدى الأطفال .
ولواهتمتا بتربية الجانب الجسمي منهم ، وأغفلا الجانب الروحي ،
فكأنهما يُربيان كلاباً متوحّشةً وميكروباتٍ سرطانيةً للمجتمع .
فما هو غذاء الروح ؟ .

إنّ الصلاة والصوم وتلاوة القرآن والمناجاة مع الله والتهجّد في
الأسحار ، فويل للزوجة التي لا تُصلي أو التي تستخف بصلاتها ، وويل
لأسرتها ، وويل لزوجها إذ يقول - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٧) .

فوقود الناس للنار هي صفاتهم الرذيلة وقلوبهم القاسية ، وعليه فالآية
الكريمة تأمر الرجل بالصلاة والانتباه على أن تكون زوجته مصليةً أيضاً ، وتأمر
الزوجة بالصلاة والانتباه على كون زوجها مصليةً أيضاً .

وعليهما معاً بتلاوة القرآن والدعاء والتهجّد في الأسحار وإقامة الصلاة في
أول وقتها ، فإذا لم يهتمّا بذلك يبدأ موتهم المعنوي التدريجي ، فمثلما يموت
جسم الذي يبقى أياماً دون طعام كذلك تموت روحه إذا بقي أياماً دون غذاءٍ
معنوي ، وهنا هو المحل الذي يصيب العرج أقدام الجميع ! فأمره يختلف
عن تلبية الاحتياجات المادية والعاطفية والجنسية ، إذ من أجله بعث الله
(١٢٤) ألف نبيّ جاءوا بالكتب ودعوا وتحملوا هم وأصياؤهم الأذى والصعاب
من أجل تربية الجانب المعنوي لدى بني الإنسان .

تقرؤون في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) : - « أشهد أنك قد
أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر » .
في يوم عاشوراء وإلى أن حلّ ظهره كان الإمام (عليه السلام) قد فقدَ

(٧) سورة التحريم / ٦ .

الكثير من صحابته ، وعندما دعا أحد الباقيين منهم إلى صلاة الظهر تبسم (سلام الله عليه) ودعا له « جعلك الله من المصلين » .

ورغم أن سهام الأعداء كانت تمطرهم ، أقاموا الصلاة وسط الميدان .

فالعباد بالله من البيت الذي يخلو من الصلاة ومن التربية المعنوية ، فهو مليء بالميكروبات والحيوانات المتوحشة ، وليس بني الإنسان ، وإن كان من فيه ذوي ظواهر حسنة وكان منزلهم مرتباً للغاية ظاهرياً ولباسهم جيداً ، فإنهم في الحقيقة حيوانات متوحشة وسيصلون إلى مضائق خطيرة والعباد بالله ، يقول - عز اسمه - : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٨) .

والغي هنا هو : الضلال ، و« سوف » هي التحقيقية لفةً يعني أنهم سيضلون حتماً ، والذي ينحرف عن الطريق المستقيم ، تكون عاقبته جهنم ومحله إحدى حفريها واسمها « غي » كما ورد في الأحاديث الشريفة .

فإذا ضيعت الصلاة - كأن تصلي ابتكم ولكن في آخر وقتها ففي ذلك خطرٌ أحذرُكم منه ، فهي تسير إلى الضلال ويدُ اللطف الإلهي مرفوعة عنها .

وإذا رفعت هذه الرعاية الإلهية وقع الإنسان في أشكال فطبعة من الضلال ، فمثلاً ينقل الفخر الرازي في تفسيره لسورة العصر رواية تقشع منها الجلود قائلاً : « روي أن امرأة كانت تصيح في سبك المدينة ، وتقول : - دُلُونِي عَلَى النَّبِيِّ (ص) فَرَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَسَأَلَهَا : ماذا حدث ؟ قالت : يا رسول الله ، إن زوجي غاب عني ، فزيت فجاءني ولدٌ من الزنا فألقيت الولد في دن من الخل ، حتى مات ، ثم بعنا ذلك الخل ، فهل لي من توبة ؟ » .

فقال (ع) : أما الزنا ، فعليك الرجم .

(٨) سورة مريم / ٥٩ .

وَأَمَّا قَتْلُ الْوَلَدِ ، فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ .
وَأَمَّا بَيْعُ الْخَلِّ فَقَدْ ارْتَكَبْتَ (ذَنْباً) كَبِيراً ، لَكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَرَكْتَ صَلَاةَ
الْعَصْرِ » (٩) .

وَكَمْ هُوَ ذَنْبٌ عَظِيمٌ ! .
وَحَقّاً أَنَّ يَدَ الرِّعَايَةِ إِذَا رُفِعَتْ عَنِ الْإِنْسَانِ تَهَاوِي إِلَى الضَّلَالِ الْبَعِيدِ ! .
وَالْمُرَادُ هُنَا هُوَ الْجُمْلَةُ الْآخِرَةُ مِنْ جَوَابِهِ (ص) ، فَهَذَا الْبُؤْسُ الَّذِي
انْصَبَّ عَلَيْهَا وَزَوَالَ الرِّعَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَنْهَا جَاءَ بِسَبَبِ تَرْكِهَا لِلصَّلَاةِ وَاسْتِخْفَافِهَا بِهَا
فَاللَّهُ لَا يَسْمَحُ بِوُصُولِ الْإِنْسَانِ إِلَى هَذَا الْحَالِ إِذَا كَانَ يَقِيمُ صَلَاتَهُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا
بِصُورَةٍ مُنْتَظِمَةٍ ، بَلْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُعِينُهُ .

أَعْزَائِي - الْفَتَيَانِ وَالْفَتَيَاتِ - ، إِذَا أَرَدْتُمْ السَّعَادَةَ وَالتَّوْفِيقَ ، فَاهْتَمُّوا
بِالصَّلَاةِ ، وَأَقِيمُوهَا فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا جَمَاعَةً وَأَقْرَنُوهَا بِالتَّعْقِيَّاتِ ، وَاحْرَصُوا عَلَى
التَّادِبِ وَالْخُشُوعِ فِيهَا ، لِتَخْصَصَ الْفَتَيَاتُ لَهَا سَجَادَةً وَمُلَاءَةً مُنَاسِبَةً .
إِنَّ الْأُسْرَةَ الَّتِي تَفْتَقِدُ تَلْبِيَةَ الْاِحْتِيَاجَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، يَصْبَحُ حَالُهَا خَطِيراً .
وَهَكَذَا حَالُ الرُّوحِ الْمَرِيضَةِ ، وَالَّذِي يُمَرِّضُهَا هُوَ الذَّنْبُ .

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَطْلُقُ تَارَةً عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ وَصَفَ الْمَرَضَ ، كَقَوْلِهِ ﴿ فِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ (١٠) ، وَتَارَةً وَصَفَ الزَّيْغَ ، كَقَوْلِهِ : - ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ ﴾ (١١) .

وَأُخْرَى وَصَفَ الرُّيْنَ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١٢) .
وَلِجَمِيعِهَا مَعْنَى وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَنَّ الذَّنْبَ يُسَوِّدُ الْقَلْبَ ، وَيَجْعَلُهُ مَرِيضاً

(٩) التفسير الكبير للشيخ الرازي ج ٣٢ ص ٨٧ .

(١٠) سورة البقرة / ١٠ .

(١١) سورة آل عمران / ٧ .

(١٢) سورة المطففين / ١٤ .

صَدِيداً . وَإِذَا مَرِضَ الْقَلْبُ ، فَإِنَّ مَصِيبَتَهُ الْأُولَى هِيَ عَدَمُ الْإِحْسَاسِ بِلَذَّةِ الْعِبَادَةِ ، بَلْ يَلْتَذُّ بِالْمَعْصِيَةِ .

وَإِذَا كَانَ بَيْنَنَا مَنْ يَسْتَثْقِلُ الصَّلَاةَ ، وَلَا يَلْتَذُّ بِهَا ، بَلْ يَلْتَذُّ بِالنَّظَرَاتِ الشَّهْوِيَّةِ وَالْمَعْصِيَةِ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ رُوحَهُ مَرِيضَةٌ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُعَالِجَهَا .

فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ اسْوَدَّ قَلْبُهُ ، وَعِنْدَهَا فَالْوَيْلُ لَهُ .

وَكَمَا يُؤَكِّدُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَكُونُ سَوَادُ الْقَلْبِ قَلِيلاً ، وَتَارَةً يَشْمَلُ نِصْفَ الْقَلْبِ ، وَتَارَةً يَسْتَحُوذُ عَلَيْهِ كُلَّهُ ، وَعِنْدَهَا لَا يَفْلَحُ أَبَداً كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَام) (١٣) : يَقُولُ - تَعَالَى - : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١٤) .

طَوْبَى لِلْقَلْبِ الْمَتَوَّرِ بَارْتِبَاطِهِ بِاللَّهِ ، وَطَوْبَى لِلْقَلْبِ الَّذِي نَوَّرَتْهُ الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ .

وَوَيْلٌ لِلْقَلْبِ الْمُسَوَّدِّ الَّذِي جَعَلَتْهُ الذُّنُوبُ قَاسِيًا مِثْلَ الصَّخْرَةِ ، فَاحْذَرُوا قَسَاوَةَ الْقُلُوبِ وَالذُّنُوبِ الَّتِي تَسْبِيهَا ، فَالذُّنْبُ - وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا - مُؤَثِّرٌ فِي إِيجَادِ الْقِسْوَةِ لِلْقَلْبِ ، وَلِذَا يَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَام) : « إِذَا أَذْنَبَ الرَّجُلُ خَرَجَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِنْ تَابَ آمَحَتْ .

وَإِنْ زَادَ زَادَتْ ، حَتَّى تَغْلِبَ عَلَى قَلْبِهِ ، فَلَا يُفْلَحُ بَعْدَهَا أَبَداً » (١٥) .

وَتَعْلَمُونَ - وَفَقْ هَذِهِ النُّظْرَةُ الْقُرْآنِيَّةُ - مَصِيرَ الْبَيْتِ الَّذِي يعلو فِيهِ الْغِنَاءُ وَعَاقِبَةُ الشَّابِّ الَّذِي تَمَلُّ أُذُنِيهِ أَصْوَاتُ الْغِنَاءِ وَعَاقِبَةُ الزَّوْجَيْنِ اللَّذَيْنِ يَتَحَادَثَانِ بِالْغَيْبَةِ وَالْبُهْتَانِ وَالشَّائِعَاتِ .

(١٣) سَيَأْتِي كَامِلُ الْحَدِيثِ لَاحِقًا .

(١٤) سُورَةُ الزُّمَرِ / ٢٢ .

(١٥) أَصُولُ الْكَافِي ج ٢ بَابُ الذُّنُوبِ الْحَدِيثُ ١٣ .

فهذه الأمور تُسودُّ القلبَ وَكُلُّ منهما ظالم للآخر . وعاقبة القلب إذا اسودَّ واستحوذَ عليه الحرام معلومة ، فضررُ الذنب عظيم يقول الإمام الصادق : - « إن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم »^(١٦) وأخطرُ من الذنب الصفات الرذيلة الموجودة منها فينا جميعاً ، يصعب استئصالها بسرعة ، إذ يجتهد الإنسان عشرين عاماً في المجاهدة الشديدة المتواصلة لبناء نفسه وتهذيبها ، حتى يستطيع أن يقطع جذور شجرة الرذيلة من القلب .

ويتطلب الأمر عشرين أو ثلاثين عاماً من المجاهدات الشاقة الدؤوب ، لكي يغرس محلها شجرة الفضيلة وينمّيها .

ولا يستطيع أحد أن يقول : إنه خالٍ من الصفات الرذيلة تماماً .

فواجب الجميع مكافحتها وعدم السماح بهيجانها فإنها إذا هاجت تدمر القلب مثلما يدمر السيل العمران ، تدمر معنويته بصورة كاملة ، فهي أشد من النار الموقدة المتأججة ، وليس النار المعتادة التي يمكنكم إطفائها بسهولة .

أما إذا تأججت وأحاطت بكل البيت ، فيصعب إطفائها .

وهكذا حال الصفة الرذيلة فإذا تأججت أصبحت كالسيل أو النار الكبيرة المتأججة التي تصبح السيطرة عليها صعبة للغاية .

فلا تسمحوا بتهييجها وتأججها فيكم ، اتقوها وحرّضوا أولادكم على مجاهدتها منذ البداية .

إن على الزوج أن يوضح لزوجته (إذا ظهر منها حسد) ، بلسان طيب ودون انفعال أن الحسد قبيح جداً ، فهو الذي أدّى إلى وقوع حرب الجمل ، فعندما أخبروها بمقتل عثمان حمّد الله على مقتل « نعل » ، ولكنها عندما أخبروها بانتخاب الإمام عليٍّ للخلافة تمت أن تكون السماء قد أطبقت عليها

(١٦) المصدر السابق الحديث ١٦ .

ولا تسمع هذا الخبر !! .

فكان الحسدُ العاملَ الذي أدَّى إلى وقوع حربِ الجملِ ، وسبَّبت « الحسود » مقتلَ عشرين ألفاً فيها حتى أُخمدت نارُ حَسَدِها (١٧) .

وعلى الزوجة أن تنصح لزوجها (إذا وجدت فيه حرصاً على المال) ، وتقول له : إنك بعبادةِ المالِ والرئاسةِ تشنُّ « حربَ الجملِ » على عليٍّ (عليه السلام) ، وأنت تعرف من هو علي ، وهو الذي كان يعرفه طلحة والزبير ، فهما قد شاهداه يتربى في حجرٍ ورعايةِ النبيِّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) وعرفاً أن أكثرَ من مئةِ آيةٍ من القرآنِ قد نزلت في حقه (عليه السلام) لكنهما كانا يريدانِ المالَ (بصورةٍ غير مشروعة) .

وهذا ما لا يفعله أميرُ المؤمنين ، كانا يطلبانِ الرئاسةَ ، ولم يكن (عليه السلام) يَراهما أهلاً لها ، لذلك تولَّوا عنه وتآمروا عليه ، وسبَّبوا حربَ الجملِ التي أنزلت على المسلمين من المصائبِ ما أنزلت . إذا سئِلْتُم من سبَّبَ حربَ الجملِ ، فقولوا : - الحسدُ وعبادةُ المالِ والرئاسةِ .

ابنُ مُلْجَمٍ قَتَلَ عَلِيًّا « قربةً إلى الله » !! .
ولو سألوكم من قتلَ عَلِيًّا ، فقولوا : - المُعَانِد ، وإلَّا ، فليس عليٌّ بالشخصِ الذي يجهله أحد ، وابنُ مُلْجَمٍ سَمِعَ أَنَّ النبيَّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال لعلي : - « يا عليُّ أنتَ وشيعتكُ هُمُ الفائزون » ، « يا عليُّ أنتَ وشيعتكُ الغالبون » .

وابنُ مُلْجَمٍ سَمِعَ أَنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وآله) قال لِعليٍّ : - « يا

(١٧) راجع في هذا المجال كتاب الإيضاح للفضل بن شاذان والتعليقات والتهميشات التي أوردها عليه المحدث الأر موي وكذلك سفينة البحار للمحدث القمي ج ٢ مادة (عيش) .

عليّ لو وازن إيمانك إيمان أهل السموات والأرض ، ليزيد إيمانك إيمانهم » .

أيتها الزوجة وأيتها الزوج ، اجتنبا العناد وإلا أصبحتما مثل ابن ملجم ، وعليكما بالنقد البناء - وأهم منه تقبل النقد - فدونه تكون عاقبتكما عدم سماع قول أحد سوى وسوسة الهوى والأهواء وعدم إعطاء أية قيمة سوى لوساوس الشيطان .

ولدي وصية - في آخر الحديث - للسيدات والسادة ، وهي أن اهتموا بتوفير الاحتياجات المعنوية للأسرة .

بعض الأزواج يهتمون بتوفير الاحتياجات المادية للعيال - ولو عن الطريق الحرام والعياذ بالله - ولكن هؤلاء الحمقى لا يهتمون بكون أولادهم لا يصلون ، يتحمل أحدهم كل تلك المشاق لجعل عياله في رفاة ، لكنه لا يهتم بحاجاتهم العاطفية ، فتصبح زوجته عدوته لفقدانها الحنان ، ولا يهتم بحاجاتهم المعنوية فتتعدم المعنويات في بيته ، ويصبح سجيناً مظلماً ومظلماً ومرعباً ومرعباً يقول - تعالى - : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ (١٨) .

المحاضرة التاسعة عشر : =

الفصل الثامن تدخلات الوالدين

تدخلات الوالدين

الفصل الثامن من بحثنا هو عن تدخلات الوالدين في شؤون الأولاد - ذكوراً وإناثاً - وهو موضوع مهم أرجو من الآباء والأمهات الالتفات إليه بدقة ، فكثير من الاختلافات ناشئة عن هذه التدخلات في غير مواقعها ، بل إن الكثير من حالات الافتراق ناشئة من أشكال الاهتمام في غير مواقعها ، أو من الأغراض غير اللائقة فعلينا اجتنابها إذا أردنا أن يعيش أولادنا وبناتنا في سعادة ، ولكن مع الأسف نرى أن هذا المرض الاجتماعي قد شاع بكثرة ، حتى بين المتدينين وأهل المساجد الذين يضرون أولادهم عن علم أو جهل .

علينا أن نتعلم من الحيوانات كيف تتكفل بالقيام بشؤون أولادها ماداموا في حاجة للمتكفل ، فإذا استغنوا عن ذلك ، وأصبحوا قادرين على الحياة المستقلة ، تركتهم الأم ووكلتهم إلى أنفسهم ، لبدأوا حياة مستقلة ، حتى إن بعض الطيور تجلب الحبوب لصغارها لعدة أيام أو عدة أشهر ، وتضعها في أفواههم .

وعندما يصبحون قادرين على الطيران تعلمهم ذلك ، حتى لو أخذوا يسقطون مرات ومرات تستمر في تعليمهم فإذا تعلموا لا تسمح لهم بعد ذلك بالعودة إلى الأعشاش ، وترون الشاة عندما تلد تعتني بولدها بعلاقة خاصة ، بالإضافة إلى إرضاعه تحيطه بحنانها شهراً أو شهرين ، حتى إذا استطاع

الاعتلاف ، وأصبح قادراً على إدارة شؤونه ، ظهرت عزلة استقلالية بينهما .

وهذه الظاهرة موجودة لدى جميع أنواع الحيوانات ، وهي موجودة فينا أيضاً (بدوافع طبيعية) ، لكننا لا نستفيد منها .

علينا نحن أن نربي البنت ، ونوفر لها ما نستطيعه من احتياجاتها المادية والمعنوية والحنان ، ونربيها تربية إسلامية صحيحة ، حتى إذا حان زواجها وزوجناها ، لنتذهب إلى بيت الزوجية ، وتبدأ حياة مستقلة .

وبعد ذلك لا ينبغي للوالدين التدخل في شؤونها ، ولا ينبغي للأم أن تظهر الشفقة غير المناسبة عليها ، حتى لو نشب نزاع بينها وبين زوجها فينبغي للأم أن لا تدافع عن بنتها ، ولو كان التقصير من الزوج .

بل ينبغي لها أن تنضم إلى جانبها .

وهكذا يجب أن يفعل الأب ؛ فأحد موارد الدفاع المضرة هو هذا المورد ، فهو هنا دفاع عن البنت ، لكنه لا يسمح لها بعيش حياة مستقلة وتفكر بصورة مستقلة ، فتعلم الأم ابنتها ما تقول وتجعلها تابعة لها ، وهذه جريمة وخيانة قد تجر إلى الطلاق ، وإلا فإلى توجيه ضربات عنيفة للمودة بينهما تؤدي إلى تدمير الأسرة .

ونحن علينا أن نربي ابننا تربية إسلامية ، ونوفر عليه احتياجاته المادية والمعنوية والعاطفية ، ونقدّمه للمجتمع على وفق الصفات التي يرضاها الإسلام ، فإذا بلغ الرشد ، وبلغ سن الزواج ، فواجب والديه تزويجه ، ليبدأ حياة مستقلة .

وعندها يمتنعان عن التدخل في شؤونه - مثلما ترك الدجاجة وليدها وشأنه بعدما يستطيع الاعتماد على نفسه - ولا يبديان شفقة عليه في غير محلها تعجابه .

وإذا وقع نزاع بينه وبين زوجته ، فعليهما اتخاذ جانب الزوجة . حتى لو

كان التقصيرُ مِنْهَا - وبالطبع عليهما أن يوجَّها النصَحَ اللازمَ لها ، وينبِّهاها إلى
ممكن تقصيرها ، ويعلمها الموقفَ الصحيحَ ويشفقا عليها لا على وَلَدَيْهَا .

وليحذرا من صبِّ البنزينِ على النارِ - والعياذُ بالله - فواجبُهما أن يخدمها
ويتعاملتا مع هذا النزاعِ مثلَ تعاملِ « العمدة » .

ومع الأسف ، فإنَّ الأمهاتِ خصوصاً والآباء أحياناً يدافعان عن ابنيهما ،
ويتدخلان في شؤونهما ولا يدعانه يعيش حياةً مستقلةً .

فالأمُّ تريد أن ينفذ كلُّ ما تقوله حتى لو أسرتُه بالطلاق ، لكي ترضى ،
والأبُّ يريد من الابن أن يكونَ خادماً وتابعاً له وهذا خطأ يضرُّ بالمودَّة ، ويدمر
البيت ويثير اختلافاتٍ شديدةً فيه .

وإذا أدَّت هذه التدخلات - لا سمح الله - إلى النسيمةِ فإثمها عظيم جداً ،
يقول - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ (١) .

فلمثير الفتنة شكلان من العذاب كلاهما أليم : أحدهما يأتيه في الدنيا
فَتَطْوِقُهُ الفتنة التي أثارها ، بمعنى أن على الأم التي تُثير فتنةً على كُتَيْبِهَا أن تعلم
أن فتنةً ستُثار على ابنتها أيضاً ، وهذا يؤكده القرآن بشأنِ والدَةِ الزوجة التي تُثير
فتنةً على زوجِ ابنتها .

والعذاب الثاني هو يوم القيامة إذ ستطوقه نارُ الفتنة في جهنم .

وفي مكانٍ آخر يتعامل القرآن الكريم بصورة أشدَّ مع الفتنة ، فيقول :
﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٢) .

ولا تصوروا أن ذنبَ القتلِ قليل بل : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ

(١) سورة البروج / ١٠ .

(٢) سورة البقرة / ١٩١ .

فَسَادَ فِي الْأَرْضِ فَكَانَ قَتْلُ النَّاسِ جَمِيعاً ﴿٣﴾ ، وعليه فإثم إثارة الفتنة والكدورة بين الزوجين أشد من إثم القتل ، يروى أن رجلاً جاء إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ، وكان قد فرق بين ابنه وزوجته ، فأخبره الإمام (عليه السلام) إن إثم هذا العمل أعظم من إثم قيامه بقتل شخصين وقطعه لعروقهما وإخراجهما من بدنيهما^(٤) .

هذه الرواية الشريفة تُبين لنا أنَّ النميمة وبَثُّ البغضاء والكدورة أشد من القتل المقترن بالتعذيب ، فإثم القتل عظيم وأعظم منه تقطيع الشخص حتى يموت ، فيقرن القتل بالتعذيب .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَظْهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُورَةِ كَلْبٍ مَتَوَحِّشٍ ، واعلموا أنَّ إثارة الفرقة ، والنميمة والافتراء أعظم من هذا الذنب .

وهذا ما تفعله بعض الأمهات لإسقاط شخصية الكنة من عين زوجها بأشكال التدخل في شؤونها والنميمة والافتراء وتوجيه الاتهامات بالسستن الجارحة للزوجة .

فإذا سقطت من عين زوجها يظهر الأثر الأول لذلك في مصيبة إصابة الأولاد بالعقد والأمراض النفسية ، فلا يطيب بعدها عيش لابنك أنت ، وستبتلين أنت أيضاً بذلك إضافة إلى أن عليك أن تتحملي عذاب جهنم في الآخرة .

والنميمة والبهتان والكلمات الجارحة هي من نتائج التدخل في غير مواقعه .

أحياناً نرى الأم يبلغ بها الجهل حدَّ تعييرها لصهرها الفقير بوضع صهرها

(٣) سورة المائدة / ٣٢ .

(٤) لم نثر على متن الرواية في المصادر التي بين أيدينا .

الشرّي المتدين . ولا تفكر بالآثار التي يخلفها عملها القبيح .
 كما نرى أحياناً الأب يُميز في التعامل بين صهره هذا لكونه جديداً
 وصهره الآخر لكونه قديماً .
 وهما لا يعلمان شدة سوء الآثار التي تتركها هذه التصرفات على
 ابنتيهما !! .

وأحياناً تطلق والدّة الزوج كلمات جارحة على كُتبتها تحدث جروحاً
 عميقة لديها تُلازمها إلى اللحد كما يقول المثل المتداول .
 اجتنبوا الكلمات اللاسعة ، فإنّها تتمثل يوم القيامة بهيئة عقارب
 تلسعكم .

عار على أم الزوج أن تطلق كلمات جارحة على كُتتها . وعار على أم
 الزوجة أن تلدغ من أجل أمور دنيوية بكلماتها صهرها في حين أنّ واجبها أن
 تُحبّه أكثر من ولدها . وقبيح للصهر أن يتعامل بانفعال وروح عداوية مع والذي
 زوجته في حين أنّ واجبها أن يتعامل معهما بمودة مثل تعامله مع والديه .

ولماذا يتعامل معهما تعامله مع العدو القاتل ؟ ! .
 أمن أجل جهاز الزواج الذي قدّمه متواضعاً ؟ ! تعساً لهذا الصهر ولطريقة
 تفكيره .

أليس قبيحاً للكنّة - التي يجب أن تودّ حمايتها مثلما تودّ والدتها ، فهي
 التي ربّت لها زوجها حتى كبر ، فقدّمته لها - أن تعادي حمايتها ؟ ! كما أنّ عليها
 أن تودّ والد زوجها مثلما تودّ والدّها ، فهو الذي تحمل المشاق في تربية هذا
 الولد حتى كبر ، وقدّمه زوجاً لها ، فهل يجدر بها أن تلسعه بكلمات جارحة
 أشدّ من لسعات العقرب ولا تطيق أن تراه ؟ ! .

يقولون - في المثل - إنّ بعيراً أدخل رأسه في عُشّ دجاجة ، وطلب منها

السماح له بأن يدخل العش لبرودة الطقس ، وقبل أن تجيئه أخرج رأسه من العش بسرعة ، فهدمه فلم يترك ملجأً لا لنفسه ولا للدجاجة . ومثل هذا تفعله بعض العرائس ، فهي تدخل بيت الزوجية بروح تسلطية تريد الاستيلاء على الزوج فلا تترك مكاناً لديه لوالديه ، وهذا عمل أحق للغاية وذنب يتنافى مع الروح الإنسانية .

أوصي الأزواج والزوجات وآباءهم وأمهاتهم بالتعامل فيما بينهم بالرحمة ، فبذلك تكون بيوتكم محال رحمة الله في الدنيا ، ويكون مقامكم في الآخرة في الجنة تجلسون متقابلين قولكم فيها - أزواجاً وزوجات وحموات وكنات - سلاماً سلاماً .

أما إذا اختلفتم بسبب الأمور المادية أو وجه الزوج كلمات جارحة - لا سمح الله - لزوجته بسبب عدم امتلاكها الجهاز التآثيثي أو بسبب قلة ، أو أساءت الأم إلى مشاعر صهرها بسبب فقره وعدم استطاعته العمل وإدارة المنزل بصورة جيدة ، أو غيرته بغنى الآخرين أو فعلت زوجته مثل ذلك .

فاعلموا أنكم ستذهبون إلى جهنم بعد القيامة حيث يكون حالكم مثل ما يصفه القرآن : - ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (٥) .

تدخل الزوجة جهنم ، فيلعنها زوجها والدة وهي تلعن زوجها .
والدتها تدخل ، فتلعن بنتها وتقول لها : أنت التي جعلتني من أهل النار ، فتجيبها بمثل قولها : فالقرآن يحكي أنهم عندما يجتمعون في جهنم يلقي كل منهم مسؤولية هذه العاقبة على الآخرين ، فيقول القرآن : ﴿قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ (٦) فكل منكم ساهم في إدخال الآخر إلى جهنم .

(٥) سورة الأعراف / ٣٨ .

(٦) سورة الأعراف / ٣٨ .

لماذا نختلف في بيوتنا ؟ ! .

إنني أوصي الزوجة بأن أيتها السيدة كوني وفيّة وذات حياةٍ مُستقلّة .
وأقول للأزواجِ مثل ذلك ، أيها السيد احذّر ولا تصغي لغير المناسبِ والصالحِ
من كلامِ والدَيْك وكن وفيّاً وعشّ حياةً مستقلة .

وأقول للسيدات خاصةً ، إذا كانت الزوجة وفيّة ، فلن تستطيع والدتها
التدخل في حياتها وتدميرها .

أمّا إذا فقدتم الاستقلالَ وكانَ لأقوالِ الآخرينَ تأثيراتٌ في شؤونكم ،
فقد انهدمت حياتكم الزوجية منذ الأيام الأولى . وقد يُؤدّي الأمرُ إلى الطلاقِ ،
فكثيرٌ من حالاتِ الطلاقِ اُطلعتُ عليها ، وعندما ندرسها نرى التقصيرَ من
الحماة أو أمّ الزوجة أو من جهل الآباءِ ، فهم بدلاً من التعاملِ على وفقِ طريقةِ
« العمدة » الإصلاحية ، ومن أن يدافع والد الزوج عن كنهما ويدافع والد
الزوجة عن صهرهما ، أي : يُصلحاً بينَ بنتهما وزوجها ، إذا وقع نزاعٌ صغيرٌ
بينهما . بدلاً من ذلك يعمدان إلى تأجيجِ النزاعِ .

وأحدُ الأعمالِ القبيحةِ هي التخاصم والتهاجر بين الزوجين .

فممن تغتاظين أيتها السيدة ؟ .

هل ينبغي هجران الزوج ؟ ! .

المرأة لا تنفصل عن بيتها وحياتها ، فُقري في بيتكِ ، فإنَّهُ لا يَسْعُكِ
غَيْرُهُ . هذا ما يقوله الوالدان العاقلان لبنتهما ، إذا تركت بيتها وجاءت إليهما
فيأمرانها بالرجوع إلى بيتها ويرجعانها إليه باعتذارٍ من انفعالها الذي أدّى إلى
ارتكابها خطأ ترك بيتها ، فينتهي النزاع بهذه الصورة ، حتى لو كان الصهرُ
مسيئاً . فإنّ مثل هذا الموقف من والدي زوجته يجعله يتراجع .

وعندما ترى الزوجة حماةً تُدافع عنها وتجنّ عليها وهكذا يفعل والد
زوجها فمن المؤكد أن تنبعث فيها المودة ويصلح حالها مهما كانت سيئة .

نجد بعض الأزواج عندما يرجع أحدهم متعباً بعد انتهاء عمله اليومي إلى البيت والأسرة التي هي سكنٌ له - حسبما يريد القرآن الكريم - ليُزيل التعب عن نفسه ويسكن إلى زوجته ، لكنه يرى بدلاً من ذلك بداية المشاق ، فإذا شاهدته زوجته وحيداً جلست إليه مثل الوسواس الخناس تُحدّثه بأحاديث كلها وسوسة مستمرة أي غيبة مستمرة وافتراءات متتالية ، مثل أن تقدح والدته في غيبته بأنها قالت كيت وكيت .

ونفس الشيء تفعله والدته إذا رآته وحيداً ، فتبدأ حديثها بأن زوجتك ليست جيدة ، ويجب أن تختار غيرها ، فالحياة (معها) لا تُطاق ، لأنها لا تفر في بيتها .

ويستمر الحديث متصلاً غيبةً وبهتاناً فيزداد هذا البائس المتعبُ بُساً وتعباً .

فهل تعرفون عظمة هذا الذنب ؟ !

خطب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) : - يوماً فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال : - « إن الدرهم يُصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من سِتِّ وثلاثين زنيةً يزنيها الرجل .

وإن أدنى الربا عرض الرجل المسلم » (٧) .

ولا تتصوروا أن إثم الزنا صغير ، فالزاني إذا مات - دون توبة - خرجت من عورته في جهنم رائحةٌ تنتهت يتأذى منها أهل النار الذين يستغيثون منها .

وكذلك حال الزانية (٨) ورغم ذلك فأكل درهم واحدٍ من الربا أشد من سِتِّ وثلاثين زنيةً .

(٧) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٣٣ .

(٨) ورد ذلك في العديد من الأحاديث الشريفة نظير المروي في ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للشيخ الصدوق ص ٣١٢ .

وأشدُّ مِنْهُ الغيبةُ وانتهاكُ حرمةِ المسلمِ كما يؤكدُ النبي الأكرمُ (صلى الله عليه وآله) في الحديثِ المتقدمِ ، أي أشدُّ من ذلك أن تنتهكي حرمةَ كَتِّيكِ وتغتَابيها وتفتري عليها .

فإنَّ البهتانَ عظيمٌ ، إذ تذكُرُ الرواياتُ أنَّ الذي يرتكبه يحبسُ في القيامةِ في قيعٍ ودمٍ خمسينَ ألفَ سنةٍ ، حتى ينتهي حسابُ الخلائقِ ، ثم يذهبُ بهذا التل من القيعِ والدمِ إلى جهنمِ^(٩) .

فلا تسقطوا في هذا الذنبِ العظيمِ ولا تجسَّسُوا ولا يغتب بعضكم بعضاً - خاصة الكنات والحموات .

ويصل الخبثُ بالحماةِ أحياناً إلى حدِّ قيامها بفتحِ حقيبةِ كَتِّيكِها في غيابها علَّها تجد شيئاً تشهرها به .

وهذا ذنبٌ عظيمٌ حتَّى إنَّ رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) خطبَ الناسَ حتَّى أسمعَ العواتقُ في بيوتها قائلاً : - « يا معشرَ مَنْ آمَنَ بلسانِهِ ولم يُؤْمِنْ بقلْبِهِ ، لا تغتابُوا المسلمينَ ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ حتَّى يَفْضَحَهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ »^(١٠) .

فلا تجسَّسُوا ، فإذا تجسَّستِ أيتها السيدةُ على كَتِّيكِ بتفتيشِ أشياءها أو حقيبتها ، فاعلمي أن هذا العملَ سَتُعَرِّضُ لَهُ ابْنَتُكَ ، وهذا هو العقابُ الدنيوي ، ولكن ماذا سَتَفْعَلِينَ تجاهَ العقابِ الأخرويِّ ، فتحملُ نارَ الجحيمِ صعبٌ وعذابُ القبرِ شديدٌ ؟ .

والبعضُ يقومون بأشكالٍ عجيبَةٍ وغريبةٍ من التجسُّسِ ، حتَّى بين الزوجين ، ولذا أوصي الزوجاتُ باجتنابِ تفتيشِ حَقِيبةِ الزوج ، فهذا عملٌ

(٩) تقدم مصدره .

(١٠) جامع السعادات ج ٢ ص ٢٣٢ وقريب منه في أصول الكافي ج ٢ ومصادر أخرى عديدة .

سيءٌ وقبيحٌ وسرقَةٌ ، وقد يؤدي إلى الطلاق كما نشاهد أحياناً .
يا أيها الزوج لا تفتش حقيقة زوجتك ودولابها ولا تتجسس عليها .
أيتها الحماة لا تفتشي متاع الزوجة من أجل معرفة طبيعة جهاز عرسها ،
فما شأنك به ؟ .

فهو مهما كان وضعه متعلقٌ بها ، عليك أنت التفكير بأمر آخرتك
فقدمك على حافة القبر ، والتجسس على متاع الكنة عملٌ أحمق ، وليس
عملاً إسلامياً ولا إنسانياً ، وذنبه عظيمٌ وقد يستتبع عواقب خطيرة سواء صدر عن
الزوجة أو عن الزوج .

ولذا أرجوكم أن لا يتجسس بعضكم على بعض ، كما أرجو من الآباء
والأمهات اجتناب التدخل في شؤون الأبناء والبنات ، وتركهم يعيشون حياةً
مستقلةً .

والشفقة في غير محلها عملٌ خاطيء .
وإذا وقعت بعض الأخطاء ، فأصلحوها بدلاً من مضاعفتها واستدامتها .
وأيتها الوالدة عليك بدلاً من الاندفاع في الحرص على مصلحة ولدك ،
عليك أن تحرصي على آخرتك وحسن عاقبتك .

المحاضرة العشرون : =

الفصل التاسع

طاعة المرأة لزوجها

● البيت العائلي وحاكمية
القانون

طاعة المرأة لزوجها

الفصل التاسع من بحثنا هو عن قضية الطاعة في الأسرة ، فطاعة المرأة لزوجها أمر تقتضيه الطبيعة الإنسانية ، وإن لم تفعل ولم تصغرك لکلامه فقد ارتكبت ما يخالف هذه الطبيعة .

وتعلمون أن كل مؤسسة تحتاج إلى رئيس ، حتى لو كان عدد العاملين فيها سبعة أو ثمانية أشخاص ، فلا تستقر أمورها من دونه .

الأسرة ليست دائرة ، فهي دولة صغيرة حسبما يصفها علماء النفس الاجتماعي والدولة الكبيرة تتشكل من هذه الدول الصغيرة التي تحتاج كل منها لرئيس .

والطبيعة والفطرة تقول للزوجة : إن الرجل هو رئيس الأسرة خاصة ، وإن نفقة الزوجة والأسرة تقع عليه ، ولهذا وكل القرآن الكريم مسؤولية رئاسة الأسرة إليه ، وأشار إلى علة ذلك ، يقول - تعالى - : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (١) .

فرئاسة الأسرة حق للرجل ، لأنه وجود متعل ويلتزم أمر توفير نفقاتها .
فالآية الكريمة منسجمة مع الفطرة عندما تأمر أفراد الأسرة الزوجة

(١) سورة النساء / ٣٤ .

والأطفال بطاعة الزوج ، فإن لم يفعلوا يصبح حال الأسرة كحال الدائرة التي يتحرك بعض أفرادها على وفق آرائهم الشخصية .

وإن لم تسمع الزوجة كلام زوجها يكون حالها حال معاون رئيس الدائرة الذي يعصي رئيسه ، ويتصرف على وفق رأيه الشخصي .

وواضح أن مثل هذه الدائرة تنهار ، فمن المحال تسير شؤونها ، فلا تجد فيها سوى النزاع .

وإذا لم تطع الزوجة زوجها ، حلت المصائب بالأسرة .

وهذا ما يحدث إذا تمرد الأولاد عليه ، فإذا أرادوا الانسجام واستقرار وضع الأسرة ، وجب عليهم طاعة الأب وهذا حق .

الحق الثاني للزوج هو القضية الجنسية وعلى الزوجة أيضاً طاعته فيها ، فإن لم تفعل ، فهي ناشزة - كما يُجمع على ذلك الفقهاء - يسقط عن الزوج حقها في توفير المسكن والمأكل والملبس .

والقرآن يتحدث عن هذا الموضوع بلغة أكثر حدة كما وردت الأحاديث الشريفة بهذه المضامين فقد نقل صاحب « وسائل الشيعة » : « أتت امرأة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت : - ما حق الزوج على المرأة ؟ »

قال : أن تُجيبه إلى حاجته ، وإن كانت على قتب ، ولا تعطي شيئاً إلا بإذنه ، فإن فعلت ، فعليها الوزر وله الأجر .

ولا تبين ليلة وهو عليها ساخط .

قالت : - يا رسول الله وإن كان ظالماً ؟ قال : نعم ... » (٢) .

(٢) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٢ نقلاً عن فروع الكافي ج ٢ ص ٦١ .

ولكون المرأة عاطفية تُوجِبُ عليها طبيعتها التواضع ، لذا يعتبر القرآن الكريم المرأة الصالحة هي التي تتحلّى بخصلتين التواضع لزوجها فلا تسلط لسانها عليه والثانية التزامها العفة في السر والعلن ، فحجابها واحد في اكتماله في المدرسة وفي الشارع إزاء الغرباء وغير المحارم من أقربائها أمثال شقيق زوجها وعمه وخاله وأمثالهم ويقال المحلة وأمثاله يقول - تعالى - : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (٣) .

وعلى المرأة أن تطيع زوجها خاصة في أمر العلاقة الجنسية .

والأمر الجدير بالالتفات إليه هنا هو أن على الرجل أن يفعل مثل ذلك بمعنى أن يصغي لكلام زوجته ، فهي معاونته مثلما أن لرئيس الدائرة مُعاوناً ، ومثلما على المعاون أن يستمع لكلام رئيسه على الرئيس أن يفعل ذلك ويهتم بكلام معاونه .

وبالطبع فإن اتّخاذ القرارات يقع على عاتق الرجل ، ولكن عليه أن يُشاورها ويعرض عليها الأمور ، فإن كان رأيها صحيحاً عمل به .

هناك حديث شريف مشهورٌ مروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يُفسّره الرجال بصورة سيئة وهو قوله (عليه السلام) : - « وشاورهنّ وخالفهنّ » .

فالرجال يفسرونه ، طبقاً لمصلحتهم ، وكأنهم يتوهمون أنه (عليه السلام) يقول لغواً ، فيأمر بمشاورة المرأة ، ثم مخالفتها ولو كان رأيها حقاً ، فواضح أن هذا ليس معنى الحديث ، بل هو ما قلناه ، وهو أن عليه أن يستشيرها ، ويهتم برأيها ، فإن كان معقولاً عمل به ، فعليه أن يستمع كلامها . أما القرار ، فعليه هو أن يتّخذه ، وقول أمير المؤمنين لا يختلف عن

(٣) سورة النساء / ٣٤ .

القرآن والخطاب القرآني الذي يأمر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالاهتمام بآراء المسلمين واحترامها .

أما اتخاذ القرار ، فهو حقه : - ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٤) .

فهو يستمع آراءهم ، فإن كانت سديدةً عملَ بها ، وإلاَّ أعرضَ عنها .

هذا معنى الآية ، وهو نفسه معنى الحديث الشريف ، فهو يأمر الزوج بمشاورة زوجته واحترام شخصيتها وإشراكها في مجريات الأمور ، فهي معاونة له ووزيرة دولته ، فيجب أن تكون مطلعةً على شؤون البيت والزوج .

أجل إذا رأى أن رأيا ليس صحيحاً اتخذ هو القرار .

وهذا هو معنى كل من الحديث والآية الكريمة ، بل إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) حثَّ على استشارة الأولاد الكبار، إذ يقول : - « الولد سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين » (٥) .

فتنبغي طاعته في الأعوام السبعة الأولى ، بمعنى إحاطته بالحرية والدلال بالمقدار المستطاع ، ثم تعليمه الأعمال في السبع الثانية ، فعليهم أن يدفعوه للعمل ليصنعوا منه شخصاً فعالاً ، لكي لا يكبر - ذكراً أو أنثى - على الكسل وعدم الفاعلية .

أمّا إذا بلغ السبع الثالثة ، وأصبح شاباً ، فعلينا أن نستفيد من رأيه ، فنشركه في مجريات الأمور ، ولهذا الحديث الشريف المثير للإعجاب معنى كبيرٌ عند علماء النفس .

إذا أردنا أن يتمتع أولادنا بشخصية اجتماعية قوية ، فعلينا نحن أن نعطيهما

(٤) سورة آل عمران / ١٥٩ .

(٥) وسائل الشيعة ج ١٥ / ص ١٩٥ الحديث رقم ٧ .

لهم ، فالأب هو الذي يمنحها لابنه ، والأم هي التي تمنحها لابنتها .
 فالتعامل التسلطي على الأولاد - ذكوراً وإناثاً - من الذين بلغوا الأربعة أو
 الخمسة عشر عاماً وممارسة القرض عليهم هو عمل خاطيء وخاطيء جداً :
 يقول - تعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ
 الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦) .

فاستخدام كلمتي ﴿ يَا بُنَيَّ ﴾ و﴿ هُوَ يَعِظُهُ ﴾ يعلمنا أموراً مهمة كثيراً ،
 فهو يقول : أيها الأب تحدث مع ولدك برأفة وخاطبه بكلمات محبة ، ودع روح
 التسلط ، وتحدث معه بلغة المنطق وقل له : - ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
 عَظِيمٌ ﴾ .

فقدم له الأدلة على ما تقول وأطلعه على حقائق مجربات الأمور ،
 فبذلك تحترم وتعزز شخصيته وتشبع غريزة الحاجة للرأفة والحنان من خلال
 الرحمة التي تتجلى في مخاطبتك له .

كما أن تقديمك الأدلة وعدم فرضك رأيك عليه يعثان فيه السكينة
 والاستقرار النفسي ، فيجعلانه قوي الشخصية .

ولذلك تأمرنا الأحاديث الشريفة بالرفق بالزوجة والأولاد واحترامهم (٧) .

بعض الأزواج - أرجو أن لا يكون في محفلنا أحد منهم - لا يعقلون
 شيئاً ، لكنهم متجبرون بالكامل ، فلا يعلم أولاده ولا زوجته ماذا يفعل وما هي
 مهنته ومن أين يأتي بالأموال وما هي الموارد التي يصرفها فيها .

وكل ما يعلمونه هو أنه يذهب صباحاً ويرجع مساءً ، ليتعامل بتجبر مع

(٦) سورة لقمان / ١٣ .

(٧) هناك العديد من الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المجال تجدها في العديد من الأبواب من
 المجلدين الرابع عشر والخامس عشر من موسوعة وسائل الشريعة .

عيالِه ، في حين يجب احترام رأي الزوجة ، فهي وزيرة الأسرة ومعاونة رئيسها ، ولا يمكن للرئيس أن يتجاهل معاونه .

كما على المرأة أن تطيع زوجها وتصغي بخضوع لقوله ، وتستجيب له بالفعل ، وليس بمجرد القول ، لكي تستطيع النفوذ إلى قلبه .
فنفس كلمة القبول لقوله تعزز مودته .

وإذا عملت بأمره ، فكأنما عملت بقول القرآن الذي يصف المرأة الصالحة بأنها خاضعة لزوجها : ﴿ فالصالحات قانتات ﴾ .

كما يجب على الزوج أن لا يأمرها بما يخالف الشرع ، لكي لا تضطر لرفض قوله .

وبالطبع على الزوج ضمن حقوق المرأة عليه التي يجب أن يقوم بها أن يشركها ، وكذلك الأولاد في شؤون الأسرة .

وكم هي جيدة مقولة ذلك العالم النفسي الذي يقول : - إذا أراد الإنسان الهدوء لبيته وعدم وقوع النزاع فيه ، فعليه عندما يتسلم راتبه أن يجلس مع زوجته وأولاده ، فيحسبوا معاً مصارف الأسرة ، فيطلع الجميع على الحال ، فيجتنبوا الطلبات غير المناسبة .

فإذا كانت الزوجة تجهل دخلك ، فإنها ستصورك بخيلاً إذا كان إنفاقك محدوداً .

ومن هنا يبدأ تدمير المودة ، فإذا كنت مستبدلاً لا تهتم أصلاً برأي زوجتك ، فإن استبدادك يدمر المودة ، لأن لزوجتك شخصية وهذا الاستبداد يوجه ضربة لشخصيتها ، ويظهر أول آثار الضربة في أن تصبح الزوجة سيئة الأخلاق وخشنة التعامل والأخطر والأشد أنها إذا فقدت شخصيتها تصل إلى مزلق خطيرة جداً . لذا أوصي الآباء والأمهات خاصة أن ربوا أولادكم - ذكراً وإناً - بصورة تمنحهم شخصية قوية .

فاجتنبوا إهانتهم ، فالإهانةُ تعني سحق الشخصية . وإذا انسحقت
شخصية البنت أصبح من الممكن أن تسقط بكلمةٍ محبةٍ واحدة .
وإذا انسحقت شخصية الشاب أصبح مُستعداً لارتكاب أيّة جريمة .
وبناءً على ما تقدّم يكون استماع الرجل لآراء المرأة وإشراكها في
مجريات الأمور حقّاً طبيعياً للمرأة مثلما أنّ طاعتها له حقٌّ طبيعيٌّ له .
كما أنّ الحقّ الثاني للزوج في الفقه الإسلامي هو حق قطعي .
وللزوجة في المقابل حقٌّ فيما يرتبط بالغريزة الجنسيّة أن يؤدّيهُ بالكامل .
وإذا كان قادراً عليه ، وتهاون فيه ، فقد ارتكب ظلماً ، ولم يؤدّ حقها .
والكثير من الأحاديث الشريفة يُؤكد أن للمرأة على الرجل مثل هذين
الحقّين اللّذين لهُ عليهما^(٨) .

البيت العائلي وحاكمية القانون :

ورجائي الذي أوكدّه في هذه الأيام الأخيرة (من الشهر المبارك)
وللأزواج خاصة وهو أن يقتنعوا بأنّ من غير الممكن إخضاع البيت لحاكمية
قانونٍ ما ، فهو يؤدّي إلى تمزّق الأسرة .

بل تجب إدارته بحاكمية الصبغة الحسنة والمودة وروح الشفقة
المتبادلة ، والذي يجب أن يحكم البيت العائلي هو مضمون ما يقوله الشاعر :

من أنا؟ ليلي! ومَن ليلي؟ أنا
فكلنا روح واحدة في جسدين^(٩)

(٨) تقدّمت الإشارة إلى مصادر ذلك في هوامش المحاضرة السابعة عشر (الفصل السابع) ضمن
الحديث عن الحاجات الجنسية . .

(٩) ترجمة نثرية حول بيت شعر بالفارسية ضمن ملحمة ليلي والمجنون المدونة بالفارسية وهي غير
الأسطورة العربية المشهورة فهي وإن كانت قد استعارت رموزها لكن أمثالها وقصصها وأشعارها
تناسب في أغلبها البيئة الفارسية .

فإذا تصدر القانون (بحرفية جافة) حاكمية البيت دَمَرَهُ ، فمثلاً أقر الإسلام للرجل حقّ منع زوجته من الخروج من بيته ، وأوجب عليها أخذ الإذن بالخروج منه .

فإذا أراد أن يستغلّ حقّه هذا بالكامل ، فيمنعها من الذهاب لزيارة بيت والدها أو بيت الجيران ، ويوجب عليها البقاء في البيت ، فإنّ من المتوقع أن تعتمد هي إلى الكثير من الأعمال المنافية .

فإذا كانت فاقدة للعفة ، فلا يمنعها من فعلها إغلاقك عليها الأبواب السبعة ، ولكن من الممكن تحصينها (بالمودّة) والصحبة الطيبة ، بِمِثْلِ هَذِهِ الأحاديث التي نعرضها في هذه المحاضرات منذ بداية شهر رمضان إلى اليوم وردني أكثر من خمس مئة رسالة أو عريضة جمعية أو اتصال هاتفيّ ، ولعلّها لم تتضمن اعتراضاً أكثر من واحد بالمئة منها ولم أتلّق أكثر من خمسة اتصالات هاتفية مُعارضة .

ولكنني تلقيت أكثر من خمس مئة اتصال هاتفي يعرب عن الشكر ، ويوضح أنّ الشيء القادر على جعل الزوجة مُطِيعَة لزوجها بالكامل هو أمثال هذه المحاضرات والأحاديث والصحبة الطيبة والصدق والأخلاق .

فعلينا أن نهتمّ بآراء الزوجة ، ونتحدّث معها بحنان .

وإذا أراد الرجل التعامل (بصورة حرفية) مع القانون ، وقابلته المرأة بالمثل وطالبته بأجرة إرضاعها ابنه وقيامها بأعمال المنزل ، وطالبته بخادمة تُعِينُها وتقوم بأعمال المنزل ، أو طالبته بأن يقوم هو بذلك وتقول له : إنّ حقك علي هو في أمر النكاح (العلاقة الجنسية) ، ولذا لن أقوم لك بغيره ، وعليك أن تعمل وتطعمني !! .

لو حدّث مثل ذلك حقّاً ، فمن الواضح أن هذا البيت سيتحوّل إلى سجن .

ولو تعاملت الزوجة فعلاً على وفق هذه الصورة ، لَوَقَعَ الطلاق في أقلّ من عشرة أيام .

وإذا تعامل الزوج على وفق تلك الصورة القانونية (الحرفيّة) لارتفع صُراخ واستغاثة الزوجة بعد أقلّ من عشرة أيام .

فواضح أن الحياة غير ممكنة على وفق هذه الصورة القانونية في التعامل .

القرآن الكريم يمدح القانون ، ولكنه يرفض أن يكون جافاً ، بل يؤكد وجوب اقتيرائه بالإحسان : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (١٠) .

فهذا الذي يجعل المرأة مطيعةً بالكامل لزوجها ، لكن بمودة .

وهذا (العدل والإحسان) هو الذي يجعل الرجل رحيماً لا يتعامل بجفافٍ مع عياله .

وهذا ما لا يمكن تحقيقه بالقانون الجاف وحده وأنا أعرف الكثير من الذين التزموا هذا التعامل القانوني الجاف ، فوصلوا إلى نتائج سيئة للغاية .

فمثلاً إذا انحل جانب صغير من مُلأة الزوجة ارتفع صُراخه بصورة غير لائقة . ومن الممكن أن تسكت عن هذا الصُراخ في المرة الأولى والثانية ، ولكن هذا التعامل قد يؤدي بها فيما بعد إلى فتح مُلأةٍها وتكشف عن وجهها ومفاتيحها عمداً ، فهي تبالغ في حجابها في حضوره ، وتتعمد عدم الاهتمام به في غيبته .

وأحياناً ينهاها - بصورة جافة - عن التحدث في حضور أخيه أو الجلوس على المائدة في حضور الأقرباء ، فيؤدي هذا التعامل إلى مفاسد خطيرة ، وقد

(١٠) سورة النحل / ٩٠ .

شاهدنا نزاعاتٍ فظيعةً ناتجةً عنه .

وفي المقابلِ تتعاملُ المرأةُ مع زوجها بجفاف ، فتبعث بذلك حالة الضجر لديه والرجال مبالغون للاستبداد ، فإذا ترسّخت في الزوجِ هذه الحالةُ قادتِ الزوجةَ إلى معيشةٍ بائسةٍ ، فأوصيكم - برجاء - أن تجعلوا أجواء بُيوتكم مفعمةً بالمودّة ، وليسَ بإعمالِ القانونِ والسلوكياتِ المفروضة .

فالتزامُ المرأةِ بالعِفّةِ والحجابِ مطلوبٌ ، لكن لا ينبغي للزوج أن يشدّد عليها إلى درجةٍ منعها من الخروجِ أصلاً ولو لاتباعِ ما يحتاجُ إليه البيت أو زيارة بيت أبيها أو جاريتها .

فهل يمكنها الامتناعُ عن زيارة والدها ١٩ .

لا يمكنها ذلك . ولو كانت علاقةُ الزوجِ سيئةً مع والديه ، فهجرانُ الوالدين يصيب الزوج وعياله بالعقدِ النفسيّ وبالسقاء .

وكَلّما شدّت الضربُ بسوطك على الصخرةِ اشتدّت ردّةُ الفعلِ عليك .

وكَلّما شدّد الزوجُ الضغطَ على زوجتهِ اشتدّت ردّةُ الفعلِ وخطورةُ

التبعات .

وإلى جانب التأكيدِ لاجتنابِ التشديدِ والضغطِ والتعاملِ الجافِّ ، يجب في المقابلِ الانتباهُ إلى الأولادِ وتربيتهم تربيةً سليمةً ، فيجب على الوالدين مراقبةُ أوضاعِ ابنتهما والأماكن التي تذهب إليها وطبيعة صديقاتها وضرورة أن يكنَّ عفيفات محترمات .

ونفس الأمر يصدق على إبنهما ، وهذه أمورٌ ضروريةٌ ولا شك ولكن شدة

الضغط على الفتاة والشاب يجعلهما يتحدّيان والديهما ، ويتعمدان الذهاب إلى حيث لا يُريدُ الوالدان .

وعندما ندرس الموضوعَ بحثاً عن العِلّةِ نجدها في انعدامِ التربيةِ أصلاً أو

في شِدَّة التشديد في التربية ، أي : ما بين إفراطٍ وتفريطٍ .

وقد نهى الإسلام عن كليهما ، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) :
- « لا يُرى الجاهلُ إلا مُفْرِطاً أو مَفْرِطاً »^(١١)

وهكذا يكون أصحاب الشخصية الضعيفة ، فهم في صداقتهم إما يُفْرِطون في المبالغة فيها ، وإما يُفْرِطون في التهاجر والخصام إلى درجة توجيه شتى التهم للآخرين .

وهم في العلاقة مع أولادهم إما يهملونهم بالكامل ، وإما يشددون عليهم إلى درجة سَحْق شخصيتهم .

أرجو من الأزواج والزوجات أن لا يُسيؤوا استغلال القانون فمثل هذا مرفوض إسلامياً وهو ما يوصف بتزوير القانون .

وقد ألفت كتاباً تحت هذا العنوان ، وقد استفدت هذا الموضوع من القرآن والأحاديث الشريفة ، ومن مصاديق سوء استغلال القانون الشرعي أكل الربا بحيلة شرعية على هذا النحو هو : - أني أقرضك ألف تومان وأبيعك معها علبه كبريت بمئة تومان ، أو أن أقرضك عشرة آلاف تومان وأبيعك معها قطعة صغيرة من الحلوى بألف تومان .

وهذا تزوير للقانون الإسلامي وحيلة شيطانية نُسَمِّيها حيلة (شرعية) .

رَجَمَ الله مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم اليزدي - رضوان الله تعالى عليه - فكل هذه الخيرات (العلمية) منه ، نقل - رحمه الله - الحادثة التالية ، فقال : - جاءني أحدُهم وقد طلق زوجته ثلاث مرَّات ، ثم ندم على فعله ، وطلب مني إيجاد حل قبل أن تقع الفضيحة ، وأوضح أنه في حرجٍ ، فلو أراد تزويجها لشخصٍ « مُحَلَّل » أراق ماء وجه الزوج وزوجته المطلقة ، فتذكرتُ أحد المتدينين ذوي الظاهر

(١١) نهج البلاغة / قصاص الحكم / الحكمة رقم ٦٧ .

الصالح يُؤاظِبُ على الصلاة في جماعتي في الصف الأول ، وقلتُ : لِأُقَدِّمَ له هذه الاستفادة فاستدعيته ، وقلتُ له : جاءتكُ نعمة طيبة ، يزوجونك فتاة جميلة لليلة واحدة تُطلقها في غدها ابتغاء تحليلها لزوجها الأول ، فأعطوه المال وأجروا له عقد زواجه ، وفي غدٍ ذلك اليوم استدعيته لإجراء الطلاق ، فرفض وقال زوجتي ولن أطلقها ! ! ولم ينفع شيئاً إصرارنا عليه فكان يكرر قوله ورفض ورفض ، حتى ماتت الفتاة غماً وكمداً ولم يطلقها .
وقد قال المرحوم الشيخ كلمة قيّمة للغاية على المنبر بهذا الصدد ، وهي : - إن البعض عدولٌ لِكِنَّهم أسوأ من الشمر^(١٢) .

هذا الرجل عادل (بالمعنى القانوني الحرفي) فلم يرتكب مَعْصِيَةً ، فهو رَفَضَ طلاق زوجته ، لِكِنَّه أسوأ من الشمر ، لكونه أساء استغلال القانون .

وهذا عمل شديد الخطورة ، لكنه مع الأسف شائع بين ذوي الظاهر المقدس ، ولا سيّما السيدات ، كأن تكون إحداهن قد درست في الجامعة ، وتعلّمت بعض الاصطلاحات العلمية واللغوية والنحوية ، أو هي تدرس العلوم الدينية ، فيُصَيِّبها الغرور العلمي فإذا أرادت استغلال الأحكام ، عمدت إلى مخاطبة زوجها بأنها تريد إكمال الدراسة فترفض القيام بأعمال المنزل ، فلا يحقُّ له منعها ، أو أمرها بالقيام بأعمال المنزل .

فيا أيُّها السيِّدة هذا سوء استغلالٍ للقانون ، وبِحَسَبِ وصفِ المرحوم الشيخ اليزدي فانتِ عادِلَةٌ ، لكنكِ أسوأ من الشمر ، لأنكِ بذلك تهدمين بيتكِ وأسرتكِ اليوم أو غداً .

أيُّها السيِّد « الحزبِ اللّهي » أنتِ عادِل !! لكنكِ أسوأ من الشمر لكونكِ تُشدِّدُ ضغوطك على أسرتكِ وتوقعها في المفاسد تدريجياً ، فتسلب زوجتك أو ابتكت نجابتها .

(١٢) المقصود شمر بن أبي ذي الجوشن - لعنه الله - وهو قاتل الإمام الحسين (سلام الله عليه) .

المحاضرة الحادية والعشرون : =

الفصل العاشر

التوافق وانسجام الأسرة

- المودة
- التمييز القبيح

التوافق الأسري

الفصل العاشر من بحثنا يتناول موضوع التوافق (الانسجام) الأسري ، وفي بدايته ينبغي لنا الانتباه على أن من المُحال تحقق التوافق الأخلاقي الكامل بين أفراد الأسرة بين المرأة وزوجها ، أو الكنية وحمايتها ، وبين البنات وأُمّها ، والابن وأبيه .

فهناك - ولا ريب - اختلاف في الأذواق يؤدي إلى إيجاد بعض الاختلافات شئنا أم أبينا ، بل إن هذا الاختلاف هو أمر طبيعي في الأسرة - على حد ما يقول أحد كبار علماء النفس .

وإنه من الانتشار بحيث إن بعض كبار الفلاسفة قالوا بأن كل إنسان هو نوع مستقل بحد ذاته ، وليس كل بني الإنسان من نوع واحد ، وبغض النظر عن صحة أو عدم صحة هذا القول ، فهو مهم للغاية من وجهة نظر علم النفس .

وعلى أن نفهم هذه الحالة من الاختلاف ، وعلىنا معالجتها فما الذي يجب أن نفعله ، لكي نوجد التوافق الأخلاقي المطلوب ؟ .

إذا كان التوافق الأخلاقي بين الزوجين بدرجة سبعين بالمئة ، فهذه حالة جيدة للغاية .

وعليهما أن يشكرا الله على هذه النعمة العظيمة ، ويديما الحمد له - تعالى - ويلهجا بذكر « الحمد لله رب العالمين » حتى إذا كان بنسبة خمسين بالميئة .

فهي حالة جيدة أيضاً ، وإذا توفرت هذه النسبة بين الكنة وحمايتها ، فعليهما أن يشكرا الله على ذلك .

وإذا توفرت نسبة السبعين بالميئة بين الابن وأبيه أو الابن وأمه ، أو البنت وأُمها ، فعليهم أن يشكروا الله كثيراً على ذلك . ولكننا عادةً نغفل عن أن توفّر التوافق الأخلاقي بنسبة مئة بالميئة أمرٌ محالٌ ، أو أن تُوفّر بنسبة سبعين بالميئة هي نعمةٌ كبرى يُمنّ بها الله - تبارك وتعالى - علينا .

وحديثنا هو عن كيفية التعامل مع نسبة الثلاثين أو الخمسين بالميئة من الاختلاف ؟ ! .

فهناك عاملان يمكن بهما معالجة هذا الاختلاف ، نتحدث اليوم عن الأول ، ونتحدث غداً عن الآخر بمشيئة الله - تبارك وتعالى - والطف ببقية الله (عجل الله تعالى فرجه الشريف) .

المودة :

وهي العامل الأول القادر على إزالة الاختلاف ، فإذا سادت المودة بين الزوجة وزوجها ، أو بينها وبين حمايتها ، أو بين الأب وابنه والأم وابنتها ، محت آثار تلك الثلاثين أو الخمسين بالميئة من الاختلاف ، وعُتِم عليه ، وقد ورد الكثير من الأشعار يجمع مضمونها قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) : - « حُبُّك للشيء يُعمي ويُصم »^(١) .

فإذا أُحْبِب شخصاً تعاميت عن مساويه ، بل ولم تعد تطيق التحدث أو

(١) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٦٥ .

استماع مَنْ يتحدث عنها وعمدت بما استطعت إلى تسويغها ودافعت عنه إذا تحدث أحد عنها حتى لو كان حديثه مطابقاً للواقع ، بل يُعَاتَب نفسه إذا حدثته بمثل ذلك ؛ يقول الشاعر العربي : -

عين الرضا عن كل عيب كليلة وعين السخط تبدي المساويا
في قصّة ليلي والمجنون - وردت حادثة تعبّر عن حقيقة موجودة في
الإنسان بغض النظر عن صِحّة القصة أو أسطوريتها - فقد نقلوا أنّ ليلي كانت قد
أعدت طعاماً للإطعام لِنَذْرٍ كان عليها ، فأرسل المجنون وعاءه بيد إحدى
صديقاتها لتجلب له من طعام نذرها .

وعندما أعطوها الوعاء أخبروها أنه للمجنون ألقتة على الأرض
وهشمتة ، فنقلوا له خبر ما فعلته بوعائه ، فقال بيتاً من الشعر استدلل فيه على أنّ
ما فعلته هو دليل حبّها له ، وإلاّ لما فعلت ما فعلته !! .

أي أنه لم يقبل أنها ارتكبت عملاً سيئاً ، ولذا عمد إلى تسويغه .

الزوجة التي تودّ زوجها تدافع عنه إذا تحدث أحد عن مساويه ، ولا تطيق
أنّ تسمع حديثه ، لكنّها لا تفعل مثل ذلك تجاه أحاديث مماثلة تتعلق بالجيران
أو حتى مساوي أخيه وأرحامها .

وقد أطلعت على الكثير من الحالات لزوجات كانت إحداهن تشكر الله
- تعالى - إذا عنفها زوجها ، وتعتبر تعنيفه دليلاً على حُبّه لها . وتشير إلى أنّه لا
يفعل مثل ذلك مع أُختِه والنساء الأخريات ، فتعنيفه لها بالذات دليل على حُبّه
الذي يدفعه للسعي من أجل تربيته .

ومن الأمور التي يجدر بنا جميعاً الانتباه لها أنّ للكلام تأثيراً كبيراً في
تعزيز المودة أو في تدميرها ، فهو مرّة يكون مثل الخال على الوجه الصبيح ،
وتارة مثل الفلفل الأسود الذي يحرق الفم ، كما يصف الشاعر الإيراني : -

حبة الفلفل سوداء كذا لون خال وجه الحسان

وكلاهما حارقان ، ولكن أين هذا من ذاك^(٢)

فمرة يكون تأثير كلمة شكرٍ واحدةٍ للزوجة كتأثير الخالٍ في زيادةِ حُسنِ الوجهِ الحَسَنِ فتعزّزُ هذه الكلمةُ المودّة في القلبِ .

وعكس هذا التأثيرِ يتركه التعنيفُ والكلماتُ الجارحةُ ، فتحرق المودّة مثلما يفعل الفلفل الأسود بالفم .

وقد تكون كلمة صغيرة كبيرة التأثير في تدمير المودّة .

ولا أعتقد أنَّ الثوابِ العظيمة التي يُحدّدها الإسلامُ لطاعةِ المرأةِ لزوجها أو لحسن تعامله معها استحقاقية ، بل إنَّ الشارعَ المقدّسَ أرادَ منها الحصولَ على أمورٍ أخرى ، فمثلاً يُعلنُ النبيُّ الأكرمُ (صلى الله عليه وآله) أنَّ مَنْ عَرَفَ حقَّ أميرِ المؤمنين (عليه السلام) وأدّى واجباته ، واجتنبَ المعاصي - وإذا ارتكبها تابَ عنها - ، وأنَّ الرجلَ الذي رعى حقوقَ زوجته والمرأة التي رعت حقوقَ زوجها ، تُفتحَ لهم أبوابُ الجنّةِ كافّة^(٣) ، ويصلون إلى مقامِ الأنبياءِ والأوصياءِ مثلما يقول القرآن الكريم أنَّ بعضَ الناسِ يُحشرون مع الرسولِ الأعظمِ والأئمة الطاهرين : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَافِقًا ﴾^(٤) .

فمثلاً هذا يدخلُ الجنّةَ من أيِّ بابٍ شاء ، وهذا مقامُ سامٍ ، وليس استحقاقياً بمعنى أنَّ الإنسانَ لا يستحقُّ هذه الثواباتِ ، بل إنها أشبه بالطعمِ الذي تُنثرُ حبوبه للحصولِ على الطيرِ ، أي أنَّ هذه الثواباتِ تُعطى من أجلِّ أنَّ تكونَ أجواءُ البيتِ دافئةً (بالمودّة) .

(٢) ترجمة نثرية لبيت شعر بالفارسية .

(٣) راجع وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٥ ، ص ١١٦ ، ص ١١٩ ، ص ١٢١ ، ص ١٢٢ ، ص ١٢٣ ، وغيرها .

(٤) سورة النساء / ٦٩ .

نقرأ في الأحاديث الشريفة : - « ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلا كان خيراً لها من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلاً »^(٥) .

وواضح أن عملية سقي الماء بحد ذاتها لا تستحق هذا الثواب ، لكنه يُعطى لجعل الزوجة ترعى زوجها ، كما ورد أن الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله^(٦) .

وهذا المقام ليس استحقاقياً بل « توسلياً » يُراد منه جعل أجواء البيت دافئة .

وفي المقابل فإن الأحاديث الشريفة تُحدد إثمًا عظيمًا لبذاءة اللسان ، وهو أيضاً بعنوان ثانوي وليس استحقاقياً .

ويؤكد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أن أول الداخلين للنار المرأة التي تُؤذي زوجها - ولو بسلاطة اللسان والكلمات الجارحة - والرجل الذي يفعل مثل ذلك^(٧) .

وهذا الجزاء الأليم هو للحيلولة دون انعدام المودة الذي يؤدي إلى برودة أجواء البيت ، في حين أن وجود المودة يعني وجود الرفاهية والاستقرار .

وكثيرة هي الأحاديث الشريفة الواردة بهذه المضامين التي ينقلها الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة ، وأكثر منها ما جمعه العلامة المجلسي - رضوان الله عليه - وغيره .

وبعضها تؤكد أن الصابرة على أذى زوجها والصابر على أذى زوجته يُحشران مع نبي الله أيوب (عليه السلام) الذي صبر على البلاء .

(٥) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١٢٣ .

(٦) تقدم مصدره .

(٧) ورد ذلك ضمن حديث طويل ينقله الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة ج ١٤ ص ١١٦ .

وواضح أنَّ هذا المَقام ليس استحقاقياً ، بل هو من أجلِ منحِ الدَفءِ
لجَوِّ الأسرة .

ولذا يجب أن تسود المودة أجواء البيت ، وعلينا الاهتمام بما من شأنه
الحيلولة دون سلبها منه وأرجوكم أن تراقبوا أقوالكم في البيت ، فهي التي تعزِّزُ
وتجلبُّ المودة ، وهي التي تدمرها .

● التمييز القبيح :

من الممارسات التي تدمر المحبة ، ويجب علينا اجتنابها هو التمييز بين
أفراد الأسرة بين صَهرين أو بنتين أو ابنين ، كأن يخصص نصيباً أكبر من
الإرث بأحدٍ ولديه ونصيباً أقلّ بالثاني ، أو يحرمه من الإرث أصلاً ، أو يحرم ابنته
منه - والعبادُ بالله - لكونه لا يُحبُّها ثم يُسوِّغُ عمله بادِّعاءاتِ جوفاء من قبيلِ أنَّها
قد تسلَّمتُ بالفعل نصيبها ، حينَ أعطائها جهازَ الزواج .

ومثل هذا العمل أشدُّ إحراقاً من حبة الفلفلِ الأسود التي أشرت إليها ،
يقول رسولُ الله (صَلَّى الله عليه وآله) : - « إعدلوا بين أولادكم كما تُحبُّون أن
يعدِلُوا في البرِّ واللُّطفِ »^(٨) .

وقد ترحم مراراً على الوالدين الذين يُعينان أولادَهُما على البِرِّ ، ولعنَ
اللذين يضطرانهم للعقوبِ .

إنَّ الولدَ عندما يرى أمَّهُ مختلفةً مع كُنتِها يُعَنِّفُها - شاء أم أبى - ولا يحقُّ له
ذلك طبعاً ، فيصبح عاقاً ، وعندها يخسر الدنيا والآخرة .

وعندما يرى الابن والدَّهُ يفرق في التعاملِ بينه وبين أخيه ، وتشاهد

(٨) سفينة البحار ج ٢ ص ٦٨٤ وهناك أحاديث مماثلة في المجلد الخامس عشر من الوسائل ، وعن
الإمام الصادق (عليه السلام) عن الرسول الأكرم (صَلَّى الله عليه وآله) أنه قال : « رحم الله
والذين أعانا ولدهما على برهما » المحجة البيضاء ج ٣ ص ٤٤٣ .

البنّ أباهما أو والديها يُفرقان في التعاملِ بينها وبين أخيها، أو بين زوجها وزوجِ
أختها ، تتأذى وتُصيبها عقدةٌ نفسية وإساءةُ الظنِّ بأمّها وأبيها .

وويل لها عندئذٍ ، فهي عندئذٍ تُعرضُ عنهما - والعياذُ بالله - وتُصبحُ
عاقّةً ، ولا يحقُّ لها ذلك ولا يحقُّ لها أن تغتابهما .

على الشبابِ الالتفاتُ إلى وجوبِ احترامِ الوالدينِ ، حتى لو كانا أميينِ
جاهلينِ ، وكان الأولادُ متعلمين مثقفين ، فلا يجوزُ لهم الوقوفُ بوجهيهما
وتعنيفهما .

وهذا ما يؤكّده القرآن الكريمُ بشدّةٍ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا * إِمَّا يَنْتَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ
وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٩) .

فقد قرن الإحسانَ للوالدين بتوحيدِ الله في العبادة ، ونهى عن الردِّ
عليهما ، حتى إذا أساء إليك .

روي عن الإمامِ الصادق (عليه السلام) أنّه قال في تفسيرِ الآية : « إنَّ
أُضْجَرَكَ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ ، وَلَا تَنْهَرُهُمَا إِنْ ضَرَبَاكَ ، ﴿ قُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا ﴾ (قال) (عليه السلام) : - إِنْ ضَرَبَاكَ ، فَقُلْ لَهُمَا « غَفَرَ اللَّهُ لَكُمَا »
فَذَلِكَ مِنْكَ قَوْلٌ كَرِيمٌ » (١٠) .

فلا يمكن (يجوز) تحدّي الوالدينِ ، وإذا عَقَّهُمَا الشابُّ كانت عاقبتهُ
جهنّمٌ يلحقه فيها وإلداهُ حيث (تلعنهما) الملائكةُ يومَ القيامة ، وتخطبهما
بأنكما فعلتما ما اضطرَّ هذا الشابُّ إلى نهركما ، فأنّت أَيْتُها الأمُّ لم تنسجمي
مع زوجتيه فأجبرتيه على تعنيفك .

(٩) سورة الإسراء / ٢٤ .

(١٠) سفينة البحار ج ٢ ص ٦٨٦ .

وأنت أيها الأب تعاملت معه بأخلاقٍ سيئةٍ ، فاضطرَّ لِتُحدِّثِكَ ، فهو عاقٌ
وأنت الذي أجبرته على العقوقِ ، فمصيرُكما معاً جهنمٌ .

وهذا هو معنى الحديث النبوي المتقدِّم ، فهو يعني لعنة الله على
الوالدين اللذين يُجبران أولادهما على العقوقِ ، مثلما أنَّ اللعنة على الأولادِ
العاقين - ذكوراً وإناثاً - .

أرجو من الآباء أن لا يفرقوا في تعاملهم بين أولادهم ومن الأمهات أن لا
يفرقن بين الذكر والأنثى من أولادهم .

(ومع الأسف) نشاهد أحياناً والدَّةَ جاهلةً تُبدي حباً شديداً لابنتها وكأنها
تقول : إنها تُحبُّها أكثر من أخيها ، وواضح أنَّ الثمرة الأولى لهذا التمييز هي
سلبُ مودةِ الأم من قلبِ ابنتها وهذا ذنبٌ عظيمٌ وأعظمُ منه أن يُشير اختلافاً بين
البناتِ وأخيهما .

وإذا وقع مثل هذا الاختلاف بين أخوين أو أختين أو بين أخٍ وأخته
صعبتْ إزالته ، وكلما طال أمدُه ازدادَ إنَّمُ طرفيه ووالديهما .

الأب الذي يُميز في الإرث بين حصصِ أولادِه - قليلاً وزيادةً أو حرماناً -
يموت وتموتُ الأم ، ولكن الاختلاف بين أولادهما ينشب وينقل من جيلٍ
لآخرٍ تدريجياً ، ونعرف الكثير من مصاديق هذه الحالة .

من هو المقصر في كلِّ هذه المصاديق من قطع الرحم والتخاصم وهي
من أعظم الذنوب ١٩ .

إنَّه الأب الجاهل الذي فرَّق في تعامله بين ولديه ، والأم الجاهلة التي
ميَّزت في تعاملها بين بنتيها ، وهذا كفرٌ عند « أهل القلوب » .

لقد بيَّن القرآن الكريمُ أحكامَ الإرث وأنَّ للذكورِ حصصاً متساويةً
وللإناثِ حصصاً متساويةً حصة كلِّ منهن نصف حصة الذكر .

فالذي يرفض هذا التقسيم ، ويفرق بين حصص أبنائه ، أو بين حصص بناته إنما يتحدّى الله - تبارك وتعالى - وهذا كفرٌ عند أصحاب القلوب .

أيُّها السيِّدة ! إذا كنتِ تُحبِّين ابنتكِ ولا تريدين البؤس لها فلماذا تهينين صِهْرَكَ وتحترمين أصهارك الآخرين أكثر منه ؟ ! .

وإذا كنتِ عاقلةً ، فلماذا تُغيِّرين صِهْرَكَ هذا بالإشارة إلى وضع صِهْرَكَ الآخر ؟ ! .

وإذا كنتِ حكيماً أيُّها الأب ، فلماذا تُغيِّرُ ولدَكَ هذا بالإشارة إلى نجاح أخيه ، أو تفعل مثل ذلك مع بناتِكَ ؟ ! .

إنَّ مثلَ هذه الأعمالِ أسوأُ مِنَ القَتْلِ . فالذين يَئِدُّون أولادَهُم يموتُ الأطفالُ ويذهبون إلى الجنة .

أمَّا هذه الأعمالُ ، فهي تُؤدِّي إلى قتلِ أرواحِ الأولادِ .

فراقبوا أقوالكم وأفعالكم وتلك « الأمور الصغيرة الكبيرة » التي سبق أن تحدثتُ عنها ، فعدم احترامكم - مثلاً - لصِهْرَكُم الفلاني بِحُضُورِ الصَّهْرِ الآخر يُؤدِّي إلى قلبٍ ظهر المِجَنُّ لابنتِكُم (زوجته) وجلبِ الشقاء لها .

أحياناً يُغيِّرُ الأبُ ابنَه بنجاحِ أخيه ، فيقول له : - أنظر كم هو ذكي ! وكيف يدرسُ بصورةٍ جيِّدةٍ ! وكم هو صالح ! .

وانظرُ نفسَكَ وكم أنت خائب !! .

ونفس هذا القولِ يسبِّبُ للابنِ عقدةً نفسيةً تدفعُه إلى الإِجْرَامِ والخيانةِ والمَقْصَرِ هو أنتِ أيُّها الأبُ بسببِ فعلِكَ هذا .

وأحياناً يقدم الأبُ جهازاً تأثيثياً أضخمَ لزواجِ ابنته هذه لكونِ زوجها ثرياً ، ويُعطي أقلَّ منه لتلك لكونِ زوجها فقيراً ، وهو لا يدري أيةَ جريمةٍ يرتكبها بفعله هذا !! .

أيها السادة وأيتها السيدات إنَّ التمييزَ وعدمَ العدالةِ في التعامل لا يخلو أبداً من جلب المصائب .

فعلى الأمهات الانتباه على ضرورة العدالة في رعاية ومداعبة الأطفال ، فإذا قَبِلَتْ إحداهنَّ ابنتها ، فعليها أن تُقَبِّلَ ابنتها أيضاً .

إذا كنتم تُحِبُّونَ أحدَ أولادكم أكثرَ من البقية ، وإذا كان أحدهم ذا لسانٍ محبَّبٍ ، فاحذروا من أن تحولوه إلى مجرمٍ وبائسٍ .

اهتموا بالبنين بنفس مقدار اهتمامكم بالابن عندما يستقبلانكم حين دخولكم الدار ، وخذوهما معاً إلى أحضانكم وأجلسوهما معاً في حجركم وفي خِصَمِ ذلك لا تنسوا الزوجة كما قلتُ سابقاً . أوصيكم باجتنب كل تمييز بين أفراد الأسرة ، فهو يدمر أساسها .

أما إذا سادت المحبة والمودة ، فعندها تسقط كافة الأفعال وتزول نسبة الثلاثين بالتمية من الاختلافات تلك ، ويزول الاختلاف بين الزوجة وحمايتها ، وبينها وبين زوجها ، فلا صراخ ولا استغاثات ولا تعنيف ولا كلمات جارحة بين أفراد الأسرة .

وطوبى للأسرة التي تسود فيها المودة .

عليكما - أيتها الكنة وأيتها الحماة - اللتين تسود بينكما الرأفة والمودة أن تشكرا الله ، فهو يحبكما ، وعليكما أيها الزوجان المتحابان أن تشكرا الله كثيراً على ذلك وتسألوه أن يضاعف هذه المحبة بينكما ، فأنتما في أعظم نعمه ورحمة الله وكرمه وفضله والطفه تفعم بيتكما .

المحاضرة الثانية والعشرون : =

الفصل العاشر

العفو والصفح

العفو والصفح

وهو موضوع حديثنا لهذا اليوم ، وينبغي الاهتمام به ، وأرجو أن يجبر فقدان المودة في الأسرة .

وهذه الكلمة (العفو والصفح) كلمة مقدسة يشاهد الإنسان - حقاً - الأنوار ساطعة حولها عندما يتصورها ، وهي محبة ومقدسة حتى إنها تقترن بكلمة « المودة » .

والقرآن الكريم يؤكد كثيراً العفو ، ويقسمه ثلاثة أقسامٍ أو ثلاث مراتب على وفق رأي الفلاسفة القائلين بـ « التشكيك » .

فمرتبة الأولى هي أن يواجه الإنسان الإساءة له ، فيتجاوز عنها بدافع إلهي أو إنساني : - ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١) .
الآية تأمر المسلم بالتحلي بأسلوب وملكة العفو ، وأن يأمر عياله وأصدقاءه بها .

فالمرتبة الأولى هي التجاوز عن السيئات .

أما المرتبة الثانية - وهي أسمى من الأولى وهي ما يريده القرآن منا - فهي

(١) سورة الأعراف / ١٩٩ .

الوصول إلى مقام لا يُشاهد الإنسان فيه الإساءة له أصلاً بمعنى أن يتكامل ويتحلّى بالعفو إلى درجة أنه لا يرى العمل السيء الصادر ضده عن زوجته لكي يعفو عنه .

وهذا ما يُسمى بالصفح ، يقول - تعالى - : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٢) .

فعلى الإنسان وعلى المسلم التحلّي بالعفو ، ثم بالصفح وكرم النفس وكبرها ، فيتجاهل الإساءة إليه .

فالذين يعملون على وفق هذا المنهج في الدنيا يتعامل معهم رب العالمين بالعفو والذين يصفحون في الدنيا ، ولا يُبدون أثراً على الإساءة لهم ، لا يبدي الله سيئاتهم في الآخرة .

وقد سمعتم جميعاً أنّ البعض يدخلون الجنة دون حساب وهذا هو معنى دخولهم دون حساب ، فمرة يُحاسب ويشمله العفو ومرة لا يُحاسب أصلاً .

القرآن الكريم يخاطبك بأنك إذا أردت عفو الله عنك يوم القيامة ، فعليك بالتحلّي بالعفو في الدنيا ، في بيتك ، وإذا أردت أن يدخلك الله الجنة دون حساب ، فلا تفتح حساباً وكتاباً لأحد في الدنيا . فلا تُعير زوجتك بسيئاتها ، ولا تفعل هي مثل ذلك ولا تتأذى أصلاً ، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك الشعر المنسوب له : -

أمرٌ على اللئيم يسُبُّني فقلتُ له إنه لا يعنيني
ويقول - تعالى - في آخر سورة الفرقان في خِصال المؤمنين : - ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ (٣) .

(٢) سورة النور / ٢٢ .

(٣) سورة الفرقان / ٦٣ .

فتعامله مع المُسيئينَ الجاهِلينَ هو عدمُ الانفعالِ أصلاً ، فعندما يدخلُ بيته ، ويرى وضعَهُ ووضعَ الأطفالِ غيرَ مناسبٍ ووضعَ الزوجةِ لا ينسجُمُ مع المرأةِ التي تهتمُّ برعايةِ واجباتها الزوجيةِ يَصْفَحُ عن ذلكِ أي يَغُضُّ الطرفَ عنه ، وهذا معنى الصَّفحِ .

وعندما ترى المرأةُ زوجها لا يقومُ بواجباته الزوجيةِ تصفحُ عنه .

وهذه الصفة تكرر ذكرها في آخر سورة الفرقان بتعبير آخر حيث يقول :

- ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغَوِّ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٤) .

ونستفيدُ من هاتين الآيتين أن على المؤمنة والمؤمن أن يتحليا بالعفو بل بالصفحِ أي : أن يصلّا إلى المقامِ الذي يتغاضيا فيه عن الإساءةِ مثلما أن صفعة الطفل الذي لا يتجاوز عمره العام الواحد لا تُغضبُكم ، وتغضون الطرفَ عنها أساساً .

وعلى الكريم أن يكون متحلياً بهذه الصفةِ حسبما ينصُّ عليه القرآن الكريم ، وإذا أرادَ الحصولَ على عفوِ الله وصفحه ودخولِ الجنةِ دونَ حسابٍ يومَ القيامةِ ، فعليه التحلي بهذه الصفة .

وفي هذه الآية الكريمة دلالةٌ لطيفة على أن الذي لا يتحلّى بالعفو والصفحِ في الدنيا ، ويُعزِّرُ الآخرينَ بسيئاتهم لن ينالَ عفوَ الله وصفحه عنه يومَ القيامةِ : - ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٥) .

هذه هي المرتبة الثانية ، ولكن الإسلام والقرآن يريدان منا شيئاً آخرَ خاصّةً منكم أيها المؤمنون والمؤمنات بحكم التّصاقِكم بالموعظةِ والعبادةِ ، وبحكم كونكم تحظون بكرامةِ التشيع .

(٤) سورة الفرقان / ٧٢ .

(٥) سورة النور / ٢٢ .

فما يريدأنه منكم هو المرتبة الثالثة للعفو ، يقول - تعالى - : ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (٦) .

وقد تكرر هذا المعنى في آياتٍ أخرى : - ﴿ اذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٧) فلو أساء لك أحد فادفع إساءته بأفضل صورةٍ من الإحسان ، وهذا ما يؤكده الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بقوله : - « أحسن إلى من أساء إليك » (٨) .

هذه الصفة ورد حثنا عليها في سورة يوسف هذه السورة العجيبة التي فيها « أحسن القصص » بحسب الوصف القرآني لها وهي حقاً سورة تضم عالماً من الأخلاق بحيث لو عمل بها الإنسان ، لأصبح كاملاً بكل معنى الكلمة .

ففي هذه السورة نكات عجيبة إحداها تتعلق بموضوع حديثنا ، فهي تتحدث عن شدة الأذى الذي ألحقته زليخا بيوسف ، ثم ألقته في السجن عدة أعوام ، حتى صدر الأمر بإطلاق سراحه ، لكنه لم يخرج وقال للرسول اذهب وقل للملك : - ﴿ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (٩) .

ولماذا آذته زليخا بكل ذلك الأذى ؟ .

ولماذا عشقته ؟ .

ثم شكّل الملك هيئة (للمحاكمة) استدعت أولئك النسوة واعترفن ببراءة يوسف ، وعندها قالت زليخا : - ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٠) .

(٦) سورة القصص / ٥٤ .

(٧) سورة المؤمنون / ٩٦ .

(٨) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٧١ .

(٩) سورة يوسف / ٥٠ .

(١٠) سورة يوسف / ٥١ .

فلما خرج يوسف من السجن كانت الجملة الأولى التي قالها هي : -
﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ (١١) .

أي : أنه بين أن هدفه من إجبار النسوة على الاعتراف وتبرئة نفسه هو أنه
كان سيصبح « عزيز مصر » .

وهذا ما لا يتلاءم مع مثل تلك التهمة .

ومعنى الآية هو أن يوسف لم يكن ليكشف عن كل تلك الإساءات والأذى
والضربات والسجن لعشرة أعوام والتي وجهتها له زليخا والنسوة لولا أن أمراً
أكبر أهمية اقتضى الكشف .

وهذا هو الصنف الذي يريده منا القرآن الكريم .

ثم يواصل القرآن حديثه حتى يصل إلى مجيء إخوة يوسف إليه
ومعرفتهم لأخيه وانكشاف فضيحتهم عندها ولكيلا يخجلوا قال لهم : - ﴿ لَا
تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (١٢) .

وقد ورد في ذيل هذه الآية الكريمة وضمن الأحاديث الشريفة المتحدثة
عن قصة يوسف ، أنه (عليه السلام) أقام مأدبة لإخوانه ، وفيها عرفهم نفسه ،
وتحدث معهم بلغة المودة والعفو والصفح ، فقد لاحظ الأذى بادياً على
وجوههم ، إذ تذكروا ما ارتكبوه ضد أخيه - يوسف - ، فتحدث لهم مشيراً
إلى أن ما قاموا به ضده كان على أي حال سبباً لوصوله إلى مقام « عزيز
مصر » ، ولولم يلقوه في الجب لاضطر اليوم إلى المجيء من كنعان إلى مصر
من أجل حفنة من الحنطة .

فطيب خواطرهم ، بإشارته إلى أنهم بالتالي كانوا سبباً لأن يصبح هو عزيز

(١١) سورة يوسف / ٥٢ .

(١٢) سورة يوسف / ٩٢ .

مصر ، هذا هو الموقف الأول^(١٣) .

أما الموقف الثاني ، فهو عندما أتاه إخوته مع والديه اللذين أجلسهما على العرش ، وبالغ في إكramهما وإكرام إخوته ، خاطبهم كما ينقل القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾^(١٤) . وهذا الموقف هو صفح .

أما الموقف الثالث الذي يعبر عن المرتبة الثالثة وهي الأسمى ، فهو الذي يتضح منه كمال يوسف ، فعندما أجلس أباه على العرش - وكان يوسف على ما يبدو قد أعد خيمة وعرشاً خارج مصر لاستقبال أبيه وإخوته - أخبره أن هذا هو تأويل رؤياه ، وهذا هو المقام الذي وصل إليه : - ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾^(١٥) .

وكانه بذلك يطلب من أبيه أن لا يتأذى من إخوته ، فما فعلوه من إلقائه في الجب هو من فعل الشيطان ، وما فعلوه كان سبباً ليُوصلي ، ووصولك إلى هذا المقام .

ولمثل صاحب هذا الموقف يُقال « إنسان كامل » .

ولا تتوهموا أن القرآن يريد مجرد سرد القصص ، بل يريد - في أسلوب القصة - أن يقول : - أيها الشيعي وأيها المسلم عليك التحلي بهذه الصفات ، بالعمو والصفح ودرء السيئة بالحسنة وتحويل السيئة إلى حسنة .

وهناك آية كريمة يفسرها المفسرون بمعنى ، ويعرض لها أصحاب

(١٣) راجع فيما يتعلق بالأحاديث الشريفة الواردة بشأن قصة يوسف ص ١٧٩ وما بعدها من كتاب « النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين » للسيد نعمته الله الجزائري من تلامذة العلامة المجلسي وراجع كذلك تفسير البرهان للعلامة البحراني في ذيل الآية ٩٢ من سورة يوسف .

(١٤) سورة يوسف / ٩٩ .

(١٥) سورة يوسف / ١٠٠ .

القلوب الحيّة والإقبال وعلماء الأخلاق معنى آخر ، وهي : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (١٦) .

فالتفسير الأول (الظاهري) هو - مثلاً - لو قطع أحد يدك اقتص منه الحاكم الشرعي بمثل ذلك .

أما التفسير الثاني ، فهو : - أنه لو أساء إليك أحد ، وقابلته بالإساءة المماثلة ، فكلاكما مذنبان فمجازاة رمي الحجر برمي مثله هو معصية مثل المعصية الأولى (١٧) .

وأتصور أن المواظبين على مجالس الوعظ يعتبرون التفسير الثاني أفضل كثيراً من الأول ، وأرجو أن تستسيغوه أنتم أيضاً ، فهو أفضل من التفسير الأول ، وعملكم على وفقه فيما يأتي .

وأطلب منكم أن تعملوا على وفق ما يرضاه لكم الله - تعالى - فهو يرضى عمل الذين : - ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (١٧) فإذا شتمك أحد فلا تشتمه : - ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (١٨) .

لقد عاش النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ثلاثة عشر عاماً بعد البعثة في مكة ، لكن أهلها السفهاء لم يفسحوا له المجال لهداية أكثر من أربعين أو

(١٦) سورة الشورى / ٤٠ .

(١٧) لعل الآية الكريمة - حتى وفق التفسير الأول - لا تتعارض مع ما ندب إليه القرآن من السنة في مواقع أخرى من التعامل بالعرف والصفح والعدل والإحسان وعدم نسيان الفضل بين أعضاء المجتمع الإسلامي ، فالآية تشير إلى حكم القصاص كإجراء ردعي يحفظ النظام الاجتماعي من الانهيار بسبب التجاوزات ويلي الحاجة الفطرية لدى الإنسان للعدل والاقتصاص ممن ظلمه وليكون اتخاذ قرار العفو والصفح من موقع القدرة والتنازل الطوعي عن حقه بحكم أنه « كان منصوباً شرعاً » وليس عفواً مضطراً إليه ومجبوراً عليه ، فمثل العفو والصفح الإجباري لا يساهم في تكاملية أخلاقه ولا يعبر عنها .

(١٨) سورة الفرقان / ٦٣ .

خمسينَ شخصاً من أهلها ، ثم إنه فتحها دون إراقة دماءٍ في السنة الثامنة للهجرة وبجيش يربو تعدّده على الاثنى عشر ألفاً .

فهل مثل يوم الفتح وهو يوم المرحمة بعد كل تلك الحروب والقتل والتقدم والانتصار ؟ ! .

من الطبيعي أن يُحسَّ مَنْ في موقعه (صَلَّى الله عليه وآله) بلذّة كبيرة في مثل هذا اليوم حيث إنه جاء بعد عشرين عاماً من تحمل أشكال الصعاب وخوض أكثر من أربع وسبعين غزوة ومعركة من أجل تطهير بيت الله من لوث الأصنام .

في بداية دخوله مكة ، توجه إلى البيت الحرام ، وحطّ بيدي أمير المؤمنين (٣٦٠) صنماً وطهره منها ، ثم نظر إلى نفس باب البيت المحرم - الذي مازال موجوداً وأسأل الله أن يرزقنا جميعاً زيارته في كل عام ، ففيه لذة عظيمة ففي النظر إليه لذات ولذات لأهل القلوب الحية .

فلو كان الإنسان من هؤلاء ، لوجد أن لبيت الله جاذبية مثلما للمغناطيس وأية جاذبية يحسها وهو يجلس في زاوية من المسجد ينظر له خاصّة في الأسحار - ، في هذا المسجد وقف (صَلَّى الله عليه وآله) واستلم حلقة الكعبة ، وقرأ دعاء الوحدة الذي تعرفونه : « لا إله إلا الله وحده وحده وحده » .

وكان المسجد مكتظاً بالناس ، بنفس أولئك الذين كانوا يرمونه بالحجارة ، وشجّوا جبهته ، وحاربوه في أربع وسبعين معركة .

هؤلاء كانوا يرتجفون خوفاً ، فلعلهم كانوا يتصورون أنه (صَلَّى الله عليه وآله) سيأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بإعمال السيف فيهم والقيام بمجازر عامة لهم ، لكنّه عندما أتمّ تلاوة ذلك الدعاء أقبل عليهم ، وقال لهم - وهم الخبناء الكامل وفيهم أبو سفيان وزوجته هند آكلة الأكباد - : « يا معشر قريش

ماذا تقولون وماذا تظنون أني فاعل بكم ؟!

قالوا : - خيراً .. أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال (ص) : « أقول كما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين ... اذهبوا فأنتم الطلقاء » (١٩) .

ثم كان أن قبل إيمانهم وكان يعلم أن بعضهم أمثال أبي سفيان وهند لا يستقر الإيمان في قلوبهم ، فقبل منهم مجرد الشهادة ، بل قبل دخوله مكة أعلن أن بيت أبي سفيان من محال الأمن ، لأن أبا سفيان كان زعيماً لمكة ومعجباً للزعامة ، فأعطاه نمطاً منها .

ونقرأ في السيرة أن أحد أفراد جيش الرسول (صلى الله عليه وآله) رفع الراية يوم فتح مكة وأخذ يتجول في أزقتها وهو يصرخ « اليوم يوم الملحمة » أي أنه أخذ يتوعد أهلها بالانتقام ، وعندما وصل الخبر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر علياً (عليه السلام) أن يأخذ الراية منه ويسير في أرجاء مكة معلناً هتاف « اليوم يوم المرحمة » ، هكذا هي سنة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وعليها كانت سنة الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) .

إن القرآن يأمر بالعفو وبما هو أسمى منه وهو الصفح وبما هو أسمى منه وهو : - ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ .

وكان (صلى الله عليه وآله) يؤكد : - « ليس حسن الجوار كف الأذى (عن الجار) بل تحمل الأذى منه أيضاً » (٢٠) .

يُحكى أن رجلاً جليلاً عاد جاراً مريضاً ، فشاهده مضطجعاً في غرفة تكثر الرطوبة فيها - في أرضها وجدرانها ، فأذاه ذلك خاصة عندما شاهد الرطوبة

(١٩) بحار الأنوار ج ٢١ فصل فتح مكة ومثله في سيرة ابن هشام والوفاج ٢ ص ٤٢٢ وغيره كثير .

(٢٠) سفينة البحار ج ١ ص ١٩٢ .

تأتي من جهة بيته إلى بيت جاره ، فسأل جاره : لماذا لم تخبرني بالأمر ، لكي أمتنع سريان هذه الرطوبة إلى دارك ؟ .

فأجاب الجار المريض : خشيتُ أن يُوقعك ذلك في مشقة لا أُحبها لك ! .

هذا هو نهج الإسلام في التعامل مع الغرباء ، فما بالك بالكثرة والحماسة وبين الزوجين ؟ ! .

إنه يريد أن يكون التعامل بين هؤلاء على وفق نهج « درء السيئة بالحسنة » .

وحرى أن تكتب هذه الآية الكريمة بماء الذهب ، وتُنصب إزاء النظر في بيوتكم ليتلوها كلا الزوجين يومياً .

فمثل هذه الآية تُذهِبُ الهمَّ والغَمَّ ، وليس يأتي ذلك فقط من اللوحات الجذابة للمناظر الطبيعية للأشجار والشلالات التي تنصبونها في بيوتكم .

فانصبوا لوحات مزينة بهذه الآية ، ليراها الزوجان والأولاد ، لكي يتحقق إحياء ملكة العفو وملكة الصفح فيكم تدريجياً .

قبيح للمرأة أن تُخاصِمَ زوجها ، لكونه عَنَفَهَا ، فهذه ليست الزوجة التي يُريدها القرآن .

وقبيح للرجل أن يخاصِمَ زوجته ، لكونها أساءت إليه ، فليس هذا العمل يناسب أخلاق الزوج التي يرضاها القرآن والذي يأمر بدرء السيئة بالحسنة ، فإذا عامَلَتْهُ بعنفٍ تبسّم لها .

وإذا خاصَمَتْهُ صالَحها مثلما أمر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) تلك المرأة ، بمُصالحة الزوج فور وقوع كدورة بينهما ، حتى « لو كان

ظالماً» (٢١) .

فالنزوجة هي كل الحنان والمودة والرجل يجب أن يكون متحلياً بالرجولة ، فلا يصيب عياله بوزر السيئات ، وأحد الأساليب التربوية السليمة التربية غير المباشرة .

وخلاصة الحديث هي أنه لو كان التوافق الأخلاقي في الأسرة هو بنسبة (٧٠ ٪) فعلينا أن نجبر الـ (٣٠ ٪) الأخرى بالتحلي بالعرف والصفح ، ليكمل التوافق ويصبح بيت الأسرة منبع السكينة بحسب التعبير القرآني : ﴿ لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ .

(٢١) تقدم كامل الحديث .

المحاضرة الثالثة والعشرون : =

الفصل الحادي عشر

سوء الظن

- منشأ سوء الظن
- آثار الوسوسة
- ١ - نسج السليبيات
- ٢ - الكسل والضجر
- ٣ - سوء الظن
- أخطار سوء الظن

سوء الظن

الفصل الحادي عشر من بحثنا هو عن سوء الظن وتأثيره في الأسرة ؛ وهو مرض مهلك للإنسان مدمر للأسرة ، ولعله أشد الأمور تدميراً لها أو في الأقل من الآفات الكبيرة المهددة لهذه المؤسسة المقدسة .

● منشأ سوء الظن :

وهو ينشأ من الوسواس الذهنية ، فأحياناً يتسلط الشيطان على عقل الإنسان فيجعله شخصاً متذبذباً مرائياً منافقاً مؤذياً ، أي : يجعله « شيطانياً إنسياً » فيسخر الشيطان عقله من أجل تحقيق أهدافه .

ولهذا تجده يفكر باستمرارٍ لصَبِّ الشقاء على الآخرين .

وأحياناً يتسلط الشيطان على قلب الإنسان ، فيجعله عابداً للأوثان - بكامل المعنى - بحسب المفاهيم القرآنية ، فتستحوذ على قلبه الأهواء فيصبح فاسقاً فاجراً عابداً للشيطان - وليس لله - مشركاً بالشرك الشيطاني ؛ يقول - تعالى - في سورة (يس) : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ^(١) .

(١) سورة يس / ٦٠ .

إن الذي استحوذ الشيطانُ على قلبه وأخرج منه محبةَ الله يُصبح ما يُلقى فيه شيطانياً وليس رحمانياً .

وتارةً يتسلطُ الشيطانُ على « قوة الخيال » للإنسانِ التي يُقال لها « الوسوسة » فيُوصف الإنسانُ بأنَّه « وسواسي » ، وهي على نوعين : -

١ - الوسوسة الفكرية ، وهي محورُ حديثنا لهذا اليوم .

٢ - الوسوسة العملية ، وهي التي تظهر مصاديقها لدى بعض المتدينين تجاه الطهارة والنجاسة وصحة سائر عباداتهم .

وهذا موضوعُ حديثنا ليوم غد - بمشيئة الله وألطف بقیة الله (عليه السلام) والإطار العام للموضوع هو أن استحوذ الشيطانُ على قوة التخيل لدى الإنسانِ توجد له حالة الوسوسة التي تتعلق مرةً بالأفكار وأخرى بالأعمال .

ففي الأولى توجد لديه أفكار باطلة سفيهة تتحكم به ، وفي الثانية تجعله يرتكب أعمالاً باطلة عديمة الجدوى وكلتا الحالتين خطرتانِ جداً يفوقُ خطرهما سائر الأمراض الأخرى وهي بكلا نوعيهما نمطٌ من الجنون كما يبين الإمام الصادق (عليه السلام) ، - فعن عبد الله بن سنان قال : - « ذكرتُ لأبي عبد الله (عليه السلام) رجلاً مُبتلىً بالوضوء والصلاة ، وقلتُ : - هو رجل عاقل ، فقال (ع) : - وأيّ عقلٍ له وهو يُطيعُ الشيطانَ ؟ .

فقلتُ له : - وكيف يطيعُ الشيطانَ ؟ .

فقال (ع) : - « سَلُّهُ هذا الذي يأتيه من أي شيء هو ، فإنه يقول لك من عملِ الشيطان » (٢) .

(٢) راجع أصول الكافي ج ١ ، « كتاب العقل والجهل » الحديث (١٠) .

فالوسوسة (الفكرية والعملية) هي نمطٌ من الجنون كما يبين ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) وكما يؤكد علماء النفس .

● آثار الوسوسة :

١ - نسج السليبات : - وهي من جملة الآثار الخطيرة للوسوسة الفكرية ، فالبعض لا يرون سوى السليبات - في أنفسهم وفي الآخرين - فأعينهم لا ترى سوى السليبات أي المفقود ، فلا يهتمون بإيجابيات الشخص لانحصار تفكيرهم في البحث عن عيوبه . فأحدهم يدأب في تقصي العيوب - عيوبه وعيوب أصدقائه ومُجمعه .

وهذه ظاهرة خطيرة وكثيرة الانتشار . ومن آثارها الخطيرة أنها تصد الإنسان عن الرقي والتطور ، وذنبها عظيم ، وصاحبها مثل الذبابة تسعى إلى القذارة حتى بين الزهور الجميلة فإذا كان بدنك نظيفاً لم تقترب منك ، لكنها تحط على مكان الجرح أو القيح إذا وُجد فيه .

وهذا هو حال البعض من الذين ينسجون السليبات ويتقصون العيوب ، وإذا تحولت هذه الحالة إلى ملكة فيهم وتحولت الملكة إلى هوية ، فإنهم سيظهرون يوم القيامة بصورة ذباب في المحشر - بحسب قانون تجسّم الأعمال - .

أوصيكم جميعاً ولا سيما السيدات باجتنب هذه الحالة ، وبالنظر إلى إيجابيات أزواجكم .

ونفس الشيء أوصي به الأزواج ، فلا يكن سعي أحدكم في العثور على نقص في الآخر ، بل اهتموا بالإيجابيات كالبلبل الذي يتنقل دائماً بين الزهور ولا تكونوا مثل الذباب تبحثون عن قذارات عيوب الآخرين .

الإنسان فاقدٌ للوفاء ، فأنت تحسن إلى زوجتك عمراً ولكنك إذا نهرتها

يوماً تنسى كل ذلك الإحسان .

وهذه الزوجة إذا أحسنت عمراً في قيامها بواجبات الزوجية ورعاية شؤون البيت والأطفال ، ولم تقم يوماً بما أرادته زوجها ، فإنه ينسى كل شيء ، ويُغَيَّر تعامله ، ليوضح عدم وفاء الإنسان .

وهذا ما يعاتبه القرآن عليه بقوله : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ (٣) .

ولذا أرجوكم أن تجتنبوا هذه الحالة .

٢ - الضجر : - ومن آثار الوسوسة الفكرية هي أنها تجعل الإنسان ضَجْراً من حياته يفقد النشاط ويفكر بعشوائية مجيئه للعالم - والعياد بالله - ويفكر بالانتحار ، إذا كان ملجداً أو غير متدين ، وهذا هو سبب ظاهرة الانتحارات التي تشهدها الدول الغربية بكثرة ، فقد تدفع الوسوسة الفكرية إلى التفكير بما لا يوصله إلى نتيجة ، إذ لا يحصل على نتيجة فيمل الحياة ، فينتحر .

ويرى علماء النفس أن هذه الوسوسة هي سبب إثارة السؤال (الاستنكاري) لدى بعض الشباب اعتراضاً على مجيئهم إلى هذه الدنيا ، وسبب الكسل والملل من الحياة والضياع ، لكونهم لا يعرفون جواب سؤالهم ، ولو أجيب أحدهم عما يسأل وهو في خضم التفكير منعت الوسوسة الفكرية من الاقتناع ، واستمر في تصوُّره أنَّ الخير هو في الانعتاق من هذه الدنيا .

لا أنسى حادثة نقلها أحد الكتاب قائلًا : « استيقظت صباح أحد الأيام ، فوجدت نفسي كسلاً وقليلًا للغاية ، وقلت في نفسي : ويل لي وهذا يوم جديد . وكانت أمامي صحيفة ، فتعجبت من وجود موضوعين متناقضين فيها : -

(٣) سورة عبس - ١٧ .

الأول عن انتحار أحدهم بصورة عجيبة ، فقد كان مصاباً بالقُرحة المَعِدِيَّة ، فعمد إلى سكين شقَّ بها بطنه ، وأخرج مَعِدَتَه ورماها ، وقال : أريد أن أعيش دقيقة واحدة دونك فمات بعد دقيقة ! .

ورأيت على الجانب الآخر للصحيفة مقالاً كتبته سيِّدة تقول فيه : - «إنني - والحمد لله - أستيقظ كل صباح ، وأرى أمامي يوماً جديداً مفعماً بالنشاط ، فأشكر الله على أن وهبني العمر ، لأعيش يوماً آخر » .

قال هذا الكاتب : ففكرت في الأمر ، وسألت : ما هو سرُّ نشاط وحيوية هذه السيِّدة وانتحار هذا الشخص ؟ .

وما هو سرُّ كسلي وغمِّي وهمي ؟ ! .

فعرفت أن سببها عندي هو الوسوسة الفكرية .

وبعبارة أخرى من الضجر والجهل في الحياة وهما نتيجة هذه الوسوسة .

٣ - سوء الظن : - وهو الأثر الأخطر ، فالوسوسة الفكرية تجعل الإنسان سيِّء الظن بأسرته أولاً والأخريين ، ثمَّ ينتقل تدريجياً إلى سوء الظن بالله - تعالى - والنبي والقرآن والأئمة الأطهار ، ويجعله سوء الظن هذا كافراً .

فسوء الظن من الشيطان وهولا يقنع بالقليل ، لكنه يبدأ من القليل ، فلا يترك الإنسان حتى يوصله إلى الدرك السابع من الجحيم ، وعندها يسخر منه ويقول : أنت الذي جئت إلى هنا بقَدَمَيْكَ ، فما علاقتي أنا بك ؟! وهذا حال الوسوسة الفكرية ، فهي في البداية تجعل الإنسان سيِّء الظن بدرجة قليلة تكبر تدريجياً ، حتَّى تصل إلى سوء الظن بالله والرسول والقرآن والأئمة (عليهم السلام) .

أخطار سوء الظن :

الخطر الكبير لسوء الظن هو أنه يؤدي أحياناً إلى التفسيق ، بمعنى أن تصور الوسوسة الفكرية وسوء الظن لدى الإنسان الطرف المقابل سيئاً ، وإذا وقع التفسيق تلاءم التكفير ، ثم جواز القتل أو وجوبه !! .

أحياناً ، نرى شاباً متديناً ثورياً ، لكن سوء الظن يدفعه إلى تفسيق الآخرين وتكفير العلماء والكبار ، وهذا التكفير يحل له أو يوجب عليه قتلهم !! .

فيقتل عالماً كبيراً بسبب سوء الظن .

ولا تتصوروا أن الأمر يسير ، فسوء الظن الناتج من الوسوسة الفكرية يصل أحياناً إلى أشكال عجيبة من الجنون خاصة إذا ظهر تجاه الأسرة ، كأن يُسيء الزوج الظن بزوجته - والعياذ بالله - وإثمها هنا عظيم ، كأن يسعل (يتنحس) رجل في الزقاق ، فيقع الزوج في سوء الظن ، ويقول لزوجته : إن هذا الرجل فعل ذلك من أجلك !! .

ومثل هذا الزوج مجنون بالكامل ، أو يتأخر الزوج في شراء الخبز ، فتقول الزوجة : إنه ذهب إلى زوجته الثانية (الوهمية) ، ويرتفع صراخها فاضحة نفسها وزوجها ، وهذا جنون بكل معنى الكلمة .

هناك قصة مشهورة بين الناس وقد رأيت الكثير من المصاديق المشابهة لها (بدرجة أو أخرى) ، ومفاد هذه القصة (المثل) هو أن زوجين كانا مُضْطَجِعِينَ على سطح البيت - وتعلمون أن مجرة (طريق الأسد) تمتد مثل جادة في السماء باتجاه القبلة وشائع بين الناس أنها تُشير إلى طريق مكة ، فسأل الزوج زوجته عن هذه المجرة وكانا ينظران إليها فأجاب بهذا الشائع ، وقالت : لو أن الحجيج ضلوا الطريق إلى مكة اهتدوا بها إليه .

فلما سمع جوابها . أَخَذَ السَّوْطَ وَهَجَمَ عَلَيْهَا صَارِخاً ، لَقَدْ وَضَعْتَ خُطَّةً لِّجَعْلِي أَنَا هُنَا لِيَأْتِيَ الْحُجَّاجُ ، فَيَقْتُلُونِي لَكِي تَتَزَوَّجِي زَوْجاً آخَرَ ۱۱ .

ولعلَّ هذه القِصَّة ليست واقعية ، ولكنَّ أحدَ السَّادة نقل لي (قِصَّة واقعية مماثلة) ، قال : - جاءني زوجان ، الزوج كان مُبتلىً بالسُّوسية الفكرية والزوجة مُبتلاةً بالسُّوسية العملية في الطهارة والنجاسة ، فتوجَّهتُ لها ، وقلت : إِنَّكَ مُوسُوسَةٌ ، فإذا أَصْغَيْتِ لِمَا أَقُولُهُ لَكَ ، ولم تلتفتي إليَّ وسواسِكَ ، تَمَّ اسْتِثْصَالُ جَدُورِهِ مِنْ قَلْبِكَ خِلالَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فرأيتُ أَنَّ الزَّوْجَ قد تَغَيَّرَ بِدَرَجَةٍ غَرِيبَةٍ ، وَرَفَضَ أَنْ أُعَالِجَ وَسَاوِسَهُ الْفِكْرِيَّةَ ، وقَامَ وَذَهَبَ .

وبعد مدة أَتَصَلَ بي هَاتِفِيّاً وقال لي : لقد فَهِمْتُ مَا قُلْتَهُ لِزَوْجَتِي ! لقد طَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تُتَلَّقَ مِنِّي وَتَتَزَوَّجَكَ ، ووَعَدَتْهَا أَنْ تُشْفِيَهَا خِلالَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ تحت إِشْرَافِكَ ! .

وهذا الزوج مجنونٌ بالكامل وأشباهه كثيرون .

فالمُراة تُسيءُ الظَّنَّ بِزَوْجِهَا أَوْ يُسيءُ الظَّنَّ بِهَا ويعتبرها منحرفة ، فإذا ضَاعَتْ مِنْ جِيهِ - مثلاً - ورقة نقدية أو صَرَفَهَا وَنَسِيَ يُلْقِي الأَمْرَ عَلَى زَوْجَتِهِ ، فيَتَّهِمُهَا بِالسَّرْقَةِ والجَرِيمَةِ وانعدامِ العِفَّةِ .

وتصل به الوقاحة أحياناً إلى إظهار أوهامه هذه ، وتفعل الزوجة أحياناً أفعالاً مماثلة .

وَإِنَّ هَذِهِ الأَعْمَالُ عَظِيمٌ ، يَقُولُ - تَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ (٤) .

إذن فالآية تنهى الإنسان عن التحدث عما لا يعلم أتباعاً للظنِّ ، وتنهاه عن سوء الظنِّ بالآخرين ، فمثل هذا ومثل تلك الأقوال والأفكار الخاطئة سيرد

(٤) سورة الإسراء / ٣٦ .

السؤال عنها يومَ القيامةِ من سَمِعَكَ وبَصَرَكَ ولسانَكَ وفؤادَكَ ، وستشهد عليك أعضاؤُكَ وجوارحُكَ .

فإذا أساءَ رجلُ الظَّنَّ بزوجتهِ لكنه كتمهُ ولم يقل لها ولا لغيرها ، فسيخرجونه يومَ القيامةِ في المَحْشَرِ ، وسيشهد عليه قلبه ، ويُقال له : - لماذا ظننتَ بزوجتكِ السوءَ ؟ .

ألم ينهكم الإسلامُ عنه ؟ .

إنَّ على المسلم اتِّباعَ اليقين ، وليس الظَّنَّ والحدس .

والذين يُسيئون الظَّنَّ ليسوا مسلمينَ حقيقيين : ﴿ وَظَنَنْتُمْ ظَنُّ السُّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ (٥) . قُتِلَ (ملعون) ذاكُ الذي يلتف داخل شرنقةِ ظنونه وأوهامه الخاطئةِ مثلما تفعلُ دودةُ القَزِّ ، حتى يخْتِنِقَ ، وأوصِي كلُّ مَنْ يُسيءُ الظَّنَّ - رجلاً كان أو امرأة - أن يتذكر - كلما خطر في ذهنه ظنُّ سيءٍ - قوله - تعالى : - ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ (٦) .

وروي أنَّ رسولَ الله (صَلَّى الله عليه وآله) نظرَ إلى الكعبةِ ، فقال : - « مَرَحَبًا بِالْبَيْتِ مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ عَلَى اللَّهِ !! وَاللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكَ ، لَأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنْكَ وَاحِدَةً وَمِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثَةَ ، مَالَهُ وَدَمَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنُّ السُّوءِ » (٧) .

وأقسمَ عليكم بالله أن تتدبَّروا في جعلِ النبيِّ الأكرم (صَلَّى الله عليه وآله) لِسوءِ الظَّنِّ بمصافِّ القتلِ ، وأكلِ المالِ الحرامِ ، فهو يُوَضِّحُ أَنَّهُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ مُدْمِرٌ لِلْأُسْرَةِ فَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ تُسِيءَ الظَّنُّ بِزَوْجَتِكَ الْعَفِيفَةِ ، وتُسيءَ لها بكلمةٍ غيرِ عفيفةٍ ، فلن تخرجَ هذه الكلمةُ من قلبها مهما كانت عفوَّةً .

(٥) سورة الفتح / ١٢ .

(٦) سورة الذاريات / ١٠ ، ١١ .

(٧) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٧١ .

وهذا طبيعي ، فالكلمة الجارحة لِعَفَّتْهَا لا تقتل المودة وحسب ؛ بل تزرع أيضاً في قلبها شجرة الكره .

ونفس التحذير موجه إلى السيدات أيضاً .

ولا أنسى تأثير ذلك الظن السيء الصادر عن إحدى السيدات بزوجهما الذي نقل الحادثة التالية قائلاً : « في تلك الليلة كنت قد حصلتُ على عمل إضافي ، وأضطررتُ أن أعمل ساعة أو ساعتين زيادةً على المعتاد .

ومن أجل مَنْ ؟ من أجل نفس تلك الزوجة وأطفالها ؟ وبعد إتمام العمل الإضافي رجعتُ إلى البيت وأنا متعبٌ وجائعٌ ، فقد رفضتُ الطعام اللذيذ الذي أعد لي في محل العمل ، لكي أعود إلى البيت ، وأتناول طعامي مع العيال ، وصلتُ المنزل ، وطرقتُ الباب ، ففتحتُ زوجتي الباب واستقبلتني بصراخٍ وتعنيفٍ ، وقالت لي : ارجع إلى حيث كنت منذ المغرب ! .

فقلتُ لها : حسنٌ سأفعل ، فذهبتُ إلى أحدِ الفنادق ، وتناولتُ فيه الطعام ، ثم استأجرتُ منزلاً في صباحِ غدِ ذلك اليوم وبالأستعانة بهذا وذاك تزوجتُ في نفسِ اليوم ، وأسستُ أسرةً أخرى وبقيتُ عندها قرابةً أسبوعٍ عُدْتُ بعدها إلى بيتي الأول ، وقلتُ لزوجتي الأولى : لقد ذهبتُ إلى حيثُ أمرتني ، ومن الآن فصاعداً ستكون لكِ ليلة ، ولها ليلة ، فإن أردتِ ليلتكِ جيئُ ، وإلا كانت كلتا الليلتين لها ، قضى الأمر !! .

أجل لقد فعل الزوج ما لا ينبغي أن يفعله .

نرى أحياناً الزوجة تنسح أقوالاً وطنوناً سيئة لا يسعها عقلها ، وإلا فمن أين أتت هذه الأقوال ١٩ .

يقول - تعالى - : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿٨﴾ .

فالشیطان يأتي للإنسان ، فيوحي إليه أن يفعل هذا (وقل هذا) .
فلا تدمروا بيوتكم بهذه الأباطيل ، ولا تدمروا المودة بينكم بهذه الأمور
العقيمة .

وأوصي الرجال خاصة بذلك ، فسوء الظن من النساء ذنب لكنه منهم
أعظم ، فالزوجة لا تتهمك بالوقوع في الحرام ، فهي تقول : تزوجت امرأة
أخرى .

أما إذا أسأت الظن بزوجتك ، وصرحت به ، ولم يثبت لدى حاكم
الشرع يستطيع أن يأمر بتعزيزك بـ (٢٥ - إلى ٧٥) جلدة ، لأن ذنبه عظيم
يدعو القرآن على صاحبه بالقتل ، فأجنبوا سوء الظن في البيت وخارجيه .

وأنبه السيدات خاصة على أن سوء الظن قد يقود إلى التجسس
والتجسس ذنب عظيم يقول النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) عنه : « يا
معشر من أسلم بلسانه ، ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تدموا المسلمين ولا
تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته
يفضحه ولو في بيته » (٩) .

إذن سوء الظن بالآخرين يؤدي إلى التجسس ، وإذا فعلتم ذلك فقد
يوقعكم في أعمال قبيحة .

فمثلاً ترى المرأة - وهي واقفة عند باب بيتها - شاباً يدخل بيت جيرانهم ،
فإذا كانت مسلمة حقيقية ، قالت : إنه من أرحامهم ، وقد جاء لشغل .

(٨) سورة الأنعام / ١٢١ .

(٩) سفينة البحار ج ٢ ص ٢٩٥ وبمعناه أحاديث أخرى يروها الكليني في أصول الكافي ج ٢ كتاب
الإيمان والكفر باب من طلب عيوب المؤمنين وعثراتهم .

أما إذا تجسست وجمعت الناس - لا سمح الله - عند باب الدار ، وانجرت الأمر - والعياد بالله - إلى فتنة خطيرة وإلى الطلاق وإلى بؤس وتضييع الأطفال وتدمير كلا الطرفين ، فما هو حجم الذنب الذي تكون هذه المرأة قد ارتكبه ؟ ! .

أذكر مرة أخرى بما نبه إليه الإمام الحسين (عليه السلام) ذلك الرجل الذي فرق بين ابنه وزوجته حيث أشار إلى أن إثم هذا الفعل أشد من قيامه بقطع عروقهما وانتزاعها من جسديهما .

وأحياناً يقوم البعض من المتحجرين ذوي الظاهر القُدسي بالتجسس بذرائع مُقدّسة ، ويجمعون الناس على دار أحدهم ، ويحدثوا بذلك فضيحة لكلا الطرفين ، وقد تؤدي إلى الطلاق - لا سمح الله - وكل ذلك بسبب أن هذا المتحجر المتظاهر بالتدين أراد أن يقوم بعمل « حزب الله » في حين أن هذا هو من عمل حزب الشيطان ، فعمل حزب الله هو : « ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ »^(١٠) وهذا ما كان يوصي به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مراراً ، حتى إنه يأمر ب : « أطلب لأخيك عذراً فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً »^(١١) . فإن لم تستطع أن تجد له محمّاف فقل لِنَفْسِكَ : كم أنا مسلم ضعيف إلى درجة أنني لا أستطيع أن أجد محملاً لعمل أخي المؤمن ، فهل نحن كذلك ؟ ! .

إن ما أوصيكم به أيها المواظبون على مجالس الوعظ وأنتم يا صفوة قم هو أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ينهاكم عن الوقوع في التجسس وعن أن يذهب أحدكم إلى هنا وهناك من أجل افتعال قضية ينشرها في المجتمع وهذه الظاهرة موجودة لدى جميع الفئات ولا سيما لدى النساء وهي

(١٠) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٦٩ .

(١١) سفينة البحار للشيخ القمي ج ٢ ص ١١٠ .

ذنب عظيم يفوق إنَّم القتل والتعذيب .

لماذا نفع في سوء الظن ؟ !

ولماذا لا نعمل بوصية الحديث الشريف : - « ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ » الذي أمر به النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِمَا السَّلَام) ، وَأَغْلَبُ الْأَثَمَةِ الطَّاهِرِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) ؟ !

ولماذا لا تتحلَّى بِحُسْنِ الظَّنِّ بَدَلًا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ ؟ !

ومن أين ينشأ سوء الظن ؟ !

إِنَّ وَضْعَ الْقَلْبِ إِذَا أَصْبَحَ كَحَالِ الْمُسْتَنْقَعِ الْمَتَعَفِّينِ أَصْبَحَ سَيِّئَ الظَّنِّ .

وبالعكس فَإِنَّ الْقَلْبَ السَّلِيمَ يُنتِجُ حُسْنَ الظَّنِّ ، فَإِذَا سَلِمَ الْقَلْبُ ، اعتَبَرَ الْجَمِيعُ سَالِمِينَ وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ .

وسوء الظنِّ مرضٌ خطيرٌ ، لكنَّ علاجه سهلٌ ، وهو تجاهلُ الظنونِ فإذا رَأَيْتَ شَيْئًا مِنْ زَوْجَتِكَ ، ووجدتَ له محملاً ، ولم ترتبِ أثراً على ظنونِكَ ، ووجهتَ بذلك صفعَةً عَلَى فَمِ الشَّيْطَانِ يَنْدَجِرُ عَلَى أَثَرِهَا شَاءَ أُمِّ أَبِي .

فَالْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَام) يُوَكِّدُ أَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ مَعَهُ وَلَمْ تَسْتَجِبْ لِهَذَا الْخَبِيثِ ابْتَعَدَ عَنْكَ .

أما إذا استجبتَ له ، وحملتَ ما صدرَ عن زَوْجَتِكَ عَلَى محملٍ سَيِّئٍ وَأَدَّتْ ذَلِكَ أَوْصَلَتَكَ هَذِهِ الْوَسْوسَةَ الْفَكْرِيَّةَ - تَدْرِيجاً - إِلَى الْجَنُونِ الْكَامِلِ .

ذَنْ فَهَذَا الْمَرَضُ الْخَطِيرُ وَسرطانيُّ يُدْمِرُ دُنْيَا الْإِنْسَانِ وَآخِرَتَهُ ، لكنَّ علاجه سهلٌ يسيرٌ يستطيعُ الْقِيَامُ بِهِ الْجَمِيعُ ، وهو عَدَمُ الْاهْتِمَامِ بِالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ ف: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (١٢) ، فَالْقُرْآنُ يُوَكِّدُ أَنَّ الظَّنَّ

(١٢) سورة النجم / ٢٨ .

لا يثمر شيئاً ، فإذا اعتمدت على الظن ، فقد تجاهلت العمل بالقرآن
الكريم ، وأعرضت عنه

المحاضرة الرابعة والعشرون : =

الفصل الثاني عشر

الوسوسة العملية

الوسوسة العملية

« الوسوسة العملية » هو موضوع الفصل الثاني عشر من بحثنا ، وقد قسمنا الوسوسة - في الفصل الحادي عشر - قسمين : - الفكرية والعملية ، وقد تحدثنا عن الأولى ونحدث اليوم عن الثانية التي يُصابُ الإنسانُ بها - أحياناً - في أعماله كالوسوسة في شؤون الطهارة والنجاسة والوضوء والغسل والعبادات ، وهي مُضِرَّةٌ جداً للأسرة ، فهي تدمرُ بنيتها ، والمبتلى بها منبوذٌ أُسْرياً واجتماعياً ، فهي تدمرُ المودة الأسرية .

وإذا لم تكن أكثر عوامل تدميرها ، فهي من العوامل الرئيسة كحدّ أدنى ، فمن الضروري أن يلتفت لحديث اليوم بصورة كاملة خاصة المصابون بها .

ما هو منشأ الوسوسة بكلا قسميها ؟ .

في الفصل السابق قلت : إنّ الشيطان يتسلط أحياناً على عقل الإنسان ، فيجعله بذلك مخادعاً ومنافقاً أو عذاراً ، فإذا كان سياسياً ، فهو سياسي كذاب ومُخادع .

وأحياناً يتسلط هذا الخبيث على قلب الإنسان ، ويجعله تابعاً له ، فمثلاً أن قلب الإنسان يكون تارة خاضعاً لله وحكمه ، يمكن أيضاً أن يستحوذ

عليه الشيطان ، وهذا ما يشير إليه القرآن في آياته الكريمة ؛ وإذا استحوذ الشيطان على قلب الإنسان ، وجهه إلى حيث يشتهي ، فيجعله عبداً للأوثان والأموال والأهواء ، أو عبداً للشيطان بحسب التوضيح القرآني .

وتارةً يتسلط على قُوَّة التخيل عند الإنسان ، فيوجد لديه الوسوسة الفكرية والعملية ، وتبلغ خطورة هذه الحالة درجة تجعل صاحبها يُبصر ويسمع ويجزم بوجود أشياء لا واقع لها أصلاً ، فمثلاً الإنسان الخائف الذي تسلط الشيطان على قُوَّة خياله ، إذا ذهب ليلاً إلى دار خربة يرى الجن ، ويسمع حديثهم ، وهو يصدق في قوله ، وإذا ذهب إلى المقابر يرى ميئاً يخرج من القبر ، ويسمعه يُناديه ، فيفر منه فيطارده الميت ، حتى إنه يرى أحياناً الميت وقد أمسك به ، فيغمى عليه .

ومع التسليم بعدم وجود جن في تلك الخربة وأنه لم يخرج ذاك الميت من القبر ، ولم يناديه ، ولم يمسك به ، لكن قُوَّة التخيل أثرت في بصره وسمعه وقُوَّة اللمس لديه ، حتى أوقعته في هذه المصيبة .

وإذا وقع شخص في الوسوسة الفكرية والعملية ، يصبح حاله على هذه الصورة ، فإذا أبتلي شخص بالوسوسة في الطهارة والنجاسة مثلاً يجزم فوراً بوقوع انتقال للنجاسة ، حتى مع التسليم بعدم وقوع ذلك ، لكنه يحس به فيجزم بسرعة بوقوع النجاسة ، لكنه لا يجزم بحصول الطهارة ، إذ إن الشيطان قد تسلط على قُوَّته التخيلية ، وجعله يجزم بصورة فورية بالأشياء التي تضره في حين يعجز عن الجزم والحصول على الاطمئنان بشأن الأشياء التي تنفعه .

ومن هذه النقطة بالذات ينبغي للوسواسي أن يدرك أنه مريض حيث إن سرعة الجزم والتصديق يجب أن تشمل - عنده - الطهارة مثلما يتعامل مع النجاسة ، وإذا لم يكن سريع التصديق ، فيجب أن يسري ذلك في موارد الطهارة والنجاسة معاً - إذا كان سليماً - فلا ينحصر بالنجاسة فقط ، ولأنه ليس

كذلك ، فعليه أن يعرف أنه مُصابٌ بمرضٍ روحيّ يشتدُّ باستمرارٍ كلما اهتمّ بتلك الوسوس .

وهذه طبيعة الأمراض الروحية ، فهي في هذا الجانب مثل الحكمة والحساسية ومثل السرطان ، وسببها هو تسلطُ الشيطان على القوة التخيلية للإنسان .

وهذا ما يُصرِّحُ به الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث عبد الله بن سنان السابق ، فقد وصف الوسوسة بأنها من عمل الشيطان . وعلمنا أن نحذره باستمرارٍ ، فقد استعدَّ وقعدَ لنا ، لكي يدمرَ آخرتنا ودنيانا ، ويُدخلنا إلى جهنم كل واحدٍ منا بأسلوبٍ معيّن .

والشيطانُ خبيثٌ يُغري هذا ويحرفه بتزيين المعاصي ، والآخر يُحبُّ المالَ الحرام ، أو الانغماس في الشهوات أو حبّ الجاه والرئاسة أو الوسوسة أو الغيبة والبهتان أو إشاعة الفحشاء ، أو البغاء والفساد الأخلاقي .

يُنقل - في حادثة مشهورة - « أنَّ أحدَهم رأى الشيطانَ في رؤيا صادقة - وهو يحملُ مجموعةً من الجبال ، فسأله عنها فأجاب : - لقد أعدتها لأجر بها بني آدم إلى النار ، كما كان يحمل سلسلةً حديديةً ، فسأله عنها ، فقال هي للشريف الرضيّ وقد ذهبتُ إليه الليلة ثلاث مرّات ، لكنه قطعها .

وكانت الجبال التي يحملها مختلفة الألوان ، فسأله عن سرِّ تعدد ألوانها ، فأجابهُ بأنه يحرف كلَّ إنسانٍ بطريقٍ معيّن » .

وقد ذهبَ هذا الشخصُ في غيه إلى الشريف الرضيّ ، فعرف منه أن الشيطانَ عرضَ له الليلة الماضية لإغوائه لكنه نجى ، وكان في ذلك تصديقٌ لرؤيا الشخص المذكور .

وينقل المرحومُ الكليني - رضوانُ الله عليه - قصّةً مشابهةً للحادثة المُتقدّمة مرويّةً عن الإمام الصادق (عليه السلام) تحدّث فيها عن مجيء

إِبْلِيسَ إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَهُوَ يَرْتَدِي أَلْبِسَةً غَرِيبَةً مُتَعَدِّدَةَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ ،
فَسَأَلَهُ (عَلَيْهِ السَّلَام) عَنْ سَبَبِ ارْتِدَائِهِ هَذِهِ الْمَلَابِيسَ ، فَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ أَعَدَّ
لِلْإِضْلَالِ كُلَّ فِتْنَةٍ مَا يُنَاسِبُهَا^(١) .

ويذكر القرآن الكريم مراراً أنَّ الشيطانَ أقسمَ على إضلالِ الإنسانِ فبعدَ
أنْ يتحدَّثَ عن طردهِ من الحضرةِ الإلهيةِ قال - تعالى - : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي
لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾^(٢) .

يقول الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير الآية الكريمة : « مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ : - أهُونٌ عَلَيْهِمُ الْآخِرَةُ ، وَمَنْ خَلْفَهُمْ أَمْرُهُمْ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَمِنْهَا
عَنِ الْحَقُوقِ ، لِنَبْقَى لَوَرَثَتِهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ أَفْسِدُوا عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ بِتَزْيِينِ
الضَّلَالَةِ وَتَحْسِينِ الشُّبْهِةِ ، وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ بِتَحْبِيبِ اللَّذَاتِ وَتَغْلِيبِ الشَّهَوَاتِ
عَلَى قُلُوبِهِمْ^(٣) .

أي : أَنَّهُ يَأْتِي الْمَرْأَةَ غَيْرَ الْمُلْتَزِمَةِ عَنْ طَرِيقِ الْاسْتِهَانَةِ بِالْحِجَابِ وَارْتِدَائِهِ
أَمْثَالِ الْجَوَارِبِ الْمَزِينَةِ غَيْرِ السَّاتِرَةِ لِلسَّاقِينَ ، وَبِالتَّالِي عَنْ طَرِيقِ الْمَفَاسِدِ
الْأَخْلَاقِيَّةِ .

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُتَدَيِّنِينَ ، فَيَأْتِيهِمْ عَنْ ظَاهِرِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَيَجْرَهُمْ
إِلَى جَهَنَّمَ عَنْ طَرِيقِ الْوَسْوسَةِ .

وَإِنِّي أَوْصِي الْمُصَابِينَ بِهَا أَنْ يَتْلُوا يَوْمِيَّاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ عِنْدَمَا يُحَاوِلُ
الشَّيْطَانُ الْاسْتِحْوَاذَ عَلَى قُورَاهُمُ التَّخِيلِيَّةِ ، وَيُخَادِعُهُمْ ، فَيَرْتَكِبُوا أَعْمَالَ
الْوَسْوسَةِ الْقَبِيحَةِ ، وَيَتَذَكَّرُوا أَنَّ هَذَا الْخَبِيثَ قَدْ تَحَدَّى اللَّهَ لِإِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ بِكُلِّ

(١) ملخص حديث طويل ينقله المحدث القمي - قدس سره - في سفينة البحار ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) سورة الأعراف / ١٦ ، ١٧ .

(٣) بحار الأنوار ج ٦٣ ص ٢٤٣ - وكذلك مجمع البيان ونور الثقلين في ذيل الآية الكريمة .

وسيلة ، فيقود الوسواسين إلى جهنم عن طريق الوسوسة العملية بشأن الطهارة والنجاسة والوضوء والغسل والعبادة .

ويحكي القرآن الكريم في مقطع آخر أن الشيطان لعنه الله أقسم أن :
- ﴿لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَا ضِلُّنَّهُمْ وَلَا يَمِينُهُمْ وَلَا مَرْثَهُمْ
فَلْيَبْئِثْ أَذَانُ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْثَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (٤) .

فهو أقسم على أن يقوم بما من شأنه أن يغير الفطرة الإلهية ، ويفقدوها ويعجزوا عن إدراك معرفة الله وعن إدراك وجوب الخضوع في مقابله والتميز بين الفضيلة والرديلة ، ثم يقول - تعالى - : ﴿مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (٥) .

فيا أيها الوسواسي إن القرآن يحكم بخسرانك المبين ! .

والمقطع الثالث يشبه سابقه ، فعندما طرد من الحضرة الإلهية أقسم أن
يُضِلُّ بني آدم ، فأجابه - تعالى - ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَظَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ
وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا
يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦) .

فما هو « صوت الشيطان » ؟ .

إنه الأغاني والموسيقى ، و« أجلب عليهم بخيلك ورجلك » يعني أن
للسيطان جيشين أحدهما الرجالة أي : أن يبتليه برفاق غير صالحين لا يفقهون
فيقودونك إلى جهنم بجهلهم ووسواسهم .

وتارة يتسلط عليه بجيش الخيالة الذي لديه - بحسب التعبير القرآني -

(٤) سورة النساء / ١١٨ - ١١٩ .

(٥) سورة النساء / ١١٩ .

(٦) سورة الإسراء / ٦٤ .

أي برفيقٍ عالمٍ شيطانيٍّ يستطيعُ سَوَقَهُ إلى جهنَّمَ بالاستدلالِ المُضللِ كما هو حالُ ما جلبته مدارسُ المادِّيَّةِ الغربيَّة لِبني الإنسانِ .

والشيطانُ يُشاركُ الإنسانَ في المالِ الحرامِ ، ويُغويه بِإطعامِ عياله منه ، فتعتقدُ النُطفَةُ من ذاكِ المالِ الحرامِ ، فيدمِّرُ أولادَه أيضاً ، وعليه نعرفُ من الآيةِ المتقدِّمة أنَّ الشيطانَ يُدمِّرُ ذُرِّيَّةَ هذا بالفعلِ الحرامِ وذلكَ كالْبَخْسِ في المِيزانِ والغشِّ أو أكلِ الرِّبا والرُّشوةِ وغيره وعن طريقِ (صوته) أي الموسيقى والأغاني ، فيسوقُ كلاًّ منهم إلى جهنَّمَ بأسلوبٍ مُعيَّنٍ ، فلا يستعملُ نفسَ الإغواءِ مع الجميع ولذا ينبغي لنا أن نعرفَ أنه يضعُ لكلِّ واحدٍ شيطاناً خاصاً به قريباً له ، فإنَّ كانَ مِنَ عامَّةِ الناسِ فقيرُهُ من عامَّةِ الشياطينِ .

أمَّا إذا كانَ عالمًا ، فشيطانهُ عالمٌ أيضاً .

ورجِمَ العارفُ الكاملُ المرحومُ الشيخُ « غلام رضا اليزدي » ، فقد كان يقولُ مراراً مِنْ على منبره : - « إنَّ لكلِّ شخصٍ شيطاناً وشيطاني أنا « ملائي » .

وهذا القولُ مستنبطٌ مِنَ القرآنِ والآيةِ المتقدِّمة .

إنَّ سُورَتَيِ الْفَلَقِ والناسِ جيِّدَتانِ في طَرْدِ الشيطانِ ، فعَلِّمُوا أولادَكُمْ قراءةَ السورِ الْقِصَارِ الْأَرْبَعِ التي تبدأُ بِفِعْلِ الْأَمْرِ « قُلْ » ليتلوها عندَ خروجِهِم من البيتِ لتكونَ لَهُم حِفْظاً من شَرِّ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ .

وفي السورتينِ الْأَخِيرَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ إشارةٌ لطيفةٌ ما أحرانا بالانتباهِ : لَهَا خُصُوصاً الْمُصَابِينِ بِالْوَسْوَسةِ ! ففي سورةِ الْفَلَقِ أمرٌ بالاستِعاذَةِ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعِ أَشْيَاءٍ هي : -

مِنْ شَرِّ النَّاسِ ، وأخطَرُ مصاديقِهِ شَرُّ الْمُسْتَعْمِرِينَ والقوى الكبرى .

﴿ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ^(٧) أي : مِنْ شَرِّ الْغَرِيْزَةِ الْجَنَسِيَّةِ ، إذا

(٨٧) سورة الْفَلَقِ / ٣ - ٤ .

هاجت وهذه حالة يجدر الاستعاذة بالله منها حقاً .

﴿ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾^(٨) أي من الغاويات ، كأن تعمد امرأة إلى غوايتك فتتابعها ، مثل أن تأتي إلى محل عملك ، فتمازح وتتغنى فتغويك .

ومثل هذه المواقف يجب الاستعاذة منها كما تأمر بذلك السورة .

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾^(٩) ، وهذه أربعة أشياء مهمة ، ولكن على الرغم من أهميتها ، فقد وردت الاستعاذة منها جميعاً بالرب مرة واحدة في سورة الفلق المباركة ، ولكن في سورة الناس وردت الاستعاذة ثلاث مرات من شيء واحد : - ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ... ﴾^(١٠) .

وال تكرار هنا قائم رغم تغيير الصفة (لأنها صفات لحقيقة واحدة) ، فهو يعني الاستعاذة بالله ثلاث مرات ، من أي شيء ؟ ! .

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ أي : من الشيطان الكثير الوسوسة الذي يقدم أدلة (مزيفة) لوساوسه .

إن « الوسواس الخناس » هو شيطان المصابين بالوسوسة ، وهو شيطان خبير ذكي عالم يعرف كيف يلقي وساوسه ، ويؤيق البراهين لهذه المرأة أو لهذا الرجل .

فهو « خناس » إضافة إلى كونه « وسواساً » وكلاهما صيغتا مبالغة ، فهو كثير الوسوسة وكثير الاستدلال (المزيف) .

وهذا حال الوسواسيين بالفعل ، فهم يُقدّمون مُسوغات عجيبة غريبة

(٩) سورة الفلق / ٥ .

(١٠) سورة الناس / ١ - ٤ .

لأعمالهم ، ويُدَقُّون في تفصيلات لا تخطر في ذهن مرجعهم في التقليد حين الفتوى . ولا يتصور هؤلاء أنَّ ما يقدمونه هو استدلال حقيقي ، بل هو مِن وَحْيِ الشَّيْطَانِ بِحَسَبِ التعبير القرآني ، يقول - تعالى - ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ (١١) ، أي أن الشيطان يوحى إليك - أيها الوسواسي - لتجيب من يقول لك : إنَّ هذا الشيء طاهر ، بأنَّه نجس ، وأن تقدّم الأدلة على نجاسته ، وأن لا تصغي للذي ينصحك بعدم الاهتمام بالمبالغ تجاه الوضوء والغسل ، بل قدّم له الأدلة على صحّة موقفك .

إنني أوصي المصابين بالوسوسة أن يواظبوا على تلاوة السور الأربع المذكورة آنفاً : التوحيد والكافرون ، وبالخصوص الموعّدين ، وعندما يحاول الوسواس الخناس ، هذا الشيطان الخبير ، أن يغويهم ، فليصفعوه ويطرّوه ولا يسمحوا له بالتجرؤ والتسلط عليهم .

فعندما يحاول ذلك بادروا فوراً إلى قراءة سورة الناس ، ثم تدبّروا في معانيها وكونها تأمراً بالاستعاذة بالله من شرّ الشيطان الذي يُكثّر الوسوسة ، ويسعى لاقناعك بالأدلة (المزيفة) ليسوقك إلى النار .

وخلاصة حديثنا اليوم هي : - أن الوسوسة مرض يؤكّد علّم النفس خطره وهي تعني - بحسب الرؤية الإسلامية - تسلط الشيطان على قوّة الإنسان التخيلية ، والذي يُصاب بها . يعني أنه اتخذ الشيطان ولياً بحسب التعبير القرآني الذي يؤكّد أن من يفعل ذلك فقد خسر خسراناً مبيهاً .

كما عرفنا أن الشيطان يسعى لسوق كل إنسان إلى جهنم بأسلوب مُعيّن يُناسبه ، فأسلوبه مع « الحزب اللهي » يختلف عن أسلوبه مع المعادي للثورة .

(١١) سورة الأنعام / ١٢١ .

وله أسلوب خاص بالمتدين ، وآخر للكاسب والمرأة المتديّنة يختلف عن أسلوب المعاملة الشيطانية لغيرها . فهو يحاول خداع المرأة المرتبطة بالله والرسول والقرآن بأسلوب ، والمرأة التي لا شغل لها بالأمر المعنوية والمحارب ومجالس الوعظ بأسلوب آخر .

إذن فما هو العلاج ؟ .

إنّ هذا مرض خطير جداً وإلى درجة يقول بعض علماء النفس : إنّ من المتعذر علاجه .

أتذكر أنّ أحد المتخصصين في علم النفس كان قد سمع أنّي أجيد معالجة المصابين بالوسوسة فأتاني متعجباً وهو يتصور أنّ لدي « ورداً » خاصاً أو جرّزاً أو « جفراً » خاصاً ، فقلت له : - إنّ ما أعرفه هو سبيل العلاج الذي بيّنه الإمام الصادق (عليه السلام) ، فتعجب من ذلك .

وعلى أية حال ، فإن مقصودي هو أنّ خطورة هذا المرض حدّت ببعض علماء النفس إلى القول باستحالة العلاج ، لكنني عالجت حالات كثيرة وشديدة بعلاج سهل جداً ، وهو الذي أوصى به الإمام الصادق (عليه السلام) من تجاهل وساوس الشيطان وعدم الاهتمام بها وعدم ترتيب الأثر عليها فإذا فعلت ذلك شهراً أو شهرين شفيت من هذا المرض ، وتعاملت مثل سائر الناس ، كأن تتعامل المرأة المصابة به مثلما يفعل زوجها ، وتسمع قوله ، وعلى الزوج إذا كان مُصاباً به ، أن يفعل مثلما تفعل زوجته (السليمة) ، ويسمع قولها ، ويصلي مثلما يصلي الناس ويتوضأ ويغتسل ويظهر الأشياء مثلهم .

فإذا فعل ذلك شهراً أو شهرين شفي من مرضه ، لكن جذوره تبقى حيّة لا تموت ، إلّا بعد أن يستمر على هذا العمل لخمسة أو ستة أشهر .

فإذا لم تعمل بقولي هذا ، فاعلم أنّ مرضك سيشتد يوماً بعد آخر ،

ويدمر دنياك وأسرَّتكَ ويُصِيبُ أطفالك بِعَقْدِ نَفْسِيَّةٍ ، ويبعث فيك - نفسك -
الكسل والضعف ، فتصبحُ عُضْواً زائداً في الوسط الاجتماعي ، أي : أَنَّهُ يجعل
دُنْيَاكَ جَهِيماً لَكَ ولأَسْرَتِكَ وتَيَقَّنُ بأن هذا الجَهِيمَ التي صَنَعَتْهَا لِنَفْسِكَ في
الدنيا ستجذُّه في الآخِرَةِ أيضاً .

أَمَّا إِذَا عَمِلْتَ بما أَقُولُهُ لَكَ ، فستقطعُ جُذُورَ هذا المرضِ السَّرطَانِيِّ
حَتْمًا خِلَالَ خَمْسَةِ أَوْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ .

وفي الخِتَامِ لدي كلمةٌ أوجَّهها لغيرِ المصابين بالوَسْوسَةِ ؛ وهي أَنَّهُ إِذَا
كانت زوجةٌ أَحَدِكُمْ مثلاً مُصَابَةً بها ، فلا ينبغي التعامل معها بخشونةٍ ، إِذْ إِنَّهَا
مريضةٌ والمريضُ لا يُعْنَفُ .

ونفسُ الوصِيَّةِ مُوجَّهةٌ للزوجةِ إِذَا كَانَ زَوْجُهَا وَسْوَاسِيًّا ، أَوْ كَانَ حال ابنك
أَوْ ابْنَتِكَ كذلك ، فلا ينبغي تعنيفُهما أَوْ ضربُهما أَوْ شتمُهما أَوْ ما شابهَ ذلك ،
فمثل هذا يزيد وخامةَ المرضِ ، فهذه حالةٌ مرضِيَّةٌ ، والمصابُ بِهَا يحتاجُ إلى
المدارةِ والكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ والاستِماعِ إلى أمثالِ هذه الأحاديثِ والمُحَاضِرَاتِ ،
فِعِلاجُهُ يحتاجُ إلى الصَّبْرِ لكي يتحقَّقَ الشفاءُ تدريجيًّا ، على حَسَبِ المَثَلِ
المُتداولِ ، فَإِنَّ المَرَضَ يَأْتِي جَبَالًا (بِسْرَعَةٍ) ويرحلُ شعرةً شعرةً (بِطُغْيَةٍ) .

إِذَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ الاهتمامُ بالمصابِ بهذا المرضِ ، والتحلي بالصبرِ في
معالجَتِهِ وإِنْقَاذَهُ مِنْهُ بِصورةٍ تدرِيجِيَّةٍ حَتَّى يَكتَمَلَ الشفاءُ .

كما أُوصِي المصابين بالوَسْوسَةِ أَنْ يسعوا إلى تَخْلِيصِ أَنْفُسِهِمْ مِنْهَا
ويعملوا بالعلاجِ المتقدمِ ، وأَكْرَرُ الوصِيَّةَ للمُحِيطِينَ بالوَسْوَاسِيَّ أَنْ يَجْتَنِبُوا
التعاملَ مَعَهُ بخشونةٍ بل ليَكُنْ تعاملُكم معه متعلقًا مثل التعاملِ مع المريضِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِحَقِّ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَنْ تُنَنِّ بِالشِّفَاءِ
على جميعِ المَرَضِيِّ ، وبِالْخُصُوصِ المصابين بالوَسْوسَةِ الفِكْرِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ .

فهرس الموضوعات

٥	١ - المحاضرة الاولى
٨	- المقدمة
٨	- انسجام الدين مع الفطرة
٨	- معنى الفطرة
٩	- فطرة طلب الله
١٢	- فطرية العبادة
١٦	- اهمية العبادة والدعاء
١٨	- عبادة الزهراء (ع)
٢١	٢ - المحاضرة الثانية
٢١	- المقدمة
٢٣	- الاسلام وميول الانسان
٢٩	- الاسلام والحالة المعاشية:
٢٩	١ - المعاش الضروري
٣١	٢ - المعيشة المرفهة
٣٤	٣ - المعيشة الترفية

٣٧	٣ - المحاضرة الثالثة
٣٧	- الفصل الاول
٣٩	- الزواج . . . رأي علماء الطبيعة
٤١	- الرؤية القرآنية للزواج
٤٢	- قضية الزواج في الاحاديث الشريفة
٤٤	- الاسلام واهمية الغريزة الجنسية
٤٦	- الاعتدال في مصارف مراسم الزواج
٤٩	٤ - المحاضرة الرابعة
٤٩	- الفصل الثاني
٥١	- عقبات بوجه الزواج
٥١	١ - الشروط التعجيزية
٥٩	٢ - المراسم الشكلية الزائدة
٦٣	٣ - ارتفاع المهور
٦٥	٤ - الولايم الضخمة
٦٩	٥ - المحاضرة الخامسة
٦٩	- الفصل الثاني
٧١	٥ - ضخامة الجهاز التأثيثي
٧٤	٦ - المسكن
٧٥	٧ - التفاخر
٧٧	- البخل
٨٠	- خلاصة البحث
٨٥	٦ - المحاضرة السادسة
٨٥	- الفصل الثالث
٨٧	- قدسية البيت
٩٣	- الخدمة في المنزل

٩٤	- تأثير المال الحرم
٩٧	٧ - المحاضرة السابعة
٩٧	- الفصل الثالث
٩٩	- تجسم الأعمال
١٠٢	- تفاهم الاسرة
١٠٩	٨ - المحاضرة الثامنة
١٠٩	- الفصل الثالث
١١١	- اعتياد الذنب
١١٢	- سوء الحجاب واشاعة الفساد
١١٥	- تسويغ الذنب
١١٧	- الغيبة والبهتان
١٢٣	٩ - المحاضرة التاسعة
١٢٣	- الفصل الرابع
١٢٥	- تكوين الاسرة
١٣٣	- تربية الجيل الصالح
١٣٧	١٠ - المحاضرة العاشرة
١٣٧	- الفصل الرابع
١٣٩	- فوائد الزواج
١٣٩	٣ - سكن للنفس
١٤١	٢ - الرجل والمرأة احدهما زينة للآخر
١٤٢	٥ - موطن السلوى والسرور
١٤٩	١١ - المحاضرة الحادية عشر
١٤٩	- الفصل الرابع
١٥١	٦ - تهذيب النفس
١٥٣	- مقام الصبر

١٦٠	٧ - الاسمى من نافلة الليل
١٦٥	١٢ - المحاضرة الثانية عشر
١٦٥	- الفصل الخامس
١٦٧	- المودة والرحمة في العائلة
١٦٨	- آفات المودة
١٦٨	١ - سوء الخلق
١٦٩	٢ - السباب والضرب
١٧٢	٣ - التعبير والانتقاص
١٧٩	١٣ - المحاضرة الثالثة عشر
١٧٩	- الفصل الخامس: العوامل المزيلة للمودة
١٨٢	٤ - العجب
١٨٣	- فروع العجب
١٨٤	١ - المراء والجدال
١٨٥	٢ - العناد
١٨٧	٣ - الطلبات غير المتكافئة
١٨٩	٤ - رفض النقد
١٩١	١٤ - المحاضرة الرابعة عشر
١٩١	- الفصل الخامس: العوامل الموجدة للمودة
١٩٣	- أمور كبيرة تظهر صغيرة
١٩٤	١ - رعاية النظافة والطهارة
١٩٦	٢ - إظهار المودة
١٩٧	٣ - جلب الهدايا الى الاسرة
١٩٩	- قصة الأصمعي والزوجة الصابرة
٢٠٥	١٥ - المحاضرة الخامسة عشر
٢٠٥	- الفصل السادس : تعدد الزوجات وأسبابه

٢٠٧	١ - الزواج الضروري
٢٠٨	٢ - الزواج بدافع الأهواء
٢١٢	٣ - الزواج لأمراض نفسية
٢١٧	١٦ - المحاضرة السادسة عشر
٢١٧	- الفصل السادس : الطلاق
٢١٩	- موضوع الطلاق
٢١٩	١ - الطلاق الضروري
٢٢١	٢ - الطلاق الناشئ عن الأهواء
٢٢٦	٣ - الطلاق الناشئ عن العقد
٢٣١	١٧ - المحاضرة السابعة عشر
٢٣١	- الفصل السابع : الاحتياجات العائلية
٢٣٣	١ - الاحتياجات المادية - ذم البخل
٢٣٦	٢ - الحاجات الجنسية
٢٣٨	٣ - الحاجات العاطفية (الحنان)
٢٤٣	١٨ - المحاضرة الثامنة عشر
٢٤٥	٤ - الحاجات المعنوية (الروحانية)
٢٥٥	١٩ - المحاضرة التاسعة عشر
٢٥٥	- الفصل الثامن
٢٥٧	- تدخلات الوالدين
٢٦٧	٢٠ - المحاضرة العشرون
٢٦٧	- الفصل التاسع
٢٦٩	- طاعة المرأة لزوجها
٢٧٥	- البيت العائلي وحاكمية القانون
٢٨١	٢١ - المحاضرة الحادية والعشرون
٢٨١	- الفصل العاشر

٢٨٣	- التوافق الاسري
٢٨٤	- المودة
٢٨٨	- التمييز القبيح
٢٩٣	٢٢ - المحاضرة الثانية والعشرون
٢٩٣	- الفصل العاشر
٢٩٥	- العفو والصفح
٣٠٧	٢٣ - المحاضرة الثالثة والعشرون
٣٠٧	- الفصل الحادي عشر
٣٠٩	- سوء الظن
٣٠٩	- منشأ سوء الظن
٣١١	- آثار الوسوسة
٣١٤	- اخطار سوء الظن
٣٢٣	٢٤ - المحاضرة الرابعة والعشرون
٣٢٣	- الفصل الثاني عشر
٣٢٥	- الوسوسة العملية
٣٣٥	- الفهرس

